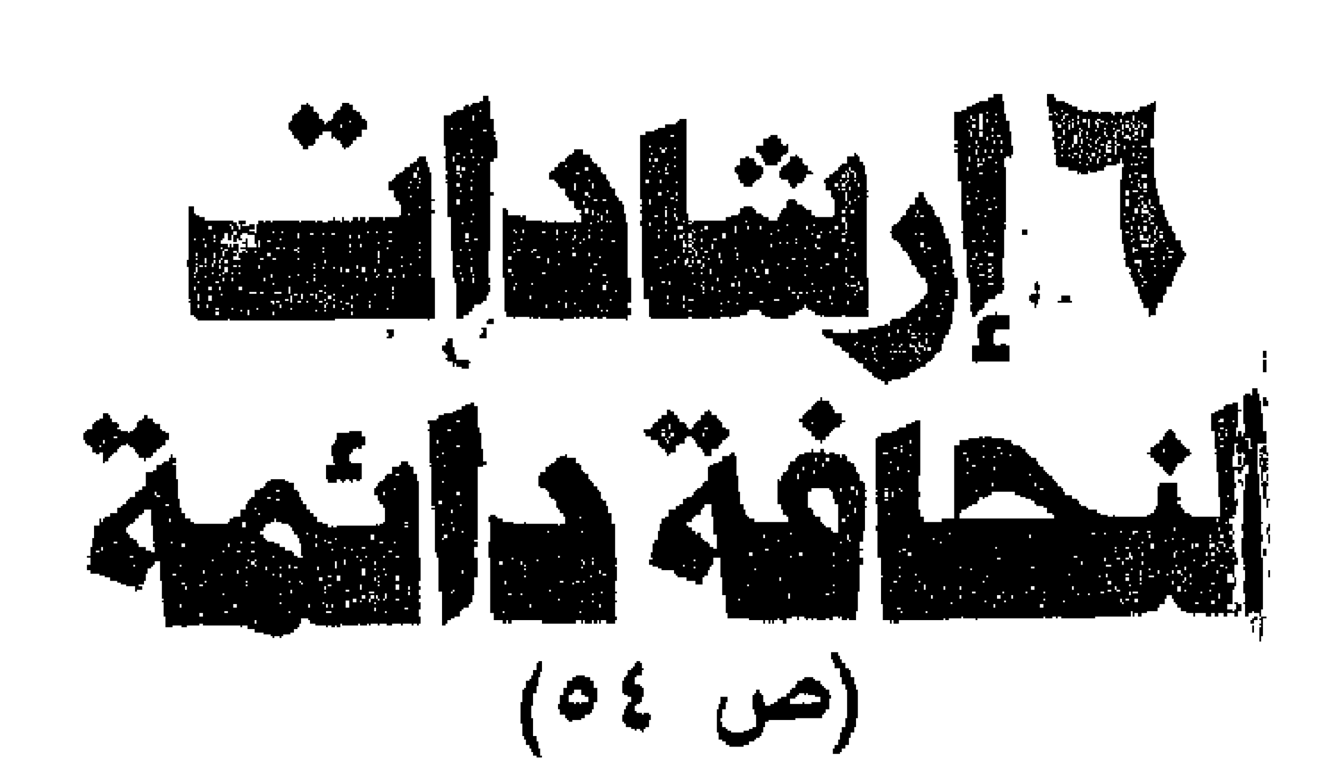
الكوكايين نشوة في جهنّم

(ص ٧)



رسالة من الفضاء

(ص ٩٣)



يوليو (تموز) ١٩٩١ - ذو الحجّة ١٤١١

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest July '91 N° 152

أوسع المجلات انتشارًا في العالم



من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد، أمينة التحرير: نهلا رزق، محررة مساعدة: لورا نفاع، الاشتراكات: فريال علاف.

مدير القسم الفني: جورج غالي، الخطوط: عبد القادر اسماعيل.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

July '91 N° 152 (New Series) Vol. 13

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث توملنسون. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضاً في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.

لبنان ١٠٠٠ل – سورية ٤٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف
السعودية ١٢ر – مصر ١.٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٥٠د – الجمهورية اليمنية ١٥ ر – مسقط ٨٠٠ ب – قبرص ٧.٥ ب




PARKER



- كلما تقدمتُ في العمر ازددتُ يقيناً ان ما يدوم حقاً هو أحلامنا.

جان كوكتو، شاعر وروائي وكاتب مسرحي فرنسي

- ان أصعب امتحان لعلاقة ما هو القدرة على الاختلاف مع الاحتفاظ بتماسك الايدي.

ا.ب.

- البيروقراطية فن يجعل الممكن مستحيلا!

خ.ب.س.

- توقعوا الافضل من الناس، فهذا يساعدهم على التقدم. ولكن لا يخيبنّ ظنكم ان لم يفعلوا، فذلك يشجعهم على الاستمرار في المحاولة.

م.ب.

- لنعلِّم أطفالنا أن يحلموا وعيونهم مفتّحة.

هـ.ا.

- السعادة محطة بين القلّة والوفرة.

ش.ب.

- علينا أن نتعلم أن نكون خير الاصدقاء لأنفسنا، لأننا معرضون دائماً للسقوط في فخ يجعلنا الدّ أعدائنا.

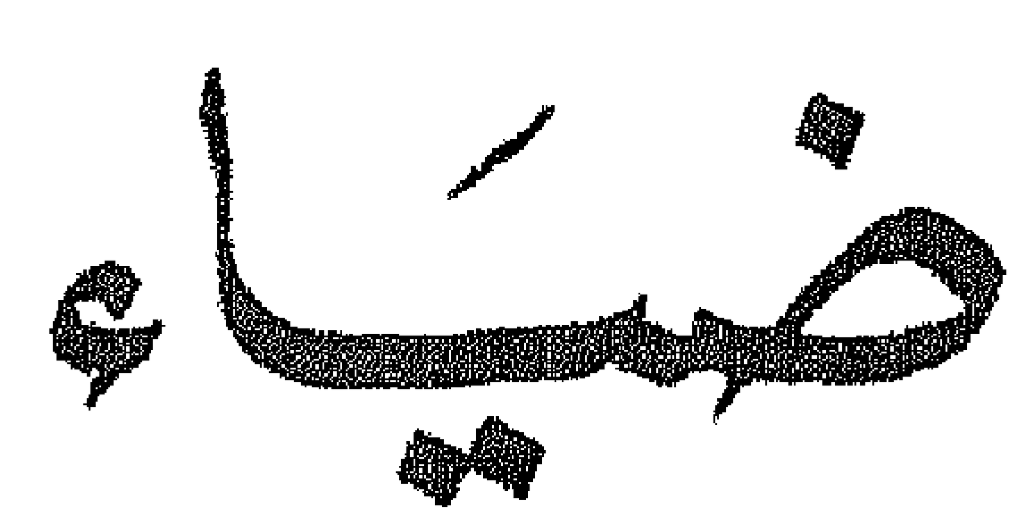
ر.ت.

- المماطل امرؤ يرجيء الى الغد اموراً ارجاها أمس الى اليوم.

ت.ب.

- تذكّرْ أنك تبدا زيادة سرعتك عندما تتخطى ريعان شبابك.

تشارلز شولتز، مبتكر رسوم متحركة



انساب بي الزورق في سكون الليل فاستغرقت في تأملاتي وأنا أشاهد خسوف القمر

في احدى ليالي أغسطس (آب) وجدت نفسي أنساق خارجاً الى ضياء القمر. ومع أن الساعة قاربت العاشرة فقد رأيت ظلال الغنم في حقلي ونباتات الزينيّة والقطيفة قرب الجدار الحجري. كان من المتوقع حصول خسوف كامل تلك الليلة. حملت مشعلي الكهربائي وهبطت السلَّم المؤدية الى الرصيف الخشبي الضيق حيث أربط زورق التجذيف.

كنت أحب أن يرافقني بول في مثل هذه النزهة. فلطالما خرجنا فجراً نجذف في الضباب الصاعد من الماء حتى انبثاق الشمس من وراء الهضاب التي تسوّر البحيرة الطويلة الضيقة.

لكنني بدأت أعتاد خفة الزورق الذي لم يعد يحمل سواي. كان إنجازه جزءاً من عمل بول في فترة علاجه الكيميائي. إذ ما أن يعود من المستشفى حتى يسوّي بدن الزورق ويصقله بالرمل ثم يطليه بالورنيش اللماع طبقة فوق طبقة.

كان يعاني غثياناً سببته له الأدوية، فيخفي انزعاجه ويتابع أعماله اليومية متجاهلا ما يحدث. تحمل خلال ثلاث سنوات كل ما قدمه اليه الطب الحديث. وفي العام ١٩٨٨ عوَّم زورقه وبدأ ممارسة التجذيف كي يسترجع قواه التي امتصّتها منه الأدوية وعملية الاستئصال في رئتيه.

إذ أدركتُ منتصف البحيرة كان الظلام لف قسماً كبيراً من القمر. وفاضت الأنوار الصفراء من نوافذ الأكواخ المجاورة للشاطىء متمايلة على صفحة الماء كرايات. أدخلت المجذافين الى المركب وجلست بلا حراك.

كنت أسمع أبواب بيوت تُصفق بعنف وأصوات أناس تنساق نحوي. ثم سمعت رنين ضحكات خلفي، فأدركت أن ثمة زورقا ورائي مع أني لم ألحظ أنواراً. وبدأ الظلام يقتحم القمر.

انجرف زورقي الصغير في دائرة واسعة بطيئة، وتلاشت النسمات التي رافقتني في البداية. وامتد وجه الماء أمامي أسود كالحبر. أسندت ظهري الى المقعد. وعاليا في وسط السماء أمسى القمر أحمر كالدم ولم يبق منه غير هلال رفيع كشعرة. راقبت الظلام يطبق عليه حتى اختفى كلياً في العتمة.

في تلك الأثناء دوَّت مفرقعات نارية قرب الشاطىء وأطلقت صيحات ابتهاج. ثم خبت الأصوات وأغلقت الأبواب وتلاشت الأكواخ في الظلمة واحداً تلو آخر.

أضأت مشعلي الكهربائي كي أنظر الى ساعة يدي: انه منتصف الليل. تمددت في الزورق ووجهي الى السماء. لقد مضت ثلاثة أشهر على وفاة بول. كان في التاسعة والثلاثين من عمره فقط، ومنذ وفاته ينتابني أحياناً هذا الشعور بالظلمة، حتى في الأيام المشمسة المشرقة.

كنت أنساب وحيدة في الزورق، لكني شعرت بثقله قربي وبيده تضغط يدي.

تحركت سمكة في الماء. ونشط النسيم مجدداً فعاد التيار وعادت الأمواج الصغيرة تنقر الزورق برقة. وبزغ نور بحجم ظفر في الناحية الأخرى من القمر. ثم اتسع واندفق الضياء على الماء كبريق نجوم تهبط الى الأرض.

أدركت آنذاك السبب الذي اضطرني الى المجيء. أنا لم آتِ لأرى الظلام يلف الأرض، بل أتيت لرؤية النور يعود اليها. استويت في جلستي وانزلت المجذافين في الماء، ثم بدأت التجذيف عائدة الى الرصيف فيما النور آخذ بالانتشار.

ادي كلارك ■

شعر مسروق

جاء في باب "الطرائف" في احدى الصحف: "اليوم سرقت ثلاثة اطنان من الشعر مخصصة لصنع الشعر المستعار، وتمشط الشرطة المنطقة بحثاً عنها."

ا.ن.

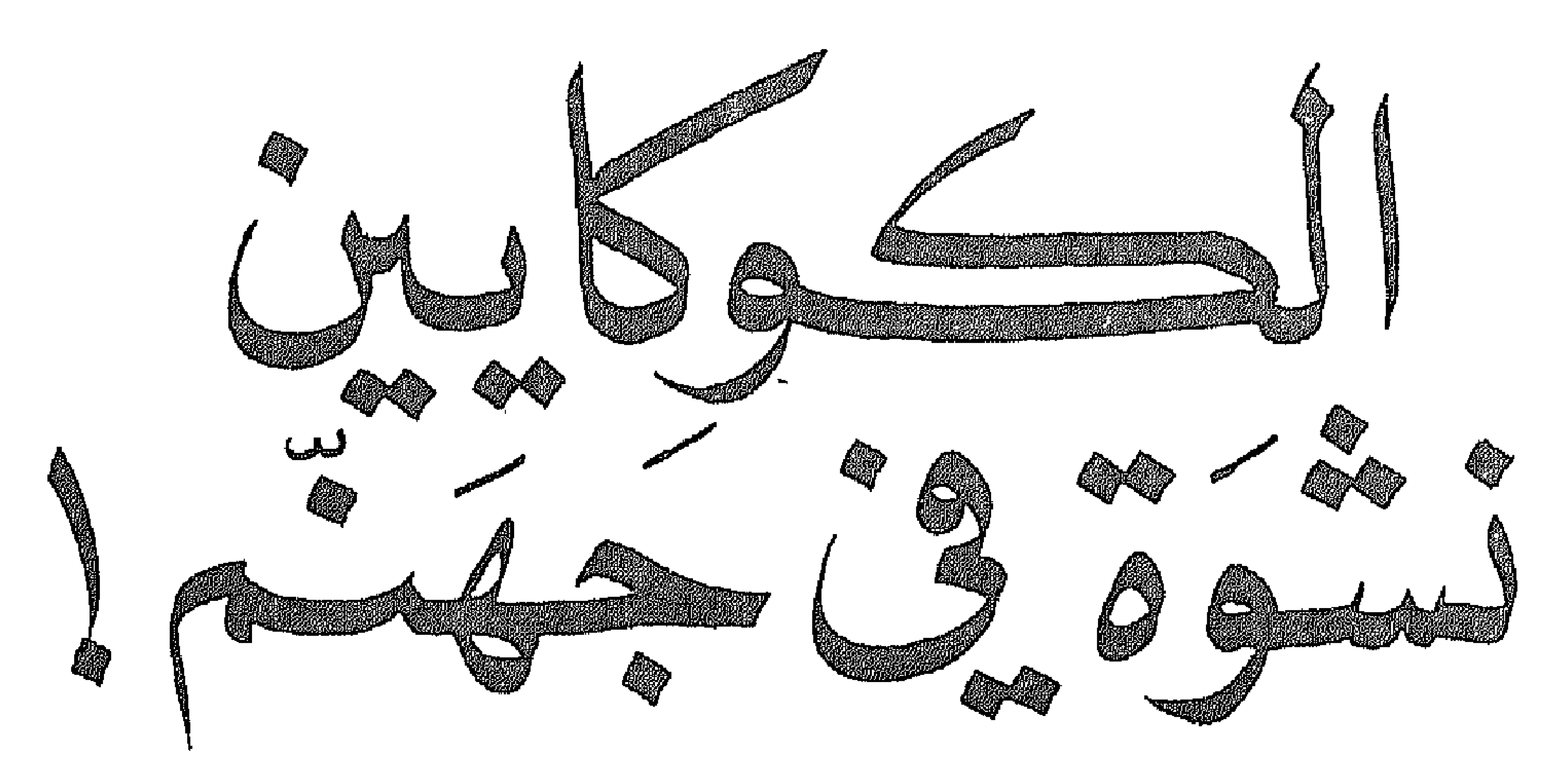
Reader's Digest

المختار

يوليو (تموز) ١٩٩١
ذو الحجة ١٤١١

السنة الثالثة عشرة
سلسلة جديدة

مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر



"الكوكايين كذبة كبيرة. انه يعدك بالجنة بينما يدمر حياتك"

مدمنة سابقة

لم يكن ينقص كيري ميلر[1] شيء. فهي صبية جميلة طويلة القامة تتمتع بشعبية بين زملائها وتنتمي الى عائلة سعيدة. كانت طالبة ورياضية متفوقة في المدرسة الثانوية. التحقت بالجامعة في العام ١٩٨٠ لدراسة العلوم السياسية كخطوة نحو كلية الحقوق. لكن خطأ ما وقع...

تعرفت كيري خلال دراستها الجامعية الى رجل من عائلة ثرية يكبرها بعشرين عاماً وله طفلان. فأحبته وتزوجته.

عرض توبي عليها بعض الكوكايين مباشرة بعد زواجهما. فماشته رغبة منها في أن تلقى قبولاً في عالمه "العصري" المترف. استخدمت كيري قشة لاستنشاق المسحوق الناعم، فأحست بوهج يملأ جسدها، وسرعان ما كانت تفيض ثقة ونشاطاً. انه شعور لم تعهده من قبل.

(١) الشخصيات في هذا المقال واقعية لكن اسماءها مستعارة.

FOR THEIR ASSISTANCE IN PREPARING THIS ARTICLE, READER'S DIGEST WISHES TO THANK JAMES COCORES, M.D., AUTHOR OF THE 800-COCAINE BOOK OF DRUG AND ALCOHOL RECOVERY; JOHN C. FLYNN, PH.D., AUTHOR OF COCAINE: AN IN-DEPTH LOOK AT THE FACTS, SCIENCE, HISTORY AND FUTURE OF THE WORLD'S MOST ADDICTIVE DRUG; AND COCAINE ANONYMOUS WORLD

عندما استنشقت كيري المسحوق، اذابته الاغشية الرطبة التي تبطّن الجيوب الانفية بسرعة، فانزلقت جزيئات الكوكايين عبر هذه الاغشية كما الرمل من خلال ثقوب المنخل، وملأت دورتها الدموية في أقل من ١٥ دقيقة.

عندما وصلت هذه الجزيئات الى الدماغ، واجهت حاجزاً مهمته اعاقة دخول المركّبات الضارة. لكن عدداً من العقاقير المخدرة يستطيع اختراق هذه الدرع بالعوم عبر جزيئات المادة الدهنية التي يتكوّن منها الحاجز. ومن المركّبات القادرة على ذلك الكحول والنيكوتين والكوكايين.

دامت نشوة كيري عشرين دقيقة فقط. لكن الكوكايين كان في هذا الوقت – بعد تجربة واحدة فقط – بدأ يحكم قبضته على عقلها. فلما عُرضَ عليها مزيد منه بعد أيام قبلته بحماسة. ومن جديد أحست أنها تطفو في اللذة الجسدية.

استنشقت كيري تلك الليلة جرعة أخرى، وفي السرير مع زوجها بدا كأن المخدر جعل اللذة تعلو الى حدود لم تختبرها من قبل.

ان الجهاز الهامشي[٢] أي "الدماغ الحيواني" البدائي الذي ينظم المشاعر والعواطف والغرائز الرئيسية الضرورية لاستمرار الحياة مثل الاكل وتفادي الاخطار، يقع في عمق دماغ كيري. وهو على ارتباط وثيق بمناطق أخرى في الدماغ مسؤولة عن توليد مشاعر اللذة.

يسبب الكوكايين نوعاً من "التماس الكهربائي" في هذه النشاطات البيولوجية الحيوية فيعوقها بتزويده الجسم متعة فورية. يثير المخدر مراكز اللذة في الدماغ الى حد أن الحيوانات المخبرية، التي تعطى مورداً غير محدود من الكوكايين، تهمل الطعام والجنس كلياً لتغرق في المخدر الى أن تصاب "الدورات الكهربائية" المثقلة في أدمغتها بالتشوش مسببة الوفاة. لكن كيري لم تكن تعرف شيئاً عن هذا!

أصبح الكوكايين ضرورة لكيري خلال أشهر قليلة، ولم تعد تتعاطاه من أجل المرح بل غدت مضطرة الى تناوله: تتنشقه في الصباح لتتمكن من بدء يومها، وتتنشقه خلال النهار لتحافظ على توازنها، وتتنشقه في المساء للاسترخاء.

بدأت تبرر تعاطيها الكوكايين فتتساءل: "ما العيب في أن يشعر الانسان بالراحة والابتهاج؟" ثم تقنع نفسها بأنها ليست مدمنة بل تستطيع التوقف ساعة تشاء، فالمدمنون هم أبناء أزقة يستخدمون الحقن، لا نساء محترمات مثلها.

داخل دماغ كيري نحو عشرة مليارات خلية عصبية[٣] تعمل في الحفاظ على أداء الأنظمة الحيوية في جسمها وفي تنظيم أفكارها ومشاعرها. عندما تستقبل واحدة

(٢) Limbic system

(٣) Neuron. وتدعى ايضا عَصَبَة وعصبونا.

من هذه الخلايا رسالة من احدى الحواس الخمس، تطلق اشارة كهربائية صغيرة عبر فروعها في اتجاه خلايا عصبية مستقبلة أخرى.

يفصل بين الخلايا العصبية فراغ مجهري الحجم يدعى نقطة الاشتباك،[٤] كالفاصل بين قطبي شمعة احتراق (بوجي). ولا تستطيع الاشارة الكهربائية القفز عبر هذا الفراغ، لكنها تطلق مواد كيميائية، أو ناقلات عصبية،[٥] من عقالها لتنقل الرسالة عبر هذا الفراغ.

واحد من مئات الناقلات العصبية يدعى "دوبامين"[٦]، ومعروف أن أمراضاً عقلية خطيرة مثل الفصام (شيزوفرينيا)، واضطرابات في الحركة الجسدية مثل مرض باركنسون، تنتج من نقص غير طبيعي في امدادات الدوبامين.

تتولى "مضخة" جزيئية في الدماغ السليم تَقْنية فائض الدوبامين وارجاعه بسلام الى الخلية العصبية المرسلة لاعادة استخدامه في المستقبل. ويعتقد بعض الخبراء أن الكوكايين يسدّ هذه المضخة فيمنع عودة الدوبامين الى مقره الاساسي، ويعتقد البعض الآخر أن الكوكايين يسرِّع عمل المضخة مما يرفع كمية الدوبامين المتوافرة. وفي كلتا الحالين تبقى هذه المادة الكيميائية داخل نقطة الاشتباك تهيّج الخلايا العصبية باستمرار. هذه الوفرة المفرطة في المواد الكيميائية الدماغية هي التي منحت كيري ذاك الشعور الطاغي بالارتياح والبهجة.

---

(٤) Synapse

(٥) Neurotransmitters

(٦) Dopamine

EDWIN HERDER

في نهاية عامها الاول من تعاطي الكوكايين صارت كيري تستنشق غراماً منه كل يوم، ثمنه نحو ١٤٠ دولاراً. ونمَّت في نفسها أوهام مناعة من الادمان، رافقتها فورات من النشاط الفائض وحالات أرق حادة. ثم بدأت التشاجر مع زوجها توبي لاعتقادها أنه يستهلك أكثر من حصته من المخدر. فعملت عارضة أزياء وصارت تشتري مخزونها الخاص من الكوكايين، وكانت، عندما ينقصها المال، تنفق من المبلغ الموفور لتغطية تكاليف دراستها المنتظرة في كلية الحقوق.

لم يدرك أحد، حتى كيري نفسها، درجة الادمان التي بلغتها، اذ استطاعت احراز علامات مقبولة في الجامعة والاهتمام بطفلي توبي والعناية بشؤون البيت في آن. بدت الامور طبيعية، وخيل الى كيري أن حياتها لم تكن أبداً أفضل مما هي. لكنها مع ذلك كانت تعاني هَوَساً: تتخيل أنها تسمع صفارات سيارات الشرطة فتختبيء في الخزانة ظناً منها أن رجال الشرطة آتون للقبض عليها.

بدأت كيري تخسر من وزنها في عامها الثاني من تعاطي المخدر. وهالها أن تلاحظ بقعاً حمراً على وسادتها في الصباح: لقد بدأ أنفها ينزّ دماً.

يقلّص الكوكايين الاوعية الدموية عند الملامسة مما يعوق الدورة الدموية الى حد خطير. كانت الاغشية المخاطية في أنف كيري تذبل لافتقارها الى التغذية. وعندما تموت الانسجة تنسلخ عن مواقعها وتترك آثار دم على الوسادة.

في بعض الحالات تموت كمية كبيرة من الانسجة مما يحدث ثقوباً في الحاجز الغضروفي بين المنخرين. وقد يحفر خرّاج في عظم التجويف الانفي، لكن المدمن لا يحس الالم أثناء تعاطيه الكوكايين لأن هذا مخدر موضعي قوي.

فاقت رغبة كيري في الكوكايين رغبتها في الطعام، لان الكوكايين كاتم قوي للشهية كذلك.

في محاولة لحل مشكلة النزف من الانف، علَّم توبي زوجته طريقة تحضير الكوكايين المنقّى[٧] بازالة المواد الغريبة – كالسكر والكاز والاملاح الحمضية – التي يضيفها مروجو المخدرات الى الكوكايين لمضاعفة أرباحهم. وباستخدام مواد محلّلة متطايرة لتنقية الكوكايين استطاع توبي انتاج مخدر تقارب درجة نقائه ١٠٠ في المئة هو أشد فاعلية بخمسة أضعاف من الكوكايين المخفف. المهم في عملية التنقية أنها تتيح تدخين الكوكايين مما يريح أنف كيري المعطوب.

وضع توبي الكوكايين النقي المتحجر في غليون قدَّمه الى كيري، فأخذت منه نفساً عميقاً. وفي لحظات جُنَّت الدوائر الكهربائية التي تتحكم بمشاعر اللذة في دماغ كيري وحملتها الى نشوة لم تعرفها من قبل.

أحست كيري تلك الليلة ضيقاً في

(٧) Free base

التنفس كأن فيلا يجثم على صدرها. ولم يفارقها هذا الشعور في الصباح، فطمأنها توبي الى أنه طبيعي للمبتدئين وأن الانقباض في صدرها سيختفي خلال ساعات.

لم يقتصر مفعول الكوكايين المنقّى على حمل كيري الى "أعالٍ" جديدة. فالكوكايين يؤثر مباشرة في عضل القلب ويدفع القلب الى الخفقان من غير فاعلية ويضيِّق أوعيته مما يحدّ من كمية الاوكسيجين الضرورية لأداء أمثل. في هذه الاثناء يسرِّع القلب خفقانه لمجاراة السريان المقيَّد للدم في أنحاء الجسم. انها حلقة مفرغة، اذ سرعان ما يصبح القلب المتعطش للاوكسيجين عاجزاً عن ضخ الدم الذي يدخله بسرعة كافية، فيرتد هذا الدم الى الرئتين مما يجعل التنفس مجهداً ومؤلماً، ويبدأ المدمن "الغرق" في سوائل جسمه.

وتتضاعف احتمالات الاصابة بنوبة قلبية أو بسكتة دماغية (فالج). لقد حالف الحظ كيري حتى الآن، فلم تعانِ الاّ ألماً في صدرها.

لم تلتحق كيري بكلية الحقوق مع أنها أنهت دراستها الجامعية وإن بصعوبة. فقد أصبح الكوكايين همها الوحيد، ثم انها استنفدت المبلغ المخصص لدفع رسوم الكلية.

وبدأ الشجار بينها وبين توبي يأخذ منحى عنيفاً. ولجأت كيري مرتين الى مركز يعنى بالنساء اللواتي يتعرضن للاذى في منازلهن، لكنها سرعان ما كانت تعود يحدوها الامل في الحصول على مزيد من الكوكايين. وعندما اشتكى الجيران الى الشرطة من الشجارات المتكررة بين الزوجين، أرسل الولدان للعيش مع أمهما الحقيقية.

انقطعت كيري عن أصدقائها وعائلتها. كان والدها قضى بنوبة قلبية بعد صراع مرير مع ادمان الكحول، وفقدت والدتها وشقيقتها الامل في شفائها.

وصلت كيري في هذه الاثناء الى درجة عالية من الادمان بحيث كانت تحتاج الى تنقية ٣،٥ غرامات يومياً من الكوكايين يبلغ ثمنها ٥٠٠ دولار. ولدفع نفقات ادمانها اضطرت الى أن تصبح شريكة في أعمال الرجل الذي كان يزودها المخدر في متجر لبيع التحف هو في الواقع واجهة لعمليات ترويج المخدرات وتبييض النقود.[٨] كانت حصتها من الارباح جيدة، أكثر من ٥٠ ألف دولار سنوياً، اضافة الى ما تستطيع أختلاسه من مخدر ونقود.

بدأت كيري تعاطي الكحول الى حد السكر كلما زالت نشوة الكوكايين، فالكحول يقاوم الهبوط النفسي الذي يعقب نشوة الكوكايين. وغالباً ما كانت تتناول أقراص "ڤاليوم" المهدئة مع

(٨) تبييض النقود (laundering) يعني توظيف اموال من مصادر غير شرعية وتنقيلها بين مؤسسات مالية مختلفة لاخفاء مصادرها. أهم مصادر هذه الاموال: المخدرات والعاب الميسر و"الرقيق الابيض" والتهرب من دفع الضرائب.

الخمرة لزيادة مفعولها، وسرعان ما تحس بالحاجة الى الكوكايين مرة أخرى لكي تفيق من سكرتها، مما أوقعها في شرك دوامة انحدارية بشعة.

كانت مستويات الدوبامين في دم كيري تنخفض مع كل زوال لتأثير الكوكايين، مما سبب لها هبوطاً نفسياً وجسدياً. فالدماغ، عادة، يعوّض الدوبامين المستهلك من طريق البروتيينات الموجودة في الطعام. لكن الدوبامين يُستنزف بسرعة لدى مدمني الكوكايين بسبب سوء التغذية، ولأن الكوكايين يعطل الآلية التي تعيد "تدوير" هذا الناقل العصبي للاستخدام المستقبلي.

وبما أن الكحول وعقار الفاليوم يحدّان من فعل الجهاز العصبي المركزي، فانهما يقاومان تأثير انخفاض مستوى الدوبامين وإنْ موقتاً. التناقض العجيب هو أن الآثار المتأتية من الافراط في الكحول والفاليوم - الرجفة التي يسببها السُكْر مثلا - ضاعفت حاجة كيري الى الكوكايين.

بدأت كيري تحس بحكاك و"تنميل" في جلدها، فصارت تستحم بهوس نحو اثنتي عشرة مرة في اليوم، من دون أن تتخلص من هذا الاحساس. ثم بدأت تتخيل رؤية أشياء، كامـرأة مقطعة الاوصال تحوّم فوق رأسها بشعرها الاحمر وعينيها السوداوين الغائرتين. أصبحت الوهدات المظلمة التي تهبط اليها كيري بعد كل نشوة لا تطاق، حتى انها حاولت الانتحار مرتين: الاولى عندما ابتلعت ليتراً من الويسكي مع حفنة من المهدئات والمسكنات، والثانية عندما التهمت كمية من المسكنات التي تباع من دون وصفة طبية، أبقتها ستة أيام مربوطة الى جهاز غسل الكلى.

أصبح الكوكايين الآن ضرورة للبقاء. لم تعد كيري تشعر بالنشوة، بل تحولت كتلة مشدودة من الاعصاب، وطغت شهوتها الى المخدر على أي اهتمام بالجنس أو بالطعام أو بالعائلة أو بالعمل. صارت ترتجف وتتلوى وتتقيأ ما في معدتها، وكلّما حاولت انقاص كمية الكوكايين التي تتعاطاها يصرخ جسدها طالباً المزيد.

ان تخيلات كيري هي نتيجة التشوش الذهني الذي يسببه الكوكايين. فبقاء كميات كبيرة من الدوبامين لفترة طويلة طافية في نقاط الاشتباك العصبية في دماغها خلال كل نشوة كوكايين، كان يدفعها الى الجنون. وكانت مسالكها العصبية التي يستثيرها المخدر ترسل الى الدماغ معلومات حسية كاذبة. ان الشعور بنمل يزحف على جلدها ظاهرة طبيعية تدعى "نمل الكوكايين."

في هذه الاثناء، عندما يزول مفعول المخدر يهبط مستوى الدوبامين أكثر فأكثر، فلا يعود في استطاعة خلايا الدماغ تعويض الكميات التي استهلكها المخدر، ومن الطبيعي أن يتناقص الاحتياط من هذا الناقل العصبي الى حد أن الكوكايين

لا يعود يثير كثيراً من اللذة. وبدلا من ذلك، أصبح الاختلال الكيميائي في دماغ كيري يغرقها في كآبة عميقة.

استطاعت كيري، بجهد خارق، أن تصالح توبي مرة أخيرة وتحبل. لكنها أدركت خطأها في شهر الحمل الرابع. فقد أخافها ادمان توبي ومزاجه المتقلب وخشيت على جنينها، فانتقلت لتعيش مع احدى صديقاتها. واستمرت في تنقية الكوكايين وتدخينه وتعاطي المشروبات الكحولية. لم تفكر في احتمال ولادة طفلها مدمناً أو مشوهاً الا عند المخاض، فراحت تصلّي وتبتهل الى الله لكي يولد طبيعياً، وأقسمت أنها لن تتعاطى المخدرات بعد ذاك.

ولدت كيري طفلا صحيحاً وفي موعده، فسمته جوشوا. لكنها سرعان ما نسيت قسمها وعادت تستنشق الكوكايين حتى قبل مغادرتها المستشفى.

في المنزل كانت كيري تزعق في وجه طفلها كلما أصدر صوتاً وتهمله عندما يهدأ وتنسى وجوده كلياً.

أما في العمل فقد بدأت تراودها وساوس بأن شريكها يعد للايقاع بها اذا ما أغارت الشرطة على محل بيع التحف، فتركت العمل. ولما كانت في حاجة الى المال ثمناً للمخدر، فقد عملت مع مروج مخدرات جديد هو مدمن هيروين وسمسار بغاء.

بدأ تدخين الكوكايين بواسطة الغليون يسبب لكيري تسارعاً في نبضها ونوبات سعال، اضافة الى شعور بالخدر في فكها وعنقها. وأحياناً كانت قوة المخدر تركعها.

ان الخدر في فكّ كيري وعنقها هو من أعراض نوبة خفيفة هي أمر عادي بين مدمني الكوكايين. فالمخدر كان يدمر أعضاءها الحيوية. بدأت الخلايا العصبية "تشتعل" في فورات متزامنة محدثة عواصف كهربائية في دماغها. كان قلبها المتعطش للاوكسيجين يصارع ارتفاعاً حاداً في ضغط الدم فيخفق من غير انتظام، كما انهار أداء رئتيها لامتلائهما بالسوائل المرتدّة من القلب. كانت كيري تشهق طلباً للهواء وتسعل في محاولة للتخلص من هذه السوائل.

أما ألد أعداء كيري فكانوا من بنات خيالها. لذا اشترت كلب حراسة ومسدساً لحماية نفسها من "مطارديها."

مضى على ادمان كيري ست سنوات، خسرت خلالها كل شيء بما في ذلك زوجها توبي الذي نجح في الانتحار حيث فشلت هي. لم يبق لها سوى طفلها، لكن الكوكايين أخذه منها في النهاية، اذ قررت دائرة الخدمات الاجتماعية في المدينة وضعه في رعايتها لان كيري كانت أماً مهملة ومدمنة مخدرات ولها سجل اجرامي (دينت أربع مرات بتهمة قيادة سيارة وهي في حال سكر، وقبض عليها مرتين في قضايا تتعلق بالمخدرات.)

صادف عيد ميلادها السابع والعشرون ١٦ أغسطس (آب) ١٩٨٨،

فأعدت لها زميلتها في المسكن حفلة في مطعم قريب. أخبرتها كيري أنها ستلحق بها الى المطعم، ثم دخلت الحمام وأقفلت الباب وأسندته بكرسي. كانت في حاجة الى وقت بمفردها لتنقية الكوكايين. توهمت عفاريت تتسلل عبر الباب، فانزوت في حوض الاستحمام مذعورة.

سحبت كيري نفسا عميقا من الغليون، فبدأ قلبها الخفقان بشدة كأنه سينفجر، وأحست بدوار. عندما حاولت الوقوف وقعت على حافة الحوض فاقدة الوعي.

حين استعادت وعيها زحفت الى الهاتف واتصلت باحدى صديقاتها طالبة المساعدة، ثم غابت عن الوعي ثانية.

ارتفعت حرارة كيري الى ٤٠،٥ درجة مئوية، وكانت الموجات الكهربائية في دماغها في ثورة فوضى فيما ملايين الخلايا "تشتعل" بجنون. انتقلت كيري الى حال غيبوبة وبدات اطرافها تنتفض متشنجة، لكن المخدر لما ينتهِ من مهمته التدميرية.

عندما استعادت كيري وعيها ودبّت الى الهاتف، تشنج شريان صغير في الجهة اليمنى من دماغها كان ضاق بسبب تعاطي الكوكايين. فتحركت جلطة دموية من مكانها بفعل التشنج وسدت الشريان الضيق، فتوقف سريان الدم كلياً في الجانب الايمن من الدماغ. لقد أصيبت كيري بسكتة دماغية (فالج).

خلال ثوان بدأت الخلايا العصبية التي تتحكم بالعضلات تموت. فارتخى فم كيري ولم تعد ذراعها اليسرى وساقها اليسرى تستجيبان. ثم توقفت عن التنفس. وبدأ قلبها المجهد يخفق من دون انتظام حتى لم يعد قادراً على ضخ الدم الى جسمها.

لم تكن كيري تعي أياً من هذه الامور، فقد كانت ميتة فعلا.

عندما وصل المسعفون الطبيون بدأوا انعاشها بواسطة التنفس الاصطناعي، واستخدموا جهازا خاصا يولِّد صدمة كهربائية لوقف الرجفان القلبي. وتنفسوا الصعداء عندما عادت المؤشرات الحيوية في جسمها تظهر بضعف.

أفاقت كيري في المستشفى لتجد أنبوبا رغاميا يمرّ في حنجرتها. وأخبرها الطبيب المناوب في غرفة الطوارىء أنه يستغرب نجاتها من السكتة الدماغية المتأتية من تعاطي الكوكايين. كانت أطرافها اليسرى أصيبت بالشلل، والوقت وحده كفيل بمعرفة ما اذا كانت ستستطيع السير ثانية. لكن الطبيب حذرها من أن الثابت الوحيد هو أنها اذا لمست الكوكايين ثانية فسوف تكون المرة الاخيرة.

خرجت كيري من المستشفى في كرسي متحرّك، وعادت الى منزلها وكلها تصميم على ألا تبقى أسيرة الكرسي طوال حياتها. وتولت ممرضة مرافقتها الى مركز لاعادة التأهيل. وبحلول عيد الميلاد عادت كيري تمشي باستخدام عكازتين ومشبك معدني لاثبات ركبتها.

وعاد الكوكايين يغريها. كانت ستة أشهر مرت من دون أن تتعاطى المخدر،

عندما دعاها أصدقاء الى حفلة في أحد فنادق المدينة في فبراير (شباط) ١٩٨٨. أحضر أحد المدعوين غليوناً وعرض عليها نفساً من الكوكايين. ظنت كيري أن في استطاعتها أخذ نشقة من دون أن يفلت زمام الامور من يدها، فتناولت الغليون وأخذت نفساً. دار رأسها بنشوة تعرفها جيداً. فأخذت نفساً آخر من الغليون، وآخر وآخر...

بعد سبعة أيام كانت كيري الوحيدة التي بقيت في الفندق. مر أسبوع من دون أن تعي شيئاً، فلم تستحم ولم تتناول طعاماً لايام، وعندما وقفت أمام المرآة صعقت لصورة المرأة الخائرة المحدقة اليها.

أحست كيري فجأة أنها وصلت الى نهاية علاقتها، ليس بالكوكايين فقط، وانما بالكحول والفاليوم وكل العقاقير الاخرى. أدركت أنها وصلت الى الحضيض بعدما أهدرت ست سنوات من عمرها خسرت خلالها عائلتها وبددت أكثر من مئتي ألف دولار على المخدرات.

حضرت، بعد ثلاثة أيام، اجتماعاً لـ"مدمني الكوكايين المجهولين."[٩] ثم دخلت مستشفى للمعالجة من آثار السموم، وغادرته بعد أسبوعين لتعاود علاجها الطبيعي. عملت بجهد الى أن استطاعت، بعد تسعة أشهر من اصابتها بالسكتة، رفع كوب قهوة الى فمها بيدها اليسرى، وبعد ١٦ شهراً خطت خطوتها الاولى من دون عكاز.

بدأ دماغها يصطلح فيما جسدها يستعيد حاله الطبيعية. أقامت صداقات مع مدمنين سابقين في طريقهم الى الشفاء، وقطعت كل اتصال بمعارفها أيام الادمان، وقاومت كل اغراءات الكوكايين.

تبدو كيري اليوم طبيعية، وتعمل مديرة في مؤسسة للخدمات المالية. لكن الكوكايين ترك فيها بصمة لن تمحى: هناك ضعف في ساقها اليسرى، والضرر الذي أصاب دماغها يسبب لها نوبات دورية من التشنج وفقدان الوعي. وفي ذاكرتها ثغرات كبيرة.

لقد مرت سنتان على كيري لم تتعاط خلالهما مخدرات ولا كحولاً، لكنها تعلم أنها لحظة تتخلى عن حرصها سيعود "الوحش" ليجثم على صدرها.

تبدو على كيري مسحة من حزن، مع شعور بالامل وايمان روحي متجدد. انها مخطوبة لستيف، زميل لها من المدمنين السابقين يعالج كآبتها بالزهور. وهما يأملان أن يعيشا بقية حياتهما خالية من المخدرات.

قصة كيري ليست فريدة، انما المميز فيها شجاعة كيري واستعدادها لمشاركة الآخرين في تجربتها. وهي تقول: "الكوكايين كذبة كبيرة. انه يعدك بالجنة بينما يدمر حياتك. انني موقنة من ذلك، فلقد رأيت الشيطان. انه يأتي في قمقم زجاجي صغير."

بير أولا واميلي دولير ■

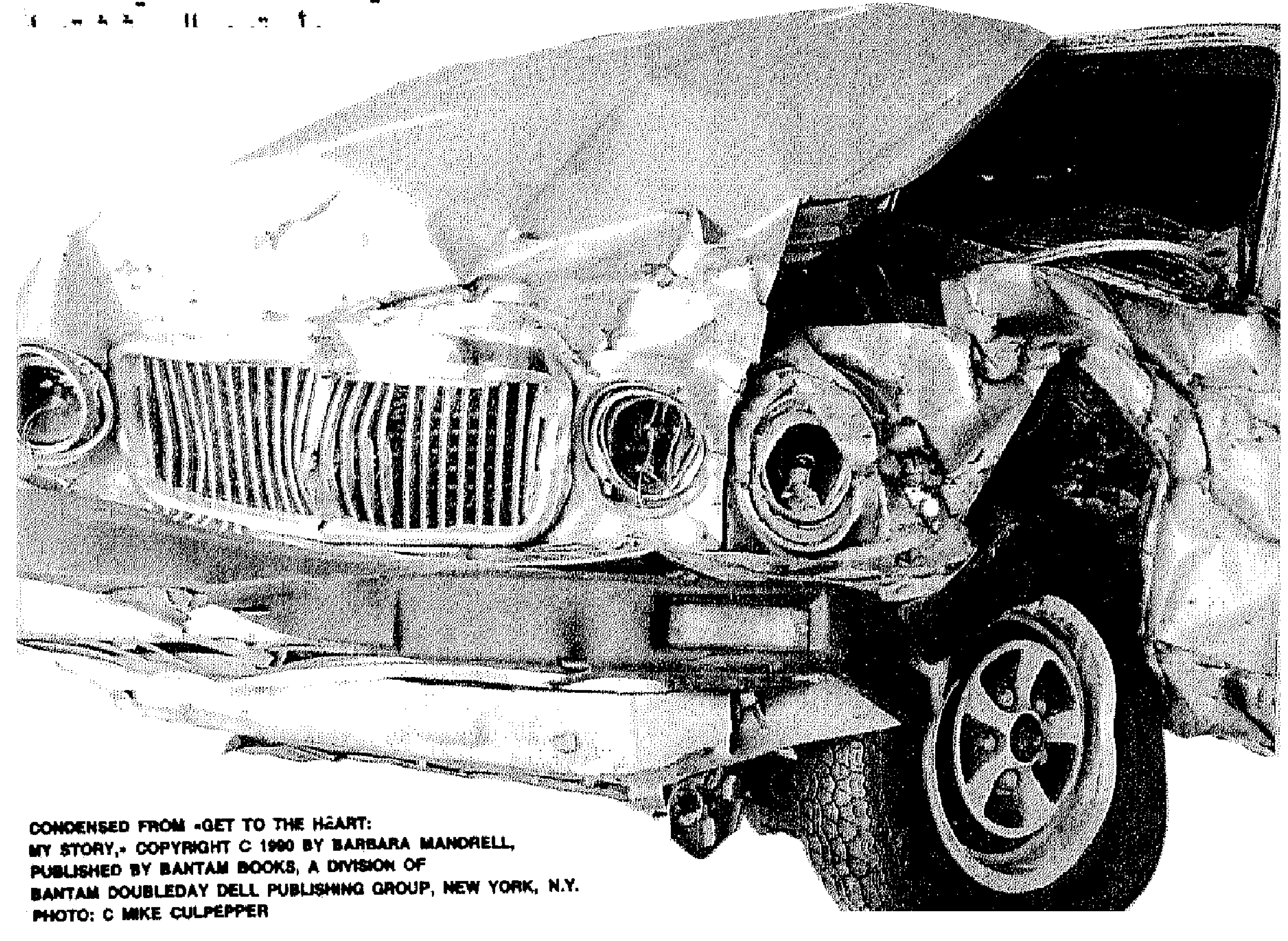
(٩) Cocaine Anonymous وهي مجموعة من المدمنين تجتمع لمناقشة مشاكلها في محاولة لمساعدة افرادها على التخلص من الادمان.

"شدوا الاحزمة!"

لطالما هزأت هذه الفنانة المعروفة من فكرة حزام السلامة... حتى بدّلت الاحداث رأيها وحياتها

غمرتني كآبة ووحشة الى بيتي وعائلتي وأنا في جولة موسيقية في مساتشوستس في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤. كان زوجي كن في ولاية واشنطن يشرف على بناء بيت لجدته، فيما بقي ولداي، مات (١٤ عاما) وجايمي (٨ أعوام) في البيت في غالاتين بولاية تنيسي.

اعتاد الولدان في صغرهما أن يسافرا معي خلال جولاتي، يغنيان ويمرحان ويراجعان دروسهما. أما الآن فقد كبرا. أحسست تلك اللحظة بشوق عارم الى رؤيتهما: الى أن أكون معهما في المنزل، أحتسي القهوة



CONDENSED FROM «GET TO THE HEART: MY STORY,» COPYRIGHT C 1990 BY BARBARA MANDRELL, PUBLISHED BY BANTAM BOOKS, A DIVISION OF BANTAM DOUBLEDAY DELL PUBLISHING GROUP, NEW YORK, N.Y.
PHOTO: C MIKE CULPEPPER

وهما يعدان فروضهما ويتشاجران. فقلت لمديرة أعمالي جوان بيري: "دعيني أرى دليل الجولة." ظهر في الدليل اننا سننتقل من مساتشوستس الى كنساس. تتبعت الخريطة واكتشفت أننا سنمر على بعد ١٥٠ كيلومتراً الى الشمال من غالاتين.

سألت جوان: "هل من مانع في المرور ببيتنا؟"

فأجابت: "أبداً، لكنك لن تستطيعي البقاء هناك أكثر من ثلاثين ساعة."

"يكفيني هذا!"

تذكرت نفسي وأنا في الحادية عشرة من عمري نجمة في فرقة "ستيل غيتار." كانت والدتي تعزف في فرقتنا العائلية، لكنها مع ذلك ملأت حياتنا بالوجبات الشهية وهدايا أعياد الميلاد والكلمات الحنونة. كنت أتوق لان أكون مع ولديّ أعاملهما بالطريقة ذاتها.

وصلنا الى البيت مساء الاثنين في ١٠ سبتمبر (أيلول) واندفعت لاعانق مات وجايمي. خامرني شعور رائع لكوني في بيتنا، على رغم غياب كن. وكان رائعاً التلهي في أرجاء المنزل صباح اليوم التالي، وكأن حياتي الحقيقية بدأت ثانية. وفي المساء قدت السيارة لاحضار الولدين من المدرسة، ومن ثم الذهاب الى السوق لشراء أثاث لمنزل جدة كن.

لم أربط حزام السلامة، اذ لم أكن أؤمن بجدواه.

في محل لبيع التحف لمحت بيت دمى اشتريته لجايمي. وأخبرتنا البائعة أنها سوف تشحن مشترياتي الاخرى الى واشنطن، فشكرتها وعدنا الى السيارة.

كانت الساعة تقارب السادسة مساء ولم يحلّ الظلام بعد. اتجهنا الى المنزل عبر طريق غالاتين، حيث كان الجد ماندريل يركب حصانه في أوائل القرن، أما الآن فثمة شارع عريض ذو خمسة مسارات مع مقطع للالتفاف في الوسط. جلس مات في المقعد الامامي الى جانبي وجلست جايمي في الخلف تقرأ، اذ كان عليها أن تحفظ بعض المقاطع غيباً وكانت تتلوها بصوت مرتفع ونحن في طريقنا الى البيت.

يخبرني ولداي أنني، أثناء مرورنا قرب مقبرة، قلت: "هنا أود أن أُدفن." أنا لا أذكر شيئاً من هذا القبيل، لكن جايمي تذكر أنها اعتبرت كلامي غريبا. أظن اننا كلنا نبدأ حياتنا بالاعتقاد أننا خالدون.

لقد تلاشت في ذاكرتي تفاصيل ما حدث بعد ذلك، لكنني أذكر أنني توقفت عند اشارة مرور ضوئية. كانت أمامنا سيارة "ستايشن" فُتح بابها الخلفي وجلس أطفال في صندوقها يمرحون على بعد سنتيمترات من حافتها. وفكرت: لو انطلق السائق بسرعة أو انحرف فجأة فقد يقذف بهؤلاء الاطفال الى الطريق أمام السيارات الاخرى.

قالت جايمي: "انظري اليهم يا أمي!"

هتفت: "انهم مجانين! أعتقد أننا يجب أن نربط أحزمة السلامة."

نظر الولدان اليَّ كأنني أصبت بمس، فحتى تلك اللحظة كنت أتذرع بأي حجة



بربارة ماندريل وابنتها جايمي وابنها مات.

لكي لا أربط الحزام: انه مصمم للرجال وغيرِ مريح، أو انه يخرب شعري، أو انه يغضن ثيابي، أو انني أريد أن أكون قادرة على الخروج من السيارة اذا حدث اصطدام أو شب حريق، أو... لماذا يجب موظفو الحكومة أن يعلمونا دائما كيف نحيا حياتنا؟

يمكنني ذكر عشرة أسباب أخرى لتبرير عدم استعمال الحزام، لكن الصوت في تلك اللحظة لم يكن صوتي بل صوت شقيقتي لويز. فلا أحد يستطيع ركوب سيارة مع لويز من دون أن يضطر الى ربط حزام السلامة، لانها سوف تبدأ محاضرة: "ان الحزام، في حال توقف مفاجيء، يحفظ رأسك من التشقق كبيضة مسلوقة على لوحة القيادة أو الزجاج الامامي. وقد ينقذ حياتك!" وكنت أردّ ساخرة: "بالتأكيد!" لكنها تأخذ في التلويح بمفاتيح السيارة أمام عيني حتى أربط ذلك الحزام اللعين.

هكذا، عندما رأينا الاطفال في سيارة الستايشن وهتفت أنا: "اربطوا الاحزمة!" خرجت الكلمات من فمي بصوت لويز ماندريل الحازم الملح الذي يفرض نفسه على حريات الآخرين. وربط ولداي الاحزمة.

كنا نتجه شرقاً في طريق غالاتين على بعد دقائق من البيت، عندما وقع الحادث. ذكر تقرير الشرطة أن السيارة الاخرى عبرت مقطع الاستدارة واتجهت نحو خط السيارات المقبلة. انحرفت الشاحنة الصغيرة أمامي فأصبحت سيارتي هدفاً مكشوفاً. واصطدمت السيارتان رأسياً بسرعة ٩٠ كيلومتراً في الساعة.

قتل سائق السيارة الاخرى من فوره، واسمه مارك هوايت وكان طالباً جامعياً في التاسعة عشرة من عمره. وأكد تقرير الطبيب الشرعي انه لم يكن تحت تأثير الكحول أو المخدرات.

كل ما أعرفه عن الحادث عرفته من آخرين. تهشم مقدم سيارتي واصطدم غطاء المحرك بالزجاج الامامي وتحطم الباب الى جانبي. أصبت أنا بكسور في عظم الفخذ والاضلاع والكاحل وأصابع القدمين، وبجروح في ركبتي وذراعي اليسرى وكدمات في وجهي، اضافة الى جروح داخل فمي من جراء اصطدامي بعجلة القيادة، كما عانيت ارتجاجاً دماغياً خطيراً.

هنا ما تذكره جايمي:

"أحسست صدمة، ربما اثنتين. كانت عنقي تؤلمني، ورأيت وجه مات والدم

PHOTO: © DANA THOMAS

ينزف من جروح كأنما سببتها شفرات حادة. أما والدتي فكانت ملقاة على عجلة القيادة وهي تئن. فككت حزامي وخرجت من السيارة.

"كنت أرتجف بشدة، فاستلقيت على العشب فيما أخرج ولد صغير وأمه بيت الدمى من السيارة.

"أذكر أنني سمعت رجلا يقول: "انها ميتة." فشعرت بالهلع لأنني اعتقدت أنه يقصد أمي."

نقلنا رجال الاسعاف بسرعة الى المستشفى حيث عالجني الاطباء من الصدمة وثبتوا دبوساً فولاذياً في عظم فخذي المصاب بكسور مضاعفة ورفعوا رجلي بواسطة أثقال. أصيب مات اصابات داخلية، كما كسر عظم خده وجرح وجهه. أما جايمي فسمح لها بمغادرة المستشفى لتقضي الليلة عند أصدقاء. وأسرع كن عائداً من واشنطن ليبقى بجانبي.

كل ما أعرفه أن أحزمة السلامة أنقذت حياتنا، بمشيئة الله. فلولاها لطُوِّحنا في الهواء وتحطمنا مثل دمى رخيصة.

عانيت، خلال فترة نقاهتي الطويلة، تقلبات مزاجية نتيجة الارتجاج الدماغي العنيف. كنت في لحظة أشيد بتصرفات ولديّ، وفي اللحظة التالية أزعق في وجهيهما. كما كنت قاسية على كن. لكنهم تحملوني بصبر لا يوصف، وقد استعدت الآن ٩٩ في المئة من طبيعتي القديمة.

مضى وقت طويل وأنا أتألم في داخلي ولا أستطيع الكلام عن الحادث. ومرت أربع سنوات لم أتجرأ خلالها على قيادة سيارة. كنت، حتى وأنا في المقعد قرب السائق، أحس بقشعريرة خوف كلما رأيت سيارة مقبلة. ولم أستجمع شجاعتي لتجديد رخصة القيادة حتى العام ١٩٨٩.

لم أكن أطيق ما يذكرني بالحادث، لكنني تطوعت لتمثيل دور في اعلان تلفزيوني عن السلامة العامة يدور حول أهمية حزام السلامة. وخيل الي أن وقع الاعلان سيكون أقوى اذا ما تم تصويري قرب سيارتي.


كان حطام السيارة محفوظاً في متحف شقيقتي لويز لتذكارات الموسيقى الريفية في بيدجون فورج بولاية تنيسي. ذهبت الى هناك ذات نهار مع مصور ليلتقط صوراً لي بجانب السيارة. لم أستطع تصديق ما رأيته عندما نظرت، عبر الزجاج المحطم والمعدن الملتوي، الى مقعد السائق: لم يعد هناك مكان للسائق، ولم يبق أي فراغ حيث يضع قدميه.

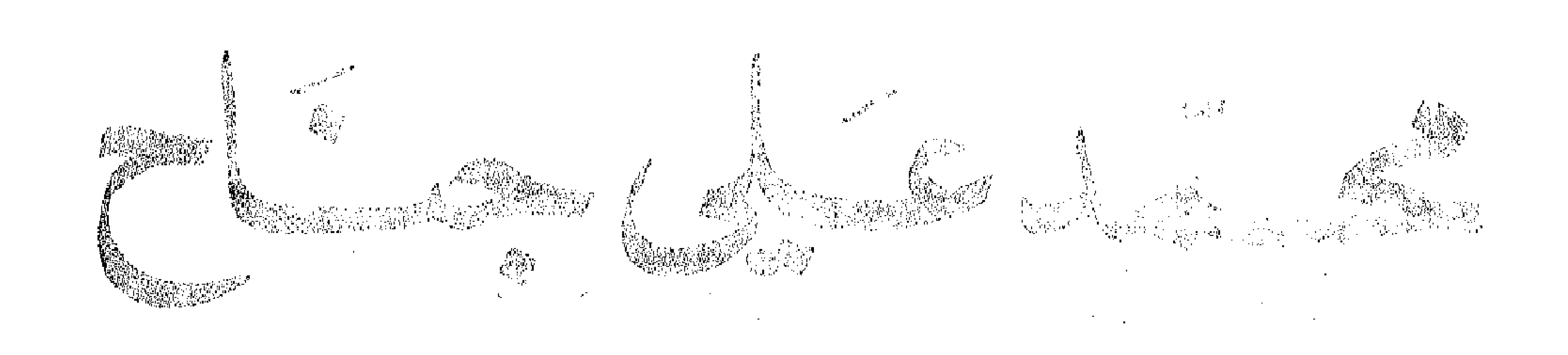
أدركت في تلك اللحظة كم دنوت من الموت، وأيقنت أنني سأظل بقية عمري أردد لنفسي كلما آلمتني ركبتي أو كاحلي: "الحمد لله، فأنا ما زلت حية!"

انني اليوم أرفض ركوب سيارة من دون أن أربط حزام السلامة، وإن تكن سيارة ليموزين.* ويخبرني الناس أحياناً كيف أنقذت الاحزمة حياتهم، فتبتهج نفسي. قد أكون ساعدت أحدهم... مثلما أنقذتني لويز.

بربارة ماندريل وجورج فكسي ■

(*) الليموزين سيارة ركاب مترفة.


هو مؤسس دولة باكستان
رجل تمتع باستقامة لم تشبها شائبة
وبحكمة أثبتت الاحداث صدقها



جهت الي الحكومة دعوة لتمثيل الهند في مؤتمر دولي للسلام يعقد في سان فرنسيسكو، لكن زعيم الحزب السياسي الذي انتمي اليه أخبرني بأنني لا أستطيع الذهاب. لماذا؟ لان حزبنا، "رابطة مسلمي عموم الهند،" ملتزم قرار عدم التعاون مع حكام الهند البريطانيين، وبصفتي عضواً نظامياً، لا يمكنني أن أشارك في وفد حكومي. كنت أتوق الى الذهاب، فسألته: "ألا يمكنني أن أشارك من غير أن أبحث في الامور السياسية؟"

رد محمد علي جناح بحدة: "عم تتحدثين اذا؟ عن الحياة على سطح القمر؟" ثم لانت ملامح وجهه وأضاف: "انني أدرك مدى خيبتك، لكن هذه مسألة مبدأ. أعدك بأنك ستشاركين يوماً في مؤتمر دولي وأنت تحملين شرف تمثيل بلدك."

حدثت هذه المواجهة في العام ١٩٤٥، لكن روعتها لا تزال تهزني حتى اليوم. أيُعقل أن محمد علي جناح، مؤسس باكستان و"القائد الاعظم" الذي يتمتع باجلال عشرات ملايين المسلمين، يتحمل مشقة تعليم واحدة من أصغر أتباعه درساً قيماً بأن الالتزام يتطلب انضباطاً وتضحية؟

لم يكن القائد سهل المعشر الى هذا الحد مع الجميع، فقد كان رجلاً حيياً، وكمعظم الرجال الجدِّيين، نادراً ما كان يبتسم. هابه الناس لفكره الخارق وأسلوبه المتحفظ، ولم يجرؤ كثيرون من كبار أعضاء "الرابطة الاسلامية" على مقابلته من دون موعد. أما مع صغار أتباعه فكان لطفه وصبره باديين للعيان. كنت عندما أرغب في سماع وجهة نظره في مسألة معقدة أو مثيرة للجدل، أدخل

عليه من دون موعد. ولم يرفض مرة واحدة استقبالي.

سمع يوما أن محمد نعمان الأمين العام لـ"اتحاد الطلبة المسلمين لعموم الهند" يجيد تقليده، فأرسل في طلبه. وعندما مثل أمامه بادره: "فلنرَ عَرْضك." بدأ نعمان، محرجا، تمثيل الدور. وعندما انتهى قال له القائد بابتسامة: "رائع!" ثم أعطاه قبعته الاستراخان[1] ونظارته ذات العدسة الواحدة قائلا: "خذ، انهما تجعلان المشهد حقيقيا أكثر."

كنت أشعر باطمئنان لا يوصف في رفقة القائد، لان ايمانه بصحة معتقداته كان مطلقاً. قد تبدو هذه الثقة بالنفس غروراً في رجل أقل صدقاً وذكاء، لكنها في القائد كانت مبعث ارتياح. كان الواحد منا يحس فعلا بأن حقوق مسلمي الهند الثقافية والسياسية هي في أمان في ظل قيادته، فلا عجب اذاً أن تجتذب مواهبه القيادية هذا العديد من الشباب المسلم الى العمل السياسي. أما من جهتي، فلا أظنني كنت سألتزم الصراع من أجل الحرية، أنا زوجة أحد كبار رجال الدولة وقد اعتدتُ الحياةَ المرفهة... لو لم ألتقِ محمد علي جناح.

وطن جديد. ولد محمد علي جناحباي (اختصرها لاحقا لتصبح جناح) في ٢٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٨٧٦، وكان الابن البكر لتاجر غني من كراتشي. كان الصغير محمد كثيراً ما يتغيب عن المدرسة مفضلا البقاء في المنزل ليدرس على هواه. وأخيراً ألحقه والده بمؤسسة تجارية في لندن كمتدرب. وافقت والدته على ذلك بشرط أن يتزوج قبل أن يسافر الى لندن. وهكذا عُقد لمحمد، ابن السادسة عشرة، زواج مدبَّر في العام ١٨٩٢. وكتبت شقيقته فاطمة جناح: "ربما كان هذا القرار المهم الوحيد في حياته الذي سمح لآخرين باتخاذه نيابة عنه."

لم يمضِ وقت طويل على وصول محمد الى لندن حتى تخلى عن التجارة لدراسة القانون، لانه أراد مهنة فيها تحدٍ فكري يَعْبُر من خلالها الى الحياة العامة. ثار والده وأمره بالعودة الى بلاده للحال، لكن ذلك لم يجدِ اذ ان والده كان أعطاه مبلغاً من المال يغطي اقامته في لندن مدة ثلاث سنوات.

كان محمد خلال اقامته في لندن يستمع الى نقاشات أعضاء مجلس العموم البريطاني. وتأثر عميقاً بالسياسيين الليبراليين (الاحرار) كما وقع في هوى المسرح وبقي طوال حياته متعلقا بمسرحيات شكسبير. الواقع أن القائد ينتمي الى ذلك الجيل من الهنود الذي تعلق أفراده بالطريقة البريطانية في العمل بعد دراستهم في بريطانيا. وكان يبدو، بثيابه الانيقة ونظارته ذات العدسة الواحدة على عينه اليمنى، كأحد النبلاء البريطانيين. كان غربيا في كثير من مناحي حياته، دقيقا في المواعيد وفي شؤون العمل.

(١) الاستراخان وبر من صوف حملان الكراكول.

أبحر محمد عائداً الى كراتشي في يوليو (تموز) ١٨٩٦ بعدما أمضى ثلاث سنوات ونصف سنة في بريطانيا. كانت عودته كئيبة، فقد توفيت والدته وزوجته خلال غيابه وانهارت أعمال والده.

اختار المحامي الشاب أن يبحث عن مستقبله في بومباي على رغم توافر عمل جيد له في مكتبي محاماة في كراتشي. وما ان استقر في حقل المحاماة حتى بدأ دوراً نشيطاً على الصعيد السياسي، منضماً عام ١٩٠٦ – ويا للعجب – الى حزب "المؤتمر الوطني" ذي الغالبية العظمى من الهندوس. وأصبح من غلاة الداعين الى الوحدة الهندوسية – الاسلامية، وكان رأيه أن المجموعتين لو تكاتفتا لاستطاعتا ممارسة ضغوط أكبر على البريطانيين لكي يغادروا الهند. لكنه توصل تدريجاً، بعدما رفض حزب المؤتمر آراءه غير مرة، الى اقتناع بأن المسلمين لن يحظوا بتمثيل عادل أبداً في هند تهيمن عليها طائفة الهندوس، ولذا أصبح داعية بليغاً لبناء وطن جديد – باكستان – يتشكل من مناطق الهند ذات الغالبية الاسلامية.

تتابعت المواجهات بين القائد ومهندَس كرمشاند غاندي مع تنامي الفرقة بين المجموعتين. ظاهرياً، كانت بينهما قواسم مشتركة كثيرة: فلهجتهما كليهما هي الغوجاراتية السائدة في ولاية غوجارات شمال الهند، وكلاهما درس الحقوق ومارسها في بريطانيا. أما من جهة المزاجية، فقد كان القائد منطقياً وصاحب حجة، بينما اعتمد غاندي الحدس أو "الصوت الداخلي" كما وصفه، وعندما اتهمه القائد مرة بأنه تراجع عن كلامه، رد غاندي بأن "النور الداخلي" أمره بذلك، فثار جناح قائلا: "تبا له وللنور الداخلي، لمَ لا يستطيع الاعتراف بأنه أخطأ؟"

كذلك اختلف الرجلان في أساليب ممارسة السياسة. فقد كان القائد يؤمن بالتغيير التدريجي المنظم، وصحّت توقعاته في أن سياسة العصيان المدني التي اعتمدها غاندي سوف تنتهي الى مزيد من العنف والمرارة. وعندما تبنى حزب المؤتمر في اجتماعاته عام ١٩٢٠ خط غاندي بأكثرية ساحقة، عارض القائد القرار بشدة وقال لغاندي: "ان طريقتك خطأ، والطريقة الصحيحة هي الطريقة الدستورية."

"الله أكبر!" انتقد القائد السياسة الاعتباطية للحكومة باستخدام القوة، معتبراً التوقيف الاحتياطي والرقابة السياسية ومنع التجمعات انتهاكات لحقوق كافح البريطانيون أنفسهم لاحقاقها خلال الحرب العالمية الاولى، وهاجم السلطات حتى عندما كانت اجراءاتها التعسفية تستهدف خصومه السياسيين.

لم يدَّعِ القائد يوماً أنه متديِّن متشدد على رغم أنه كان يمثل حقوق المسلمين وتطلعاتهم. وعندما هلل له الجمهور مرة على أنه كذلك، رد قائلا: "أنا لست

زعيمكم الديني، انني زعيم سياسي."
كان القائد منفتحاً، حتى انه أرسل شقيقته الى مدرسة داخلية للبنات وشجعها لاحقا على دراسة طب الاسنان. ويعود الفضل الى دعمه المستمر في توجه مسلمات كثيرات – وأنا منهن – الى النشاط السياسي.

كان عشرات الالوف من الفقراء الاميين يتدفقون الى اجتماعاته العامة وهم يهتفون بأصوات تصم الآذان: "الله أكبر!" و"عاش القائد!" كان يخطب بالانكليزية، لضعفه بالاوردية.[٢] ومع أن الجماهير لم تكن تفهم شيئاً مما يقوله، فقد كانت تصغي الى صوته الموزون الواضح بانتباه كلّي.

انتفاضة كرامة. لم يسيء القائد استغلال مركزه أبداً، مع أن استحواذه على الجماهير منحه قدرات كبيرة. في اجتماع لحزب الرابطة الاسلامية عام ١٩٤٢ في الله اباد اقترح البعض أن يكون القائد الممثل الوحيد للحزب في المفاوضات مع الحكومة البريطانية، وأن يخوَّل صلاحيات كاملة لأخذ القرارات المتعلقة بمستقبل الدولة الاسلامية. لكن مولانا حصرت موهاني، أحد زعماء الرابطة، احتجّ قائلا: "القائد ليس ديكتاتوراً، ولا يجوز منحه هذه الصلاحيات."

عم الهرج والفوضى قاعة الاجتماع، وظهر القائد فجأة على المذياع داعيا الى عودة النظام، ثم قال: "ان لمولانا كل الحق في التعبير عن وجهات نظره. وأنتم أيضاً لكم الحق عينه وقتَ التصويت."
وقد صُدِّق القرار بأكثرية ساحقة، لكن القائد لم يأتِ أي عمل من دون موافقة مجلس الرابطة الاسلامية.

كان الخلاف الصادق في الرأي بالنسبة الى القائد شيئاً، والاساءة المتعمدة شيئاً آخر. دعي القائد وزوجته روتي، بُعيد زواجه الثاني في العام ١٩١٨، الى مأدبة عشاء في دار حاكم بومباي البريطاني اللورد ولنغتون. كانت روتي ترتدي ثوباً انحسر عن كتفيها. وعلى مائدة العشاء، طلبت الليدي ولنغتون، في تلميح واضح، وشاحاً للسيدة جناح "لئلا تبرد." فانتفض القائد واقفا وانتهر الليدي ولنغتون قائلا: "عندما تحس السيدة جناح بالبرد سوف تعلن ذلك وتطلب وشاحاً بنفسها." ثم انسحب وزوجته من القاعة، ولم يدخلها ثانية الا بعد رحيل آل ولنغتون.

تسلمت فاطمة جناح مسؤولية بيت شقيقها محمد بعد وفاة زوجته روتي في العام ١٩٢٩، ووقفت الى جانبه خلال الصراع السياسي الحاسم الذي امتد عبر العقدين التاليين. دعي جناح في العام ١٩٣٦ الى تسلم قيادة حزب الرابطة الاسلامية، فوضع نصب عينيه هدف توحيد المسلمين لئلا يطغى عليهم الهندوس سياسياً، وهم يفوقونهم عدداً، متى تخلى البريطانيون عن السلطة. كانت مهمته شاقة، فالمسلمون فقراء وغير

(٢) الاوردية هي اللغة الادبية في باكستان.

منظمين. وقد لخص القائد الوضع في جوابه عن سؤال عن سبب بقائه مستيقظاً معظم الليل فيما غاندي ينام، قال: "في استطاعة السيد غاندي أن ينام لأن شعبه مستيقظ، أما أنا فمضطر الى البقاء مستيقظاً لان شعبي نائم." وعندما فازت الرابطة بأقل من ربع عدد المقاعد في انتخابات ١٩٣٧ الاقليمية، شن القائد حملة شعبية مكثفة، فارتفع عدد أعضاء الرابطة، في ثلاث سنوات، من بضعة آلاف الى قرابة المليون.

أيام معدودة. التقيت القائد للمرة الاولى في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٠. كان والدي مستشاراً لدى الحكومة البريطانية آنذاك، ويأمل أن يقرب وجهات النظر بين الحكومة والرابطة الاسلامية، واقترح أن أرافقه الى اجتماع مع القائد. وافقت بعد تردد، لانني كنت سمعت أنه رجلٌ متعجرف وخشيت أن يعاملني باحتقار.

ولكم كنت مخطئة. فقد غمرني القائد وشقيقته فاطمة باللطف ومشاعر الصداقة حتى وجدتني أغرق القائد بالاسئلة. وأصغيت اليه مأخوذة وهو يجيب بعناية عن كل سؤال. تركت تلك التجربة أثراً عميقاً في نفسي، ولما جاءتني فاطمة بعد أيام تسألني المساعدة في تأسيس اتحاد طلبة تابع للرابطة، وافقت من دون تردد.

بازدياد مشاركتي في نشاطات الرابطة، تعلمت الكثير من القائد. في أوائل الاربعينات، خلال فترة تنامي التوتر في الهند، نشرت صحيفة "هندوستان تايمز" مقالة تهاجمني لانني أشارك في العمل السياسي على رغم كوني زوجة مسؤول حكومي. لم تكن التهمة منصفة، لان كثيرات من زوجات المسؤولين الهندوس كن يعملن لحزب المؤتمر من دون أن يتعرضن لأي انتقادات. ذهبت لمقابلة القائد وأنا أستشيط غضباً، فقال لي بواقعية: "ان الصحف تنشر عني يوميا اتهامات أفظع من هذه كثيراً، فلا تدعي الامور الصغيرة تستثيرك." وقد ساعدتني نصيحة القائد عندما واجهت انتقادات جارحة في وقت لاحق.

فازت الرابطة في انتخابات ١٩٤٥ – ١٩٤٦ بنحو ٨٥ في المئة من مقاعد المسلمين، وهذا برهان دامغ على أن الغالبية الواسعة للمسلمين في الهند أيّدت إحداث دولة باكستان. كان الانتصار بالغ الاهمية، لكنني لم أشك لحظة في عظم الصعوبات الشخصية التي كان القائد يصارعها. فقد كانت صحته معتلة منذ أوائل الاربعينات، وكشفت صور الاشعة في يونيو (حزيران) ١٩٤٦ أن القائد يعاني حالة متقدمة من مرض السلّ. أُبقيت نتيجة الفحوص الطبية سراً، فلو عرف قادة حزب المؤتمر أن أيام القائد باتت معدودة، لاعتمدوا سياسة التأجيل ابان المحادثات النهائية مع البريطانيين. ففي غياب القائد كان من الممكن أن يذعن قادة الرابطة لضغوط البريطانيين فلا تبصر دولة باكستان النور أبداً.

باكستان جديدة. أحزنني ألا أتمكن من الحضور الى كراتشي في ذلك اليوم العظيم، ١٤ أغسطس (آب) ١٩٤٧، يوم مولد باكستان. وصلت الى باكستان في منتصف سيتمبر (أيلول)، والتقيت القائد الذي أصبح حاكمها العام. كان مرهَقاً، مجهَداً. فقد أدى الانفصال الى مذابح واسعة النطاق. وتدفق ملايين اللاجئين المسلمين من الهند، فأثقلوا كاهل الاقتصاد الباكستاني المنهار. سألني القائد عن مشاعري فأجبته: "لقد اشتقت الى دلهي."

صمت القائد هنيهة ثم قال: "انني أدرك ما تعنين، ولكن أكنت تحتفظين بالحجار وتخسرين الروح؟"

انتُدبت في أغسطس (آب) ١٩٤٨ لتمثيل باكستان في مؤتمر للامم المتحدة عُقد في باريس. وأدركت أن القائد كان يفي بالوعد الذي قطعه في العام ١٩٤٥.

لم تسنح لي فرصة لسؤال القائد عن رأيه في أدائي في الامم المتحدة، فقد سمعت النبأ الفاجع في ١٢ سبتمبر (أيلول) وأنا لا أزال في لندن: لقد توفي القائد في كراتشي بالأمس، وكانت آخر كلماته كلمتان كرَّس لهما حياته: "الله... باكستان."

كان القائد يردد أنه أقام وطناً من الفوضى. لكنني أحس الآن، وأنا أرى نزاعاتنا الداخلية، أننا عدنا الى الفوضى. قد لا يجدينا أن نطمح الى زعيم آخر كالقائد، لكننا الآن أمة حرة، ونستطيع على هديه أن نبني باكستان جديدة.

شايستا اكرام الله

كما رَوَتْ لأشوك مهاديفان ■



جدول هادىء!

خلال تطوافنا في ولاية فلوريدا الامريكية توقفنا بالقرب من جدول متلوّ تظلله الاشجار. كانت مياهه صافية مغرية، فنزع زوجي ثيابه وراح يسبح جذلا. وفيما انا أستطلع الضفة، توقفت مصعوقة وصرخت بأعلى صوتي. فرفع زوجي راسه من الماء ورآني اشير الى لافتة على بعد أمتار كتب عليها: "الرجاء عدم اطعام التماسيح."

ا.ا.

مسكين!

في اثناء زيارة عمل خارج مدينتنا تعرضت لحادث بسيط استدعى نقلي الى المستشفى. فاتصلت الممرضة بزوجتي تنبئها بما حدث، وعادت الي وعلى وجهها نظرة اشفاق: "نقلت رسالتك الى رجل رد عليّ وقال انه والد احد اولاد زوجتك!" وخرجت الممرضة قبل أن أشرح لها أن زوجتي تدير حضانة أطفال.

ت.و.



مثل "بابا"

■ لي ابن عم شاب أصلع، كثيراً ما تعرض لمواقف ساخرة بسبب صلعه. ذات يوم اصطحب طفلته ذات السنوات الاربع الى صالون الحلاقة لقص شعرها. ولما سألها الحلاق عن القصة التي تحب، ردت: "أيمكنك أن تقصّه بحيث تبقى على ثقب في الاعلى، تماماً كشعر بابا؟"

ج.ب.

طويلة البال

■ كنا في طريقنا الى المدينة لارتباط أمي بموعد مع طبيب الاسنان. وفي منتصف المسافة تذكرت اني تركت محفظتي في المنزل. فانعطفت عائداً بالسيارة. وبعدما أحضرت المحفظة واجتزنا معظم المسافة الى المدينة، اعترضتنا بقعة من الجليد. ضغطت دواسة الكابح فاستدارت السيارة وفتلت بنا مرتين وتوقفت في الاتجاه المعاكس. فتنهدت أمي قائلة: "والآن، ماذا نسيت يا بني؟"

س. هـ.

ممثلة قديرة

■ عدت الى الوطن في اجازة قصيرة، فزرت والدتي البالغة من العمر ٩٢ عاماً وفي حوزتي آلة تسجيل لاقتناص بعض طرائفها الشائقة واسماعها لاحفادها في كندا. وقبل بدء التسجيل حذرتها قائلة: "أمي، سوف أطرح عليك بعض الاسئلة التي أعرف أجوبتها، لكن تظاهري بأني مندوبة من الاذاعة."

وتحدثنا طويلا، وأخيراً سألتها: "وكيف التقيتِ والدي؟" فسرَّحت نظرها هنيهة ثم قالت بوقار: "والدك؟ آه، أتقصدين زوجي، السيد حمدي؟"

ف.ح.ر.

ماذا في القمقم؟

■ دخلت مجمعاً تجارياً لشراء بعض الاغراض ووضع فيلم للتظهير. وكنت في عجلة من أمري، فوضعت العلبة البلاستيكية في المغلف الخاص وملأت القسيمة المرفقة ذاكراً اسمي ورقم هاتفي، وأسرعت عائداً الى المنزل. وبعد ساعات تلقيت اتصالا من قسم التصوير في المتجر يأسف فيه الموظف لعدم قدرته على "تحميض" قمقم الدواء الموضوع في المغلف.

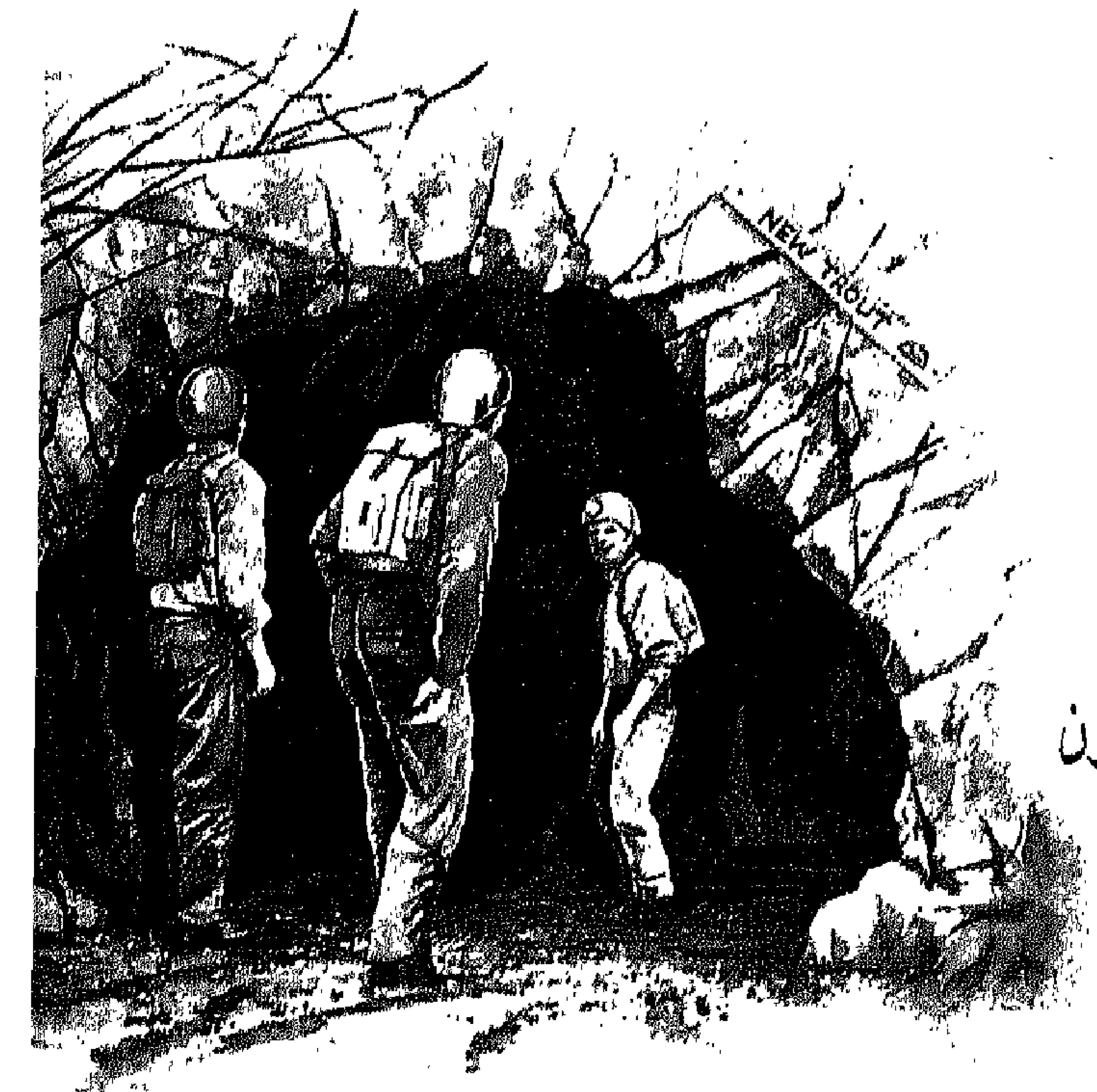
ر.ب.

هموم الطبخ

■ اعتزمتُ زيارة أهلي المقيمين في مدينة بعيدة لتمضية تسعة أيام معهم. فطلبت من بناتي الثلاث أن تعدّ كل منهن ثلاث وجبات عشاء خلال فترة غيابي. فقالت الكبرى انها ستحضّر يخنة وسمكاً وعجّة بيض. واختارت الوسطى تحضير طبق سردين وفطائر جبنة ومعكرونة. وعندما سألت الصغرى عن اختياراتها اجابت من دون تردد: "الفضلات يا أمي."

ا.ف.

قصة من واقع الحياة



انطفأت مصابيحهم داخل الكهف المظلم فقبع المستكشف وولداه على صخرة باردة ينتظرون النجدة... أو الموت

ثلاثة في متاهة

سأل غاري لوتس ولديه وهو يقود شاحنته الزرقاء الصغيرة في الطريق الجبلية: "هل ترَيان أي معالم تشير الى اقترابنا من تلك الدرب الترابية؟" هز بادي (١٣ عاماً) وتيم (٩ أعوام) رأسيهما وأجابه تيم: "ليس بعد."

كانوا يبحثون عن الدرب المؤدية الى كهف "نيو تراوت" الذي خططوا لاستكشافه، وهو احد الكهوف الكلسية في ولاية فيرجينيا الغربية.

وغاري (٣٧ عاما) مسّاح أراض في فلوريدا، ترعرع في هرندن بفيرجينيا حيث تعرف الى المغامرات الكشفية عندما كان مراهقاً. والتقى في احدى هذه الرحلات زوجته ليندا التي شاركته في حبه للتخييم واستكشاف الكهوف. وهما خططا لاصطحاب ولديهما في رحلة استكشاف ذات يوم، لكن أمنيتهما لم تتحقق إذ توفيت ليندا وهي في الثانية والثلاثين بعدما أصيبت بالسرطان.

وكرّس غاري حياته للاهتمام بولديه خلال السنوات الأربع التالية.

لمح تيم أخيراً الدرب الضيقة المؤدية الى سفح الجبل، فحاد غاري عن الطريق العامة وأوقف الشاحنة. وأنزل الثلاثة عدتهم.

في التاسعة والنصف صباح الاثنين ١٨ يونيو (حزيران) ١٩٩٠ تسلق المغامرون الثلاثة الى مدخل الكهف. ووقّع غاري سجلّ المستكشفين هناك. وما لبث أن اختفى مع الصبيين في عتمة المدخل.

كان بادي وتيم يرتديان سروالين من الجينز وواقيات للركب وقمصاناً ذات أكمام طويلة. أما غاري فارتدى قميصاً ذا كمين طويلين ورداء سروالياً[1] واعتمر كل منهم قبعة ثُبت عليها مصباح. وسرعان ما بدت مصابيح الكربيد الخافتة مشعة في ظلمة الكهف الحبرية.

واذ توغلوا داخل الكهف حيث بلغت الحرارة ١٢ درجة مئوية، كشفت فوانيسهم بخار نَفَسهم البارد.

كان غاري يستكشف الطريق من دون استعمال معلّمات اصطناعية، شأن معظم مستكشفي الكهوف ذوي الخبرة. لكنه كان يقف عند كل منعطف لحفظ بعض الشواهد، فهو لم يضع طريقه يوماً خلال عشرين عاماً من استكشاف الكهوف.

بعد اجتياز ٤٠٠ متر تقريباً داخل الكهف قرر غاري "تعبئة" المصابيح قبل بدء استكشاف المداخل الضيقة الملتوية المعروفة بـ"المتاهة." ففك القسم السفلي من مصباح بادي ووضع حبيبات جديدة من الكربيد مكان الوقود المستهلك. ثم فتح صماما لكي يقطر الماء على الكربيد، وينتج من ذلك المزيج غاز الأسيتيلين. نقر غاري حجر الانارة المستدير باصبعه فتوهجت الشعلة الضئيلة في المصباح مجدداً. وكرر غاري العملية في مصباح تيم ثم في مصباحه.

عندما انحنى الثلاثة استعداداً لدخول المتاهة لم يلاحظ أي منهم السجل الثاني للداخلين الموضوع على صخرة قريبة. فعلى كل من يدخل "المتاهة" أن يسجل اسمه وأوقات دخوله وخروجه، كاجراء احترازي.

سار الثلاثة وزحفوا عبر ممرات ضيقة متداخلة. واصطدمت قبعاتهم بهوابط كلسية خفيضة وخطط وجوههم غبار أسود كثيف.

وبعدما قطعوا مسافة مئتي متر داخل "المتاهة" دعا غاري الى استراحة قصيرة. كان عليهم، تالياً، تسلق مسقط حاد ثم اقتحام نفق صغير. ألقى غاري نظرة على صرّة النايلون المليئة بالطعام ووقود الانارة والشموع والماء، وأخذ قراراً سريعاً: "لنترك معداتنا هنا بينما نستطلع الأنفاق القليلة التالية." ثم حدد ثلاثين دقيقة على ساعة التوقيت وهي المدة المقدَّرة لدوام وقود الانارة في المصابيح. وانطلق الثلاثة من جديد.

بعد عشر دقائق كانوا قطعوا مسافة ستين متراً داخل المتاهة حينما بدأ النور

(١) Overalls



يتقطع في مصباح تيم مما أثار عجب غاري فقال: "لنعد أدراجنا. يجب ألا نجازف، اذ يبدو أن المصابيح لا تعمل جيداً." وبعدما ساروا مسافة عشرة أمتار انطفأ مصباح تيم كلياً.

أصبح تقدمهم أبطأ ببقاء مصباحين فقط. ثم بدأ النور في مصباح بادي يتقطع بدوره، فشعر غاري بلذعة ذعر باردة، وقال متوتراً: "حسناً أيها الشابان يجب أن نتحرك الآن."

حين انطفأ مصباح بادي اغتاظ غاري من نفسه لأنه ترك الصرة وراءه. وإذ به



يصلي: "ساعدني يا رب على إخراج ولدي من هنا."

دخلوا ممراً ضيقاً، فكشف نور مصباح غاري عصا غليظة أسندت الى حائط الكهف. ولم يكونوا مروا بهذه العلامة أثناء الدخول. فتحول قلق غاري ذعراً اذ أدرك حقيقية الوضع: لقد ضلّوا الطريق.

قال محاولاً تهدئة صوته: "يا شباب، أعتقد أن علينا العودة من حيث أتينا."

حدّق اليه الصبيان متعجبين، وسأله بادي: "هل ضللنا الطريق يا أبي؟"

لم يكن غاري يريد اخافتهما فأجاب: "لا، كل ما في الأمر أنني لم أر هذا المكان من قبل."

لكن غاري كان يقاوم الخوف المتنامي داخله. لم يستطع العثور على علامة واحدة مألوفة. وعندما سلك نفقاً جانبياً ظنه واعداً، تراءت أمامه العصا الغليظة نفسها فحدق اليها مشدوهاً يكاد لا يصدق عينيه. ثم حاول أن يسلك ممرين آخرين، لكنه كان يجد نفسه دائماً في المكان ذاته قرب العصا الغليظة. فجأة بدأ نور مصباحه يتقطع، فقال بادي: "أريد الخروج من هنا يا أبي."

سمع غاري هذه الكلمات فسرت في جسده موجة ندم. وكان قميصه مشبعاً بالعرق على رغم البرودة. قال متصنعاً الهدوء: "لنتابع سيرنا."

لكن مصباحه ما لبث أن فرقع وانطفأ كلياً بعد دقائق. فتسمر الثلاثة في عتمة تامة مذهولين.

لقد توقفوا في حجرة وطيئة تكاد لا تعلو متراً ونصف متر، وقربهم هاوية حادة. حاول غاري الثبات كفاصل بين الولدين والهاوية، وخاطبهما: "لا تتحركا!" وفكر في أن يزحف بينما يتعلق الصبيان بساقيه. لكنهم عجزوا عن

الخروج عندما كانت لديهم إنارة، فما هي فرص نجاحهم وهم في الظلام؟ ان خطوة خاطئة واحدة قد تؤدي الى كارثة.

خفافيش! خاطب غاري نفسه: "يجب أن أحل المشكلة." وخطرت بباله فكرة فقال: "لننخل الوقود الذي في حوزتنا ونحاول الحصول على قليل صالح. فقد يتوافر لنا بذلك نور كاف يساعدنا في العثور على مكان أكثر أمانا."

جعل غاري يتحسس حبيبات الكربيد الرملية. التقط بعض الأجزاء الصالحة ووضعها في مصباحه. فما لبث أن اشتعل اللهب الوامض في المصباح بعد ثوان.

صرخ غاري: "هيا بنا!" وشرع يستعجل الصبيين في السير عبر قنوات قصيرة الى أن بلغوا حجرة واسعة، فقال مشيراً الى صخرة ملساء بحجم طاولة: "يمكننا الجلوس هنا." وتسلق الصخرة وتبعه ولداه. وعندما انطفأ النور في المصباح بعد دقائق أدركوا أنه لن يعود أبداً.

أرهق غاري شعوره بالندم والذنب، فهو بتخليه عن تجهيزات الطوارىء أخلّ بأهم القواعد الكهفية: احمل دائما مصدرين اضافيين للانارة. لكنه اعتاد الاعتماد على معداته الشخصية بعد سنوات من الخبرة. وبعد صمت طويل سأل ولديه: "هل أنتما بخير؟"

أجابا بنبرة قوية مطمئنة: "نعم، نحن بخير." لكن تيم أضاف: "أبي، متى تظن أننا سنخرج من هنا؟"

أجاب غاري: "يُفترض أن يعثروا على شاحنتنا غداً أو بعد غد فيرسلوا فريقاً لانقاذنا."

لكن فكرة قاتمة خطرت له فجأة: "ماذا لو سُرقت الشاحنة المهجورة على الطريق المقفرة؟ بذلك نكون اختفينا من دون أثر، فلا أحد يعرف مكاننا بالتحديد."

كان غاري أخبر أخاه جيم بأنهم سيكونون يوم الخميس في منزل والدي ليندا في ريتشموند بولاية فيرجينيا. لكنه تساءل: "هل نبقى أحياء الى ذلك الحين؟"

شرع غاري يشرح للغلامين: "ان الخطر الكبير الذي نواجهه هو هبوط حرارة أجسامنا. لذلك تنبغي المحافظة على هذه الحرارة." وأشار عليهما بأن يستخدما واقيات الركب السميكة لعزل أجسامهما عن الصخرة الباردة، وأن يبقيا ساكنين ما أمكن.

جلسوا بهدوء في الظلام فغلب عليهم النوم. وفي التاسعة مساء، حسبما أشارت ساعة غاري ذات الأرقام المضيئة، سمعوا أصواتاً غريبة حادة.

قال غاري: "انها خفافيش!" وسرعان ما غطتهم غيمة من الأجنحة المرفرفة والصرخات الحادة وأحاطت بهم الكائنات الطائرة من غير أن يروها.

وما لبثت الخفافيش أن عادت في الخامسة صباحاً. فأصغى غاري وبادي وتيم الى أصواتها الحادة تخترق آذانهم وهي متشبثة بالجدران حولهم. ثم ساد الهدوء مجدداً.

مرت ليلتهم ببطء، فأدركهم الصباح وهم يرتعشون. وقد جفّ الريق في أفواههم.

وعند الظهيرة بدأت معدهم تقعقع جوعاً. وجاهد غاري لكي يبقى متفائلاً، فهو يعلم أن اليأس لا يجدي. وقال: "انه يومنا الاخير هنا، لحسن الحظ." وفي التاسعة والنصف مساء خرجت الخفافيش الضاجّة مرة أخرى.

ثم ما لبثت أن عادت معلنة بزوغ فجر الأربعاء، فنهض غاري وولداه مرتعشين في الجو الرطب محاولين نفض الخدر الناجم عن نومهم المتقلب. وكان توقهم الى الماء على أشده.

بعد ظهر الأربعاء أفاد أحد السكان قرب كهف "نيو تراوت" عن شاحنة مهجورة في الطريق العامة. وتبين بعد التحقق من لوحتها أنها تخص غاري لوتس من تامبا بولاية فلوريدا. فطلبت دائرة الشرطة في ولاية فيرجينيا الغربية من سلطات تامبا تقصّي مكان وجود لوتس.

قرابة الثالثة قصد شرطي منزل غاري، فأعلمه أحد الجيران أن العائلة في اجازة.

صحو وغيبوبة. أصبح صوت غاري أجشّ، وأحس آلاماً حادة في صدره. وبحلول المساء لم يعد يقوى على الجلوس، فقال لولديه: "اذا متّ في الليل فخذا قميصي واستدفئا به." شرع بادي وتيم يبكيان، لكن غاري تابع بألم: "أنا أوقعتكما في هذه الورطة."

عانق بادي والده بقوة وقال وهو يجهش بالبكاء: "انها ليست غلطتك."

وأضاف تيم بنبرة متهدجة: "انك أفضل أب في العالم. لا يمكن أن تموت."

استرخى غاري على الصخرة الباردة والصبيان حوله يعانقان صدره. توسلا اليه لكي يجلس لكنه لم يستجب، فبقيا متقوقعين قربه.

صباح الخميس استيقظ بادي مجفلاً فمد يده الى والده وقال مذعوراً: "أبي! هل أنت بخير؟"

أجاب غاري: "أنا هنا يا بني."

عانق الصبيان والدهما فرحين، فقد بدا لهما أن صوته أقوى.

كان الثلاثة يرتجفون وهناً وبرداً. وكانت ألسنتهم كالمبرد تكشط الحَلْق كلما بلعوا ريقهم.

عصر الخميس تلقت دائرة الشرطة في ولاية فيرجينيا الغربية برقية من تامبا. وقطب الشرطي ريك غيلسباي حاجبيه عندما علم أن لوتس في اجازة مع ولديه. وفكر في نفسه: "أشعر بأنهم في ورطة." واذ لاحظ قرب شاحنتهم من كهوف عدة، اتصل بالجمعية الوطنية لاستكشاف الكهوف فعلم أن لوتس عضو قديم فيها، فطلب معلومات عنه.

في ذلك الوقت كان تيم وبادي يهذيان، وبين الصحو والغيبوبة يحلمان بأنهما أنقذا.

أما غاري فكان يفكر: "لا يمكن أن

نستمر هكذا مدة أطول." وتذكر صلاة رددها مراراً بعيد وفاة ليندا: "يمكنني القيام بأي شيء بمعونة الله عز وجل. فهو يمدني بالقوة." وها هو الآن يصلي: "أعطنا القوة يا رب."

أمضوا ليلة الخميس في هذيان. وأضناهم العطش وانسّدت حناجرهم من الغبار ولازمهم السعال.

في ساعة متقدمة من عصر الجمعة بدأوا يدركون أن أي محاولة لانقاذهم باتت متأخرة.

سأل بادي بنبرة فاترة: "كيف هو الموت يا أبي؟"

فأجاب غاري بألم محاولا انتقاء الكلمات المناسبة: "ان فقدان الماء من الجسم يضفي علينا شعوراً بالدفء والنعاس في البداية، ثم نفقد الوعي تدريجاً الى أن تتوقف قلوبنا عن الخفقان."

صمتا يتأملان كلماته، ثم سأله تيم: "وبعد ذلك؟"

أجاب غاري بصوت خافت: "سنكون في الجنة. لن يكون هناك عطش ولا عتمة. نحن الأربعة – مع أمكما – سنكون معاً." ثم تعانقوا مجدداً وتمددوا على الصخرة غافلين عن البرد.

"نحن هنا!" في السادسة من مساء الجمعة بُثّ خبر عبر اذاعة صغيرة لمستكشفي الكهوف أن مستكشفاً من زملائهم قد اختفى. فسمع طوني وليمس النبأ، وهو عضو في الجمعية الوطنية لاستكشاف الكهوف في خليج تامبا، فقرر الاتصال بكل الأسماء المدرجة في سجل الهاتف والتي تحمل اسم "لوتس" عله يعثر على قريب لغاري.

في السابعة والنصف كان جيم يرد على المكالمة الهاتفية. قال له وليمس انه يود التأكد من اختفاء غاري. فاتصل جيم بوالدي ليندا ثم عاود الاتصال بوليمس ليخبره: "انهم ليسوا هناك."

تجمع خلال الساعتين التاليتين مستكشفون من "البعثة الوطنية لانقاذ رواد الكهوف" عند الهضبة القريبة من الكهوف الثلاثة "تراوت" و"نيو تراوت" و"هاملتون." لفت انتباههم توقيع غاري في السجل الخارجي في "نيو تراوت"، لكنهم لم يجدوه في السجل الداخلي فركزوا تفتيشهم على الكهفين الآخرين.

قبيل منتصف الليل قرر جون همبل، المنسّق الاقليمي في البعثة، معاودة التفتيش في "نيو تراوت" بمساعدة مارتي هاردي وريك باكاس. وفي الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل كان جون ومارتي وريك قطعوا حوالى خمسين متراً داخل "المتاهة" عندما وقعت أنظارهم على صرّة حمراء من النايلون.

هتف جون: "ها هي!"

صاح المنقذون: "غاري! تيمي! اصرخا ان كنتما تسمعاننا!" لكن الصمت ظل سائداً على رغم نداءاتهم المتكررة. وفي الاولى صباحاً بدأ المنقذون يخشون ما حصل.

أفاق غاري من غيبوبته فسمع اسمه،

لكنه اعتقد أن الهذيان يعاوده. ثم تحرك تيم وبادي بالقرب منه.

"غاري! تيم! هل تسمعاننا؟"

جلس تيم لاهثاً وصاح: "نحن هنا!"

انتبه أبوه وأخوه لدى سماع رده المهتاج واشتركا في صراخ أجش.

بعد دقائق أضاءت مصابيح المنقذين ثلاثة أجسام غطاها غبار أسود كثيف. فتمتم هاري: "الحمد لله."

أُدخل آل لوتس المستشفى وعولجوا من جفاف حاد. كان من جراء محنتهم أن عانى غاري وتيم تلفاً في الأعصاب بسبب تعطل الدورة الدموية، وانهارت رئة بادي.

ويؤكد غاري اليوم أنهم، على رغم التجربة التي كادت تودي بحياتهم، يخططون لاستكشاف الكهوف ثانية في يوم من الأيام. وهو لا يزال يجهل سبب تعطل مصابيحهم، لكنه يعتقد أن الكربيد الذي كان في حوزتهم ذاك اليوم كان رطباً. ويضيف أن المحنة التي مر بها وولديه قرَّبتهم أكثر: "أعتقد أننا أقوى الآن، كأفراد وكعائلة. فمهما تكن الصعاب التي قد تواجهنا، فسوف نتذكر دائماً هذه المحنة فندرك أن النجاح لا بد حليفنا. اني أحمد الله كل يوم لأننا ما زلنا معاً."

ديبرا موريس ■



فندق الاموات

قالت صاحبة الفندق للنزلاء: "نحن هنا نحب الهدوء. هل معكم اجهزة راديو؟"
اجاب النزلاء: "لا."
"وهل يضج الاولاد؟"
"لا، انهم في منتهى الهدوء."
"وماذا عن ذلك الكلب؟ هل ينبح؟"
"كلا،" اجاب احدهم، "لكني أود ذكر امر واحد، وهو أن لدي قلم حبر يحدث صريراً عندما أكتب."

ا.ف.

زوجة ديبلوماسية

كنا نسكن شقة صغيرة جداً. وقد اعتاد زوجي رمي صفحات الصحف على الارض بعد قراءتها. كان ذلك العمل يثيرني، فصممت على معالجة الأمر ديبلوماسياً. ولدى عودته من عمله ذات يوم استقبلته بالتحية: "طاب مساؤك يا سيدي. ارجو المعذرة لهذه الفوضى التي تراها، فزوجي يرمي الصحف على ارض الغرفة."
فاجاب: "لا حاجة الى المعذرة يا سيدتي، فهذا العمل هو من عادتي انا ايضاً."
ضحكنا طويلا وحلّت المشكلة.

أحذروا هذه المعتقدات المضللة

أوهام تدمر الزواج

قد تكون العلاقة الزوجية أسعد العلاقات في حياة الفرد، وقد تكون أشدها خيبة. فالاعتقادات الخاطئة والافتراضات المضللة تخلف عدداً لا يحصى من الزوجات والازواج المخيَّبين المتفقين مع الكاتب الساخر الذي قال: "الزواج يشبه حمّاماً ساخناً، متى اعتدته وجدته أقل حرارة."

والجميع يعلم أن ماء الاستحمام عندما يبرد يضاف اليه مزيد من الماء الساخن. فاذا رغبتم في ابعاد البرودة عن العلاقة الزوجية فعليكم أن تتخلصوا من الاوهام. هنا خمس من الخرافات الشائعة التي يمكنها أن تدمر الزواج.

١. يجب تحديد النواقص الزوجية واصلاحها.

من المؤسف أن أزواجاً كثيرين نادراً ما يتحادثون الا عندما يقع الخطأ. وهم يقعون ضحية الخرافة القائلة بوجوب التخلص من النواقص الزوجية بأي ثمن.

اعترفت لي امرأة كانت تنتقد زوجها باستمرار، قالت: "ترعرعتُ في منزل سادته فوضى دائمة. كنت أشعر بحرج كلما دعوت أصدقائي. وكان حلمي بالزواج يتمثل في امتلاك بيت نظيف. الا أن زوجي نشأ في بيت شديد الترتيب وكان يمقته، ورأى في منزل أحلامه مكاناً للاسترخاء والراحة. هكذا تحطم تصورنا للزواج المثالي بعد عودتنا من شهر العسل، وراحت الامور تسوء تدريجا."

حاول الزوجان تبديد هذه الافكار المتناقضة، لكن حياتهما لم تتحسن الا عندما استرخيا وتركا المسألة تتلاشى.

وتابعت المرأة روايتها: "أصبحت علاقتنا الزوجية أسعد عندما بدأنا نعالج الامور بحسب أهميتها." وبعبارة أخرى، تحسنت أحوالهما عندما تخطيا نقطة الضعف هذه في زواجهما وأمضيا مزيداً من الوقت للنظر في نقاط القوة.

تنجح العلاقات الزوجية وتستمر عندما يشدد كل شريك على نقاط القوة لدى شريكه ويقلل من شأن نواقصه، أو كما

عبر الفيلسوف الامريكي وليم جايمس: "فن الحكمة هو فن معرفة الامور التي يجدر اغفالها."

٢ • المرح ينتظر.

في سياق تخطيط المشاريع المستقبلية، ينزع كثير من الازواج الى تأجيل متعتهم الآنية. هناك دائماً أمور تدعو الى القلق، كتربية الاولاد وشراء منزل والتقدم في العمل.

بن رجل أعمال ناجح كدّ طوال حياته الزوجية. وهو يقول: "لم أمضِ وقتاً كافياً مع زوجتي ايفلين. كنت منشغلاً جداً في تأمين نجاحي المهني. ثم توفيت ايفلين بعد مرض عضال، وتقاعدت أنا بعد وفاتها بسنة واحدة. انني الآن نادم أشد الندم، وأتحسر دائماً لانني لم أقضِ مزيداً من الوقت معها ومع أولادنا. ليتني مارست بعض الهوايات. فلطالما اعتقدت أنني أستطيع تحقيق هذه الامور لاحقاً. لاحقاً هو الآن، لكن الاوان قد فات."

لا بد من أن يكون لدى الازواج بعض التخطيط للمستقبل. فالزوجان اللذان لا يخططان اطلاقاً يتجهان نحو الكارثة، مالية أم عاطفية. الا أن الزوجين اللذين يركزان على المستقبل أكثر مما يركزان على التمتع بالوقت الراهن هما أيضاً يترجحان على حافة الكارثة. أورد الدكتور سبنسر جونسون في كتابه "الحاضر الغالي"[١]: "من الحكمة أن أفكر في المستقبل وأن أهيىء لمستقبلي. ولكن من البلاهة أن أعيش في المستقبل، لانني بذلك أخسر نفسي."

عندما سئلت الممثلة شيرلي تمبل بلاك عن سر سعادتها الزوجية، روت قصة عن زوجها تشارلز ووالدته: "عندما كان تشارلز صبياً سأل أمه عن أسعد لحظة في حياتها، فأجابته: "هذه اللحظة بالذات." سألها: "ولكن ماذا تقولين عن يوم زواجك؟" أجابته: "في ذلك الحين كانت تلك أجمل لحظات عمري. لا يمكنك أن تتمتع كلياً الا باللحظة التي تكون فيها. بالنسبة الي، تلك هي دائماً أسعد لحظة في حياتي."

٣ • من السهل رؤية العلامات المنذرة بفشل الزواج.

من المؤكد أن ثمة علامات تنذر بفشل الزواج، كالتوعد والتورط بعلاقة عاطفية. لكن المحاذير ليست حاضرة دائماً. فمن الصعب عادة توقع حصول انفصال أو طلاق، اذ ان اشارة انذار في علاقة ما قد تكون نمطاً حياتياً مقبولاً في علاقة أخرى.

احتفلت احدى صديقاتي باليوبيل الفضي[٢] لزواجها. أخبرتني أن بينها وبين زوجها قليلاً من الاهتمامات المشتركة. هذا الامر قد يدمر بعض العلاقات الزوجية، لكنه في هذه الحال كان عاملاً

(١) The Precious Present

(٢) اليوبيل الفضي هو ذكرى مرور ٢٥ سنة على مناسبة ما.

مساعداً. قالت لي صديقتي: "الوقت الذي نمضيه معاً ينعشنا ويبهجنا."

من ناحية أخرى، ثمة أشخاص مثل ديفيد وسارة اللذين كانا مرشحين مثاليين لاتحاد زوجي هانيء دائم. كانا ناضجين عاطفيا، ورزقا طفلهما البكر بعدما رسَّخ ديفيد مركزه المهني طبيب أسنان. لكنهما تطلقا بعد اثنتي عشرة سنة. تقول سارة: "انجرف واحدنا بعيداً عن الآخر."

دونالد هارفي مؤلف كتاب "الزواج المنجرف"[٣] يعتبر هذه الظاهرة احدى أشكال الفشل الزوجي الاكثر شيوعاً وخطورة: "انها ظاهرة رقيقة خادعة غير عدوانية، لا تطلق انذارا لكنها تزحف تدريجاً الى حياتنا فتدمرها."

العلاقات الزوجية الجيدة تتطلب أكثر من غياب التهديدات الخطرة. انها تتطلب تغذية دائمة.

٤ • الزواج أمر جدي.

لا شك في أن علينا التزام تعهدنا الزوجي بجدية. ولكن علينا أيضاً أن ندرك قيمة القليل من الفكاهة لمساعدة أنفسنا وشركائنا في كفاحنا اليومي. كثير من الازواج جديون الى حد أنهم ينسون كيف يسترخون ويستمتعون بالضحك، فتصبح حياتهم الزوجية باهتة لا تألُّق فيها.

كتبت فيليس ماغينلي: "العائلات السعيدة تتشابه في أمور عدة، أحدها وجوه أفرادها المرحة. هؤلاء يتمتعون عادة بروح عائلية مرحة يختزنونها لمواجهة الاوقات الحرجة. ليس ضرورياً أن يكون المرح ذكياً، فقد تكون النكات غير مفهومة للغرباء. وقد ينبثق الضحك من أسباب تافهة، الا أن للنكات والضحك قيمة غالية لانها تخص العائلة."

أحيانا يشكل المرح الزوجي صمام أمان. عملتُ لمدة سنتين مساعدة لمديرة تتعاطى الكحول. كانت غريبة الاطوار في مواقفها وتصرفاتها وقراراتها. وفي بعض الايام، حين كنت أتوقع اجهاداً استثنائياً، كان زوجي يقول لي وأنا أغادر البيت الى عملي: "تذكري أنك أنت الصاحية!" هذه العبارة المرحة كانت تشجعني على مواجهة ما يأتيني به نهاري.

٥ • العلاقة الجنسية الجيدة تصنع زواجاً جيداً.

الواقع أن العكس هو الصحيح. فالعلاقة الزوجية الجيدة هي أساس علاقة جنسية جيدة. وعلى رغم أن الجنس قد يوفر الانجذاب الاولي، فالازواج الذين يعجزون عن اقامة روابط غير جنسية يجدون أن العلاقة الجنسية الجيدة لا يمكنها التعويض عن علاقة زوجية رديئة. عندئذ تنقلب العلاقة الجنسية الجيدة علاقة رديئة، مثلها مثل بقية جوانب العلاقة الزوجية.

بدأ ريك وجين حياتهما الزوجية بعلاقة جنسية رائعة. ولكن بعد فترة، مثل كثير من الازواج، راحا يتجادلان حول كل

(٣) The Drifting Marriage

الامور اليومية. وانتقلت هذه المشاحنات الى غرفة نومهما. يقول ريك: "ذات ليلة قالت لي جين: "لو كنت تحبني كما في السابق لرغبت أكثر في معاشرتي." ثم أوت الى سريرها بعدما أخبرتني أنها تعبة. صدَّقت حقاً أنها تعبة، فهذا ما قالته. لكنها صباح اليوم التالي بدت غاضبة ولم تنبس بكلمة. لامتني لأنني لم الحق بها الى السرير مباشرة. وساءت علاقتنا شيئاً فشيئاً. لكن سوءها يظهر أكثر وضوحاً في السرير."

وعكس ذلك صحيح أيضاً، اذ عندما تتحسن العلاقات العاطفية يتحسن الجانب الجسدي أيضاً.

باختصار، يحتاج الزواج الى أكثر من حب رومنطيقي أولي ليبقى نابضاً بالحياة. الازواج السعداء هم الذين يستنبطون نمط حياة يلائمهم أكثر. وهذا يعني، أكثر من أي شيء، التعالي عن الخرافات المدمرة والمفاهيم الخاطئة للتوصل الى أسمى ما يقدمه الزواج: العلاقة الاكثر فرادة وخصوصية بين العلاقات الانسانية كلها.

بربارة راصل تشيسر ■



مجنونٌ في مِصْعَد!

كنت وحيداً في مصعد لمَّا سمعت عبر جهاز الاتصال الداخلي صوتاً يسأل ان كان أحد الازرار الكهربائية مضاء، موضحاً أن عطلا طرأ على كمبيوتر المصعد. وفيما كنت أرد على الصوت، وَلَج المصعد رجل تبينت من التعبير المرتسم على محيّاه أنه خالني أخاطب نفسي. فأوضحت له اني أكلم جهاز الاتصال الداخلي. وكَمْ كانت خيبتي كبيرة عندما ظل الجهاز أبكم لا ينبس بكلمة، فناشدته: "هيا، لا تخذلني، إن هذا الرجل يظنني مجنوناً." لكني لم ألقَ رداً.

واذ غادر الرجل المصعد دوّت ضحكة عبر جهاز الاتصال تلاها سؤال: "هل خرج صاحبنا؟ اعذرني، لكنها فرصة لم أرغب في تفويتها."

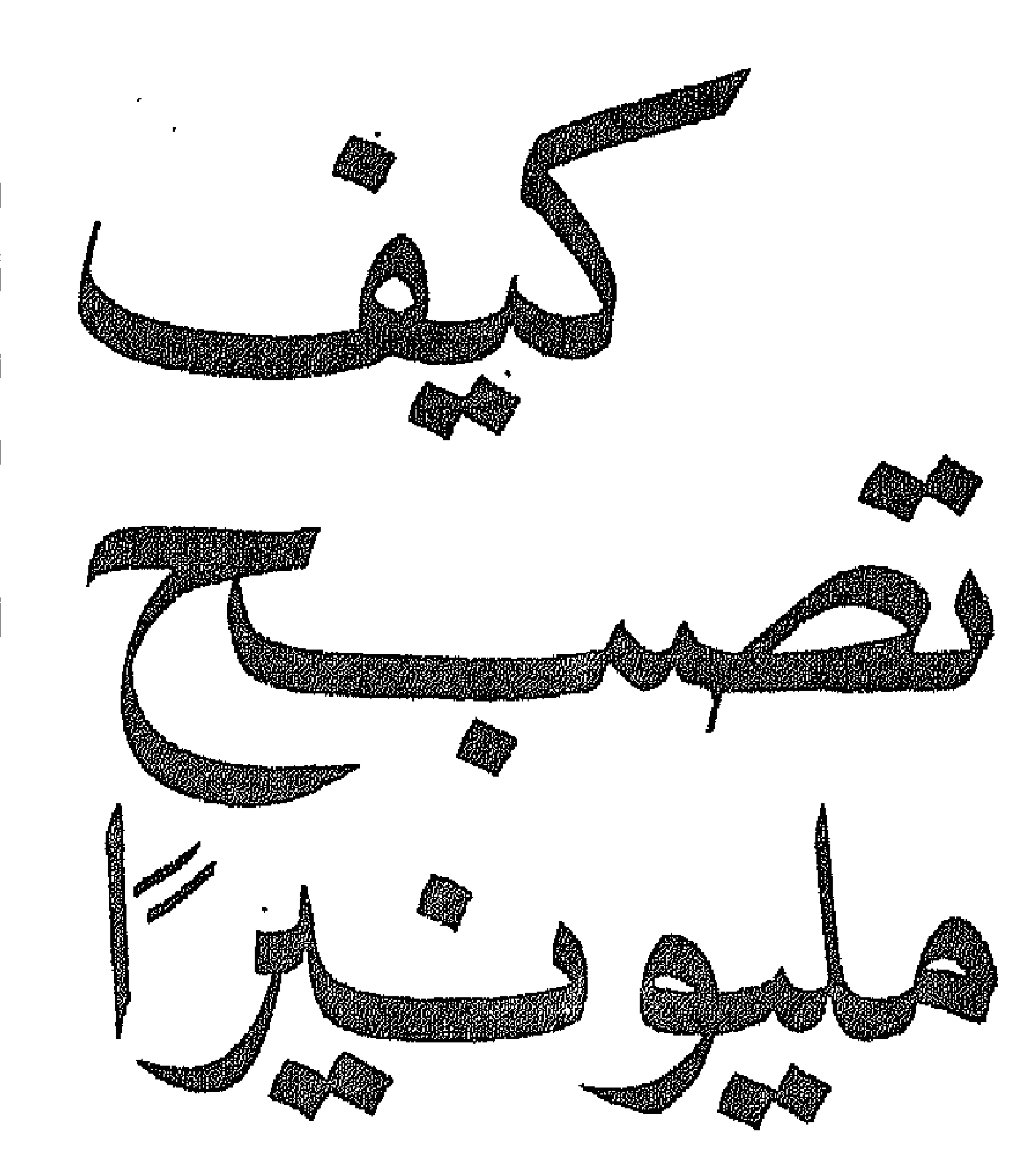
م.ب.

طفل ودودة أرض!

كانت ابنتي وطفلها الصغير يبحثان في تربة حديقتي الناعمة عما يمكن استخدامه طعماً لصيد السمك. فعثر الصبي على حشرة كثيرة القوائم رفعها بزهو أمام عيني والدته التي أخبرته بلطف: "كلا يا حبيبي، انها لا تصلح طعماً، فهي ليست دودة أرض."

اتسعت عينا حفيدي وشهق قائلا: "ليست دودة أرض؟ من أي كوكب أتت اذاً؟"

ر.ج.



كيف تصبح مليونيراً ؟

لا حظّ للمقاولين المنفردين في هذا العصر، عصر الشركات العالمية الكبرى التي تديرها جيوش من أصحاب الشهادات العالية في ادارة الاعمال. أم ان ذلك غير صحيح؟

هنا قصص ثلاثة ناجحين بدأوا من الصفر، وبدعم من الأهل والأصدقاء وقليل من الخبرة والمرونة المكتسبتين خلال الممارسة، استطاعوا أن يثبتوا أن الفكرة الصحيحة لا بد من أن تنجح في النهاية.



فتاة المواقف

ذات يوم من العام ١٩٨٣ سمعت ليزا رينشو أحد الاصدقاء يقول انه في حاجة الى من يساعده في ادارة مرأب للسيارات يملكه بالقرب من محطة "بن" للسكك الحديد في بلتيمور. بدا ذلك تحدياً مثيراً للفتاة التي كانت في ذلك الحين تعمل في دق المسامير في شركة مقاولات يملكها والدها.

وكانت ليزا في ربيعها الحادي والعشرين تحمل شهادة المدرسة الثانوية ولا تملك أي مؤهلات خاصة. فعرضت أن تعمل لمدة ثلاثة أشهر من دون أجر. فقبل الصديق عرضها.

كان العمل في البداية مثبطاً لا يبشر بمستقبل واعد، ولم تكن ليزا تتقن قيادة سيارات تتطلب تحريك ناقل السرعة يدوياً. وعلّمها أحد زملائها في المرأب صف السيارات. وثابرت بعزم على عملها.



وعندما شارفت مدة تمرُّنها النهاية عرض عليها رئيسها وظيفة ثابتة في المرأب، كما عرض عليها مشكلة. فالمرأب رازح تحت ديون، وصاحبه عاجز عن تسديد الفواتير، وهو طلب منها أن تقرضه ٣٠٠٠ دولار.

فاستدانت ليزا المبلغ بفائدة ٢١ في المئة وقدمته الى صاحب المرأب لكن هذا توارى صباح اليوم التالي مخلفا لها ملكية المرأب ومشاكله وديونه. فصدمت ليزا لهذه المفاجأة وتساءلت بمرارة: "ماذا أفعل الآن؟"

ولكي تبقى "عائمة" ماليا صرفت جميع مستخدميها الا واحدا وعقدت اتفاقا جديداً للايجار. كان المرأب يبعد عن السكة الحديد أكثر من معظم المرائب الاخرى، لكنها سعت الى جعله محطة خدمة للسيارات وليس مرأبا فحسب. ورأت أن في امكانها اجتذاب الزبائن اذا قدمت خدمات أفضل من سواها.

فأطلقت اسماً جديداً على مؤسستها: "مرأب بن للسيارات" ووزعت مناشير ترويجية على السائقين: غسيل مجاني لكل سيارة تقف في المرأب لخمسة أيام متتالية، الى خدمات أخرى تشمل تغيير الاطارات الفارغة وتعبئة البطاريات الميتة.

وأبقت المرأب مفتوحا من الخامسة صباحا الى الاولى ليلا. وكانت تنام في المكتب الضيق وتطهو طعامها بنفسها وتستدفىء شتاء على سخّانة كاز.

في السنتين الأوليين استطاعت رينشو الاستمرار في العمل بشق النفس. واجتذبت خدمات مرأبها السائقين المتنقلين يوميا الى أعمالهم، لكن أعباء الايجار والتأمين وزيادة المستخدمين والترقيات ساهمت في ابتلاع الارباح.

وبلغ بها اليأس حد الانهيار الكامل ذات ليلة قارسة البرد حين لاحظت أن قهوتها متجمدة في الفنجان. فشعرت بمرارة الاحباط وراحت طوال الليل تناقش ذاتها وتقلّب الأمور على جميع وجوهها.

وفي الصباح كانت عقدت العزم على مواصلة الكفاح والمثابرة حتى تحقّق حلمها. فاستأجرت مرأبا آخر للسيارات ثم ثالثا فرابعا. وها هي اليوم تخطط لتوسيع فكرة إقامة مرائب خدمات للسيارات في أنحاء شمال شرق الولايات المتحدة. وقد تجاوزت أرباحها السنوية مليون دولار، وينتظر أن ترتفع الى ثلاثة ملايين في السنة ١٩٩١. وقد منحتها "مديرية الاعمال الصغيرة" في الولايات المتحدة "جائزة المقاولين الشباب" للعام ١٩٨٧.

كان سعي ليزا رينشو مذلا أحيانا، لكنه كان دائماً مشفوعاً بالثقة والايمان ومثالا يحتذى في بلوغ الهدف. وهي تقول: "غسلت السيارات ورميت النفايات وساومت أقوى الشركات، واكتشفت كم هو عظيم ما أستطيع تحقيقه لنفسي."

بائعة اللعب

قبل ١٣ سنة ذهبت لاين نيميث للتسوّق مصطحبة طفلتها. وراحت تبحث

عن لعب متينة وغير معقدة كتلك التي في حضانة الاطفال في كونكورد بكاليفورنيا حيث تعمل. لكنها لم تجد في المتاجر المحلية سوى لعب بلاستيكية أشبه بالخردة.

وحَداها الاحباط على التفكير في صنع لعب متينة جذابة للاولاد. وشجعها أنها تعرف ماذا تطلب الامهات. لكن الاصدقاء ألحوا الى انعدام مؤهلات لديها للنجاح في عمل كهذا.

إلا ان زوج نيميث ووالدها رأيا أن فكرتها جديرة بالاهتمام. فاقترحا أن تبدأ ببيع اللعب على طريقة أدوات "تابروير"[١] أي عرض البضاعة لمجموعة من الناس في المنازل.

فاشترت نيميث لعباً من مزودي حضانة الاطفال وطلبت من صديقاتها اقامة "حفلات" ألعاب. وشجعها نجاحهن المتواضع، فاقترضت ٥٠٠٠ دولار من جدتها لاستيراد مجموعة مختارة من الالعاب. وأسست شركة "ديسكافيري" للالعاب.

ثم حولت مرأبها مستودعاً. واذ كانت غير قادرة على استخدام عمال، منحت ثلاثاً من صديقاتها لقب "مستشارة ثقافية" مع نسبة مئوية من مبيعاتهن.

وكانت حماستها معدية. ففي السنة الاولى بلغت مبيعاتها ٢٠ ألف دولار، فتركت وظيفتها. واقترضت بعض المال من أهلها واستأجرت مستودعاً صغيراً في كونكورد في أغسطس (آب) ١٩٧٨ ووضعت نصب عينيها هدفاً هو تحقيق مبيعات بقيمة مئة ألف دولار في نهاية السنة.

وازدهرت تجارتها ونفد معظم مخزون الالعاب لديها بحلول اكتوبر (تشرين الاول)، فكيف تلبي طلبات عيدالميلاد؟ وهي تذكر: "كان الامر مرعباً: يأتيني طلب لاربعين لعبة فلا أقدر أن أسلّم الا اثنتين."

في السنة التالية صمّمت نيميث على الا تباغت بنقص في عدد اللعب. فاستأجرت مستودعاً أكبر وحشته باللعب، فحلّقت مبيعاتها متجاوزة المليون دولار. ولكن في نهاية السنة كان لا يزال لديها مخزون غير مبيع في المستودع وعليها دين بمبلغ ١٠٠ الف دولار. ولم يقرضها أي مصرف، فتدبرت قرضاً من شركة تسليف بفائدة ٢٧ في المئة.

مضت ستة أشهر وازدادت نيميث غرقا في عمق المشاكل المالية. ثم تلقت اتصالا من رجل أعمال في سان فرنسيسكو كان حضر أحد عروض "ألعاب ديسكافيري" فخلّف العرض في نفسه انطباعاً قوياً حفزه على عرض انقاذ نيميث من مشاكلها المالية، فباعته ٢٠ في المئة من أسهم الشركة.

تحسّن الوضع فوسّعت نيميث عملياتها ثانية، لكن الديون المتراكمة عادت فدفعتها الى حافة الافلاس.

وللمرة الاولى رأت نيميث أنها بلغت الحضيض وأن لا بد لها من الاقرار بالهزيمة والتخلي عن مشروعها. لكنها

(١) Tupperware

ثابت الى نفسها واستيقظت داخلها روح الكفاح والتحدي التي رافقتها منذ البداية.

وتقول: "كنت دائماً أفكر في ألعاب ديسكافيري كأنها ولدي الثاني. فلو كانت ابنتي مريضة وفي خطرٍ، فماذا كان يتعين علي عمله؟ وحين نظرتُ الى مشكلتي من هذه الناحية اتضحت لي الطريق التي يجب سلوكها."

وصممَتْ على الاستمرار في الكفاح. فعمدت الى خفض الرواتب وحظيت بمصرف قبل بمساعدتها. وفي العام ١٩٨٥ بلغت قيمة مبيعات "ألعاب ديسكافيري" ٣٧ مليون دولار. وفي العام ١٩٨٩ قفزت الى ٧٠ مليون دولار حصيلة بيع كتب وألعاب وتسجيلات سمعية في أنحاء البلاد، جنّدت لها ١٨ ألفا من الباعة العاملين بدوام جزئي.

وتستخلص نيميث من تجاربها وأخطائها التي كادت تحطمها وتقضي على حلمها الكبير "ان الاخطاء لا بأس فيها ولا بد منها، إنما احرصوا على ألا تقعوا في خطأ واحد مرتين."

شاي من القفر

أصيب موريس "مو" سيغل في طفولته بداء الربو. وبدلا من الاستسلام للمرض شرع في التنزه في سفوح جبال روكي بجوار منزله في كولورادو. وأثمرت نزهاته الطويلة حين راح يجمع الاعشاب البرية مع بعض أصحابه.

كان سيغل طالبا فاشلا، فترك الجامعة وبدأ يمزج الأعشاب لتحضير تركيبات مبتكرة للشاي. وتحداه أصحابه مشجعين: "مو، يمكنك أن تبيع هذه البضاعة فعلا."

كان سيغل في السن العشرين حين حضَّر خليطاً من البرسيم والنعنع وباعه باسم "شاي مو - ٢٤ عشبة." وكان التوقيت مناسباً لان الناس عام ١٩٧٠ كانوا مهتمين بصحتهم أكثر من قبل ومهيئين لقبول شاي لذيذ خال من الكافيين.

في البداية كان سيغل واصحابه يجمعون الاعشاب ويمزجون العناصر بأنفسهم. وكانت تلك عملية مرهقة. لكنهم توقفوا عن جمع الاعشاب حين اكتشف سيغل أن في امكانه شراء البرسيم الاحمر من مزارعين يوغوسلاف بدولارين فقط لكل كيلوغرام.

سمّى سيغل شركته "سيلستيال سيزوننغز"[٢] وأطلق حملة دعائية تحت شعار "شاي مهدىء لعالم قلق."

وهو تحاشى المتاجر الكبرى، وقصد بسيارته القديمة متاجر الاغذية الصحية على الطرق الرئيسية بين كولورادو ونيويورك.

بحلول العام ١٩٧٤ بلغت قيمة مبيعات شركة "سيلستيال" ثلاثة ملايين دولار لكنها أوشكت على الانهيار. ويشرح سيغل ما حدث: "قررنا شراء النعنع من ويسكونسن فكانت الكارثة، اذ أتلف الصقيع معظم المحاصيل."

(٢) Celestial Seasonings

نمت شركة سيغل وأصبحت مكانا يطيب العمل فيه. وهو ألغى ساعات ضبط الوقت وأعطى كل عامل علاوة في عيد مولده. لكنه شدد على أن يكون الانتاج صحيحاً تماماً خاليا من كل عيب، فسبق عصره بوقت طويل.

عام ١٩٨٤ أُعلنت شركة "سيلستيال سيزوننغز" احدى فضلى الشركات في أمريكا كمكان للعمل.

في تلك السنة باع سيغل شركته لشركة "كرافت" بمبلغ ٣٦ مليون دولار، وانصرف لقضاء وقت أوفر مع عائلته. وازدادت المبيعات بادارة "كرافت" لكن مجموعة من المستثمرين اشترت "سيلستيال" ودعت سيغل الى ادارتها. وهلّل العاملون في الشركة، وعددهم ٢٢٥، لدى تلقيهم النبأ. ولا يزال سيغل مديراً للشركة التي أسسها بجمع الاعشاب في البراري وسفوح الجبال.

غالباً ما تغيب عن بالنا الطاقة الكامنة التي تستنهض فينا الرغبة الملحّة والهمّة الصادقة في المخاطرة توصلا الى النجاح. لكن قصص نجاح ليزا رينشو ولاين نيميث ومو سيغل وآخرين تظهر أن الفكرة الصحيحة، اذا تعهدها شخص كفي، هي الأداة الاقوى والافعل للنجاح.

دوغ غار ■

لقاء عدّاء ودراجة

كانت إحدى صديقاتي تقود درّاجتها داخل حرم الجامعة، فشاهدت عدّاء يركض في اتجاهها. وإذ اقترب منها حاولت تفاديه. لكن الاصطدام حصل. ولما لم يُصب اي منهما بأذى يذكر فقد مضيا كل في سبيله.

وبعد عودة صديقتي الى منزلها تبينت جرحاً في جبهتها، فتوجّهت الى قسم الطوارىء في المستشفى. وسألها الطبيب عمّا أصابها، فأخبرته مضيفة، على سبيل المزاح، انها كان يجدر بها ألاّ تدع الشاب الوسيم يغادر المكان قبل أن تاخذ رقم هاتفه.

فعلّق الطبيب: "إنه لأمرٌ عجبٌ، فهو قال لي الكلام إياه عنكِ." وازاح الستار عن سرير آخر انطرح فيه العدّاء.

ك.ن.

صحافي عتيق

امضيت عطلتي السنوية في بلدة بحرية صغيرة. وذات يوم دخلت متجرا لاشتري صحيفة، ولمّا كنت قليل الاطّلاع على الصحف المحلية، سألت صاحب المتجر عما إذا كان يبيع صحفاً صباحية أو مسائية. فأجابني بشيء من الفتور: "توزَّع الصحف علينا مرة في اليوم. فاذا قرأتها في الصباح كانت صباحية، وإذا قرأتها في المساء كانت مسائية."

ا.غ.



كثيرون منا باتوا حريصين على الاقتصاد في استهلاك الطاقة والمواد الخام. وثمة عدد متنام من المجتمعات حيث تتوافر مستوعبات خاصة لانواع مختلفة من النفايات وتنفّذ برامج لاعادة تصنيعها.

أمام كل عائلة امكانات متعددة لسلوك بيئي نافع. ومن خلال الامتحان الآتي يمكنكم اختبار معلوماتكم واغناؤها. لبعض الاسئلة أكثر من جواب.

١. أي أداة منزلية تستهلك أكبر مقدار من الكهرباء؟

أ. الثلاجة.

ب. الطبّاخ الكهربائي.

ج. التلفاز.

د. الغسالة.

٢. متى يستحسن تشغيل الادوات الكهربائية الضخمة، كمجففة الغسيل وغسالة الصحون؟

أ. ليلا.

ب. أيام العطلات.

ج. صباح أول أيام العمل.

٣. بلغت كثافة الثلج في ثلاجتكم نصف سنتيمتر. ماذا تفعلون؟

أ. نذيب الثلج، لأن الطبقة الكثيفة تستهلك طاقة اضافية.

ب. نتركه كما هو لأنه يزيد البرودة.

ج. نذيبه بعد أن تصبح سماكته حوالى سنتيمتر.

٤. اذا تُرك التلفاز دائما في حال

"اطفاء موقّت"[1] بعد الانتهاء من مشاهدة البرامج، فما الكلفة الاضافية للكهرباء المترتبة سنويا؟

أ. لا شيء.
ب. نحو ١٥ دولارا.
ج. مئات الدولارات.

٥. أي التجهيزات المنزلية تزيد فاتورة الماء أكثر من غيرها؟

أ. الغسالة.
ب. المرحاض.
ج. حوض الاستحمام أو المرشة (الدوش).

٦. هل يجدي استعمال مركّب مزيل للكلسيوم مع مواد التنظيف؟

أ. نعم.
ب. فقط اذا خفضت كمية المنظف.
ج. كلا.

٧. في أي مجال يمكنكم استعمال ماء المطر؟

أ. لغسل الشعر ولحوض السباحة الخاص بالاطفال.
ب. لري الحديقة والنباتات المنزلية.
ج. لري النباتات بشرط تجمّع المياه بعد ساعة على الاقل من بدء هطول المطر.

(١) Stand — by

٨. ما أفضل السبل للتوفير في التدفئة؟

أ. اطفاء جهاز التدفئة ليلا.
ب. تخفيفه ليلا.
ج. ابقاؤه مشعلا على الدوام.

٩. هل يجب ترطيب الهواء اصطناعيا داخل المنزل؟

أ. نعم، لأن الهواء الرطب يدفأ على نحو أسرع.
ب. كلا، لأن الهواء الرطب يجعل البيت يبدو أبرد مما هو فعلا.
ج. نعم، لأن الهواء الرطب يجعل البيت يبدو أكثر دفئا.

١٠. قد يحتوي هواء المنزل على مواد مؤذية للاطفال. أيها أكثر ضررا؟

أ. أبخرة الفورمالديهايد من خشب الاثاث.
ب. أبخرة المذيبات من مواد لصق السجاد.
ج. أبخرة مواد حفظ الخشب.
د. دخان السجائر.

١١. بعد مرور خمس سنوات على كارثة تشيرنوبيل، لا تزال بعض الاطعمة ملوثة بالاشعاع الذري. هل تستطيعون تحديدها؟

أ. الطرائد.

ب. الحليب المعلب.
ج. الفطر.
د. الجوز والبندق واللوز.

١٢. هل يستحسن استعمال الخضر الطازجة لتحضير طعام الاطفال؟
أ. نعم، لأن الخضر الطازجة تغذي أكثر من الوجبات الجاهزة.
ب. فقط اذا كانت الخضر منتجة بالزراعة البيولوجية أو مقطوفة من حديقة المنزل.
ج. كلا، الخضر الموضبة أفضل عموما بسبب الضوابط الصارمة والمعالجة الفورية بعد القطف للحفاظ على الفيتامينات.

١٣. ما هي الوسيلة الفضلى للف الشطائر التي يأخذها أولادكم الى المدرسة؟
أ. ورق الالومنيوم.
ب. العلب البلاستيكية.
ج. الورق المشمع أو الاكياس البلاستيكية المحكمة السد.

١٤. تخصص مجتمعات كثيرة مستوعبات للزجاجات التي لا تردّ. هل تعرفون نسبة الزجاج المبيع في المانيا "الغربية" الذي يجمع من هذه المستوعبات كل سنة؟
أ. أكثر من ٩٠ في المئة.
ب. قرابة النصف.
ج. قرابة الربع.

١٥. كم من هذا الزجاج يعاد تدويره؟
أ. أقل من النصف، لأن الزجاج الذي يعاد تصنيعه يصعب بيعه.
ب. ثمانون في المئة.
ج. مئة في المئة.

١٦. ثمة قرابة مليوني رضيع وطفل في المانيا الغربية. ما نسبة الحفاظات الورقية من مجمل كمية النفايات المنزلية؟
أ. ضئيلة جداً بحيث يستحيل قياسها إحصائيا.
ب. اثنان أو ثلاثة في المئة.
ج. أكثر من عشرة في المئة.

١٧. فضلات الطعام يجب أن تذهب الى كومة النفايات في حديقتكم، ولكن ثمة استثناءات. هل يمكنكم تحديدها؟
أ. قشور الليمون (الحمضيات).
ب. الفواكه والخضر المتعفنة.
ج. قشور الموز.

١٨. ما أفضل السبل للاعتناء بتراب الحديقة؟

أ. الحراثة العميقة مرتين في السنة.
ب. نكش التربة السطحية قليلا في الربيع.
ج. الحراثة في الخريف فقط.
د. التسميد بالنفايات العضوية المتحللة مرتين في السنة على الاقل.

١٩ . على سطح سيارتكم حامل أمتعة نادراً ما تستعملونه. ما نسبة الكلفة الاضافية في الوقود التي يرتبها هذا الوزن الاضافي؟

أ. نحو ثلاثة في المئة.
ب. نحو ستة في المئة.
ج. نحو ١٢ في المئة.

٢٠ . هل تنفث السيارة المجهزة بمحوِّل حفّاز[٢] كمية أقل من المواد الضارة؟

أ. نعم، دائماً.
ب. فقط عندما تزيد السرعة على ٦٠ كيلومترا في الساعة.
ج. فقط بعد قطع مسافة كيلومترين.

الأجوبة الصحيحة

١ . (أ) تستهلك الثلاجة نحو ٤٧٥ كيلوواط ساعي في السنة، والطباخ الكهربائي ٤٤٠، والغسالة ٢٦٠، والتلفاز ١٧٠.

٢ . (أ وب) يعتبر صباح أول أيام العمل إحدى اكثر الفترات استهلاكاً للطاقة الكهربائية.

٣ . (ج) كلما بردت الثلاجة الى ١٨ درجة مئوية تحت الصفر بعد تذويب ثلجها، احتاجت الى استهلاك كهربائي إضافي. لذلك، الخطوة الاقتصادية هي الانتظار حتى تبلغ سماكة الثلج حوالى سنتيمتر.

٤ . (ب) أبقوا التلفاز مطفأ دائما في الليل. إن أنبوب أشعة "كاثود" لا يتأثر بالتشغيل والاطفاء المتكررين.

٥ . (ب) تستهلك الغسالة نحو ٧،٥ في المئة من كمية المياه المستهلكة في المنزل. ويستهلك المرحاض الثلث. ويتطلب الاستحمام في الحوض ١٥٠ ليتراً من الماء، بينما تتطلب المرشة (الدوش) ٦٠ ليتراً. اذاً، ما يمكن توفيره يعتمد على عاداتكم.

٦ . (ب) المركبات المزيلة للكلسيوم "تطري" المياه فتتطلب، بالتالي، حداً

(٢) Catalytic converter

أدنى من كمية المنظف المشار اليها على العلبة.

٧. (ج) المواد الضارة في الهواء تتجمع على السطوح. انتظروا حتى يغسل المطر هذه المواد قبل أن تجمعوا المياه. ولأن مياه المطر حمضية، فيجب استعمالها لري النباتات فقط.

٨. (ب) التدفئة الدائمة مكلفة، لكن اطفاء الجهاز ليلا مكلف ايضاً لأنه سيحتاج الى طاقة إضافية في الصباح. دعوا اختصاصياً في التدفئة يتفحص منزلكم ويفيدكم بدرجة الحرارة الاكثر توفيراً خلال الليل.

٩. (ج) اذا بلغت نسبة الرطوبة ٥٠ في المئة، تدنت حرارة المنزل درجتين. ركّبوا جهازاً لقياس الرطوبة، فكلفته لا تزيد على ٢٠ دولاراً.

١٠. (د) ثبت أن دخان السجائر هو ذو التأثير الاسوأ.

١١. (أ و ج) لا يزال لحم الطرائد يحتوي على ٥٥٠٠ بيكريل (أشعة ألفا بيتا وغاما) في الكيلوغرام الواحد. ويحتوي فطر الغابات والمروج على ٤٠٠٠.

١٢. (ج) تضمن وسائل الفحص الشاملة التي يلتزمها المنتجون عدم وجود تلوث كثير. الخضر المنتجة بالزراعة البيولوجية او تلك المقطوفة من حديقتكم لم تفحص، فربما كانت نسبة التلوث فيها مرتفعة.

١٣. (ب) الصناديق البلاستيكية يمكن استعمالها ثانية، والمحافظة عليها أفضل من اعادة تصنيعها. أما ورق الالومنيوم فيتطلب انتاجه كثيراً من الطاقة، فضلا عن أنه يسبب التلوث أثناء إتلافه لأنه يتلف بالحرق.

١٤. (ب) إن نسبة ٥٣،٥ في المئة من الزجاج المبيع في المانيا "الغربية" تعود فتظهر في المستوعبات.

١٥. (ج) الزجاج مادة أولية قيمة يمكن إعادة تصنيعها على الدوام. صنفوا الزجاجات بحسب لونها وضعوها في المستوعبات المناسبة.

١٦. (ب) تشكل الحفاظات الورقية

نحو ٣ في المئة من مجمل النفايات، لكن إحراقها لا يسبب تلوثا يذكر.

١٧ (أ) المبيدات في قشور الحمضيات مؤذية للكائنات المجهرية في كوم النفايات العضوية المسمَّدة.

١٨. (ب) نكش التربة السطحية يبقيها مهوّأة. أما الحراثة العميقة فتقضي على الجراثيم والكائنات المجهرية المفيدة.

١٩. (ج) تستهلك السيارة المزودة حامل أمتعة فارغاً كمية اضافية من الوقود قد تصل الى ١٢ في المئة.

٢٠. (ج) يصبح المحول الحفاز دافئا كفاية للعمل بانتظام بعد قطع مسافة كيلومترين فقط.

لا يتطلب تطبيق هذه الافكار إلا قليلا من الجهد. فاذا طبقتموها ساهمتم في استهلاك المواد الخام على نحو مقتصد وأخلاقي، وربما حسَّنتم موازنتكم المنزلية أيضا.

روبرت بولر
وروز ماري فتشر ■



ماما ذكية

قصدت احدى العائلات متنزهاً فوق جرف يشرف على شاطىء البحر. فجلست الأم والاولاد يمتعون انظارهم بالمشاهد الرائعة فيما توجه الأب الى حافة الجرف وتطلع الى اسفل، وكان يحمل حقيبة النزهة على ظهره.

فمشى اليه ابنه الصغير بحذر وقال له: "بابا، تقول لك ماما ابتعد عن حافة الجرف، والا فاعطني شطائر الغداء."

ا.ف.

شرطي من برلين

كان سائح كندي يجول في أوروبا فيما جدار برلين يتهدم. فقرر التوجه الى المانيا ليحظى بتذكار من الجدار التاريخي. وإذ وجد الاقامة في فنادق برلين مكلفة جداً، سأل شرطياً شاباً عما اذا كان يعرف فندقاً متواضعاً ينزل فيه.فعرض عليه الشرطي النزول في شقة يملكها، فقبل السائح شاكراً. ولما عرض على الشرطي بعض المال أبى هذا أخذه قائلاً: "غداً عندما ازور كندا أود النزول في بيتك."

ل.ك.

خواطر أب

رُزق طفلة، وها هو يحكي "معاناته"



بلغت آلام المخاض ذروتها قبل مولد ابنتنا بدقائق. وكنت وزوجتي فيرجينيا دخلنا المستشفى ظهراً، وبحلول منتصف الليل جاءها المخاض عسيراً، وهو الطور الذي يدفع بعض أنصار الولادة الطبيعية الى طلب استخدام العقاقير. وأظهرت زوجتي قوة رائعة طوال الصباح الباكر، فعصرت يدي بقبضة كادت تسحق عظمي مع كل نوبة تقلّص. وفي الرابعة الا خمس دقائق فجراً عدّلت وجهة تصريف طاقتها. واذ التفتُّ لأرى كم الساعة اختطفت ذراعي اليسرى غارزة أصابعها في الفرجة بين العضل والعظام. وبكل ما أوتيتْ من قوة حاولت أن تنزع العضلة من ذراعي.

عين الصواب أن آلام الولادة مبرحة، اذ كاد يغمى علي. ثم ولدت ميغان في تمام الرابعة فجراً.

بعد بضع دقائق سألت فيرجينيا عن شعورها. قالت لي: "حالي ليست بالغة السوء. أظنني أرغب في اعادة الكرّة. أخبرني أنت حين تكون مستعداً لذلك."

ولأني أب للمرة الأولى، ثمة مادة جديدة لها دور رئيسي في حياتي: الغائط. هذا اسمه لدى الاطباء. وأنا ألهج به، فأثني عليه واستمطر اللعنات. وحين أعود من عملي الى المنزل فان أول سؤال أبادر به فيرجينيا: "مرحباً يا عزيزتي، هل أخرجت ميغان ما في الحشا؟"

قبل أن نغادر المستشفى أخبرنا الطبيب أن الرضيعة يجب أن تتغوط ثلاث مرات أو أربعاً كل يوم. وأضاف: "إن لم تفعل، اتصلا بي."

مرّ يوم، ثم ١٢ ساعة أخرى، ولا غائط. اتصلت بالطبيب، فأجابني صوت رجل. قلت: "زوجتي ولدت طفلة قبل يومين، وهي لم تتغوّط بعد... أقصد الطفلة." وفصّلت له بسرعة كل معلومة ارتأيت أن على الطبيب أن يحيط بها، بما في ذلك

وضعية نوم ميغان، وأن فيرجينيا أصيبت بحمى خفيفة مساء. لم أترك شاردة ولا واردة.

قال لي الصوت على الهاتف: "هنا الاستعلامات، انتظر وسأصلك بالدكتور بنجامين."

وكلمني الطبيب وأكد لي أن كل شيء طبيعي على الأرجح، وقد أثبتت الأيام صواب كلامه.

واني حين أسمع الزعيق الوحشي تطلقه ميغان يتناهى إلي أيضاً صوت حاسبة المتجر مسجلة ثمن "الحفاظ."

يا حديثي العهد بالأبوة، احذروا الغم الذي يصيب زوجاتكم بعد الولادة. فالتغيرات الهورمونية في الأمهات بعد الوضع تدفعهن الى الكآبة وسرعة الانفعال لغير ما سبب ظاهر.

ذات مساء كنت وزوجتي نشاهد المسلسل التلفزيوني الفضائي "ستار تريك." وفي تلك الحلقة انتدب الضابط الأول في المركبة الفضائية "انتربرايز" للعمل موقتاً في مركبة جديدة. وأدى ذلك الى افتراقه عن الضابطة التي كان يواعدها. وفيما هو يودعها سمعت شهيقاً. التفت فرأيت الدموع تنهل على وجه فيرجينيا.

قلت مهدئاً خاطرها: "اني أشعر بما تشعرين، فهذا المشهد هو من أكثر المشاهد رومنطيقية في تاريخ التلفزة." شجعها كلامي فأقرت بأنها تبكي أحيانا لدى مشاهدة اعلانات تجارية، ومن بينها اعلان يصور حال زوج وزوجة يعلمهما الطبيب بأنهما سيرزقان توأمين، فتنتابهما فورة تبضع، فيشتريان زوجين اثنين من كل شيء.

وشراء زوجين من كل شيء يجعلني أجهش بالبكاء أنا أيضاً.

الجهاز الجديد الذي يرصد أحوال الطفل يتيح للمرء أن يسرح في البيت والحديقة فيما الطفل يغط في النوم. وما عليك سوى أن تضع جهاز ارسال قرب الطفل وتحمل أنت لاقطاً.

جهاز الرصد سريع التأثر، فهو يلتقط تنفس ميغان. ولكن حين يكون اللاقط قرب سريرنا نخال من صوته أن غوريلا تنام معنا.



في احدى العشايا جاءني صوت امرأة عبر اللاقط: "ما نوع معجون الاسنان الذي تريده يا بيلي؟" لقد اعترضنا موجة البث لجهاز راصد آخر. وأسررت الى نفسي: ياه، يمكن أن نلهو كثيراً! لكن حماستي تلاشت حين أدركت أن الجيران منفتحون على خفايا محادثاتنا الخصوصية.

دأب الرجال عبر العصور على التمعن في السؤال الآتي: "ما أفضل السبل لجذب الفتيات؟" لقد تبصّرت في الموضوع واهتديت الى جواب. احمل معك طفلاً، في أي وقت من النهار وحيثما كنت، في الشارع أو في السوق. فإن النساء ينحرفن عن سبيلهن ويقتربن من رجل معه طفل. وإن لم تكن زوجتك في مكان قريب اصطفّت النسوة لمشاهدتك أنت والطفل وأنعمن عليك بنظرة ود كالتي يحطنه بها.

لا شك في جنون من صمّم ملبوسات الأطفال ذات الأكمام الطوال الضيقة المستدقة الاطراف، اذ يطفح جلدي عرقاً وأنا أحاول حشر ذراعي ميغان في أكمام طويلة. تزعق أحياناً، ويلتبس عليها الأمر أحياناً اخرى. وقد تتصلب، أو ترتخي، أو تخفق ذراعيها. لا يمكن التكهن بردّ فعلها. كأنني أحشو قشة بالمعكرونة. وأصعب الأمور اخراج يدها من الكم، اذ أستخرج اصبعين، وأزيدهما اثنتين، فتنجذب أصابع ثلاث داخل الثوب. وبعد أن أدخل ذراعيها في الكمين تطل فيرجينيا من فوق كتفي قائلة: "الازرار الى خلف يا عزيزي."

تجلس ميغان قربنا الى طاولة الغداء وتصرخ حين نأكل. هي لا تريد أن تكون معنا بل في سريرها. لكن ينبغي للعائلة أن يأكل أفرادها معاً.

وأسأل: "هل من جديد؟"

فتجيبني فيرجينيا: "لا جديد. ماذا استجد معك أنت؟"

"لا شيء."

وهذا ختام حديثنا، اذ يطبق علينا صراخ ميغان.

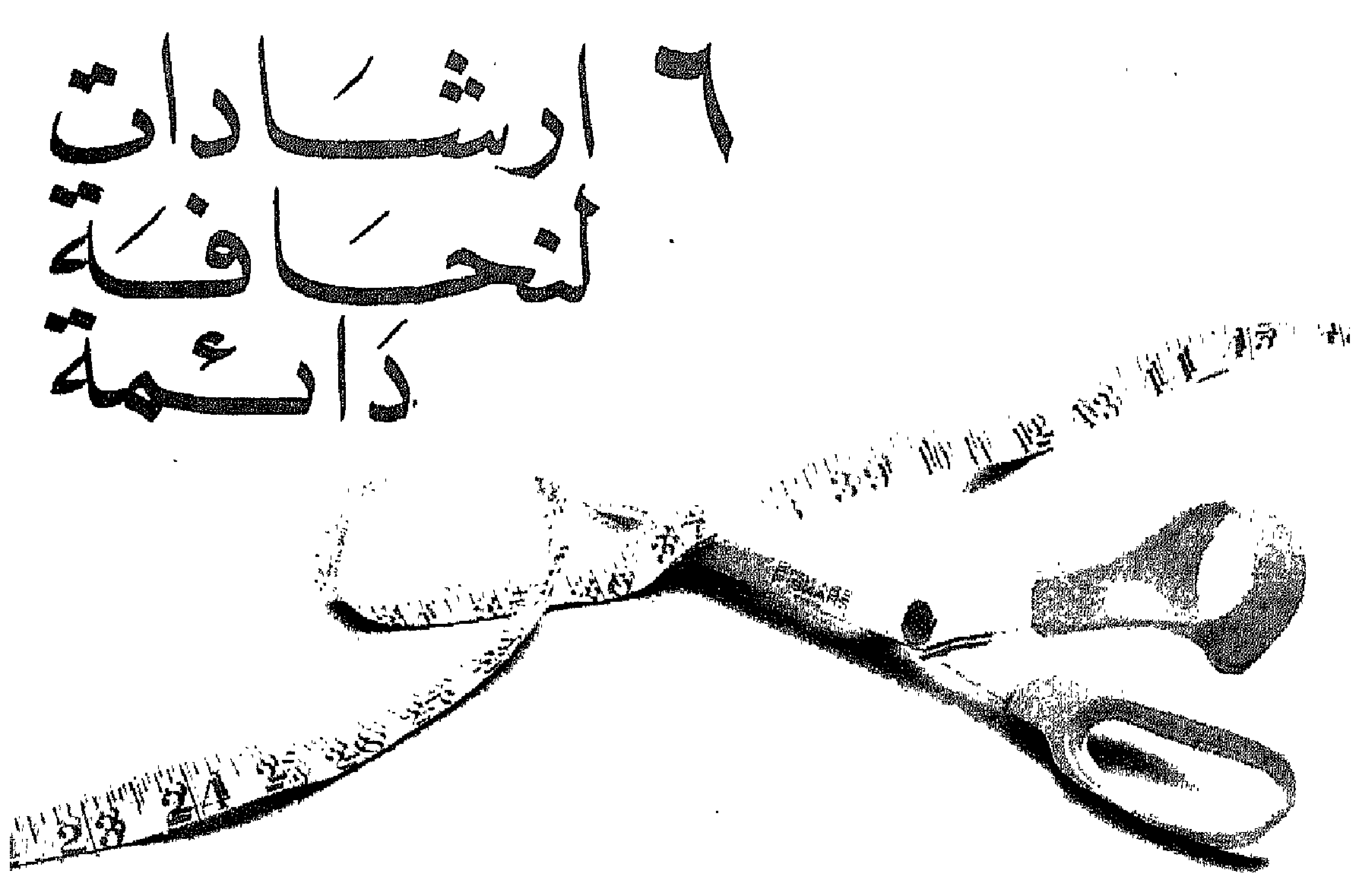
ولكن ثمة لحظات لها وقعها في النفس. ميغان، ذات الاشهر الثلاثة، تبتسم حين تستيقظ وتراني. أبدل حفاظها فتزيدني ابتساما. أحملها وأطوّح بها في الغرفة. تمنّ علي بتكشيرة عريضة خالية من الاسنان... ثم تقذف ما في معدتها.

أنظف المكان وأعيدها الى غرفتها. ميغان ترسم في ذهني سؤالا: كيف يغير الطفل حياة الانسان؟

عيناه يجفوهما النوم وهو يفتقد طعم الهدوء. لكنني لا أود أن أكون في مكان آخر. فعلى رغم كل اللهوجات الخرقاء التي بدرت مني والتي قد تبدر مستقبلا يا ميغان، أظن أني بدأت أحسن التصرف. ألا ترين ذلك؟

سكوت كرامر ■

٦ ارشادات لنحافة دائمة



اذا نجحتم في خفض وزنكم بالحمية فحافظوا على لياقتكم المكتسبة

يعلم كل من يتبع نظام حمية أن التخلص من الكيلوغرامات الزائدة أمر صعب، لكنه ليس مستحيلا. والجزء الاصعب يتمثل في عدم استرداد ما فقد من وزن. فمن بين كل خمسين "محميا" واحد فقط يتمكن من المحافظة على ما أنجزه.

خلال السنوات العشرين الماضية عمل مئات الباحثين في مشاكل السمنة، ونحن منهم، على الاسباب التي أدت الى عجز الفاشلين عن المحافظة على وزن مناسب. لكن قلة من هؤلاء الباحثين فكرت في سؤال الناجحين عن سبب نجاحهم في هذا المضمار.

في العام ١٩٨٢ قررنا أن نأخذ تلك الخطوة. وبعد "غربلة" مئات المتطوعين وجدنا ٥٦ منهم يطابقون متطلباتنا الصارمة، أي المحافظة على وزن صحيح لمدة سنتين على الاقل بعد فقدانهم ٢٠ في المئة أو أكثر من وزنهم السابق. راوحت أعمار هؤلاء بين الحادية والعشرين والتاسعة والستين، وكان معظمهم في الثلاثينات والاربعينات. وهم فقدوا تسعة كيلوغرامات على الاقل وظلوا ينحفون لمدة ست سنوات متتالية.

لو أردنا معرفة سر النحول الدائم لوجدناه لدى هؤلاء الاشخاص المميزين. اليكم بعض خطواتهم نحو حمية ناجحة:

١. انظروا الى أنفسكم كما ينظر اليكم الآخرون.

غالبية المحميين الفاشلين يدورون في حلقة مفرغة، اذ ان بدانتهم تضعف من تقديرهم لذواتهم فيعمدون الى اللامبالاة ويفرطون في الاكل. كثير من الناجحين يتذكرون اللحظات المحرجة التي نقلتهم من خداع الذات الى الصدق معها.

تتذكر ماري (٣٧ عاما): "كنت أرى نفسي في المرآة وأقول: لست بشعة. وذات يوم كنت في مطعم حيث لفت نظري طفل في حضن أمه. سألتني أم الطفل عن موعد ولادة جنيني. تلك كانت البداية. في تلك الليلة بكيت كثيراً."

أجبرت ماري على مواجهة الحقيقة، فراحت تخفض وزنها. ومنذ أربع سنوات توصلت الى الوزن الذي تبغيه، وها هي تحافظ عليه من خلال التمارين الرياضية واجتناب الاطعمة الدهنية.

٢. تحمَّلوا المسؤولية.

بالصدق مع النفس يحدث تحول من الاتكال على حكم الآخرين الى الاعتماد على النفس. مهما أولاك الآخرون اهتماما فهم لا يملكون جسمك. قالت ماري: "لا يمكنك أن تنقص وزنا لترضي أهلك أو زوجك أو أصدقاءك. عليك أن تفعل ذلك لنفسك."

يوافق الناجحون على أن تحمُّل مسؤولية انقاص الوزن هو عامل حاسم. ونحن توصلنا الى هذا المفهوم نتيجة شهادات أشخاص شملتهم دراساتنا.

المحميون الناجحون غالبا ما يضعون خططهم الخاصة. وهذا لا يعني أنهم جميعاً حققوا غاياتهم من دون مساعدة خارجية متخصصة. ولكن إن هم استعانوا ببرنامج حمية، فقد فعلوا ذلك كمبتدئين يتعلمون من محترفين وليس كمتلقي علاج سلبيين كوفئوا لتوافقهم مع أهداف شخص آخر.

انجرف بوب نحو البدانة مثل كثير من الناس. وذات يوم، بعد عطلة تميزت بالاسراف في الطعام، قرر القيام بعمل حيال ذلك: "تناولتُ كتاب الطبخ ووضعت لائحة بالاطعمة التي أحبها والتي تحتوي على كمية ضئيلة من الوحدات الحرارية. فعلتُ ذلك غير متسلح بأي معرفة غذائية. "بدأت بالتهام فروج كامل مطبوخ كوجبة مسائية. وتناولت مثلجات ذات نسبة متدنية من الوحدات الحرارية."

جرب بوب النظام النباتي وغيره من الاساليب، لكنه لم يتعلم شيئاً عن التغذية الا بعدما قصد وزوجته مركز "مراقبي الوزن." وهو اليوم عدّاء ملتزم يأكل بتعقل.

يبلغ طول بوب ١٨٠ سنتيمتراً ووزنه ٦٨ كيلوغراماً. كان في السابعة والثلاثين عندما التقيناه وبدا كأنه خريج جامعة شاب، وقد استطاع المحافظة على نحافته طوال ست سنوات.

٣. قوموا بواجباتكم.

حين خطا متطوِّعونا خطواتهم الاولى نحو خفض الوزن الدائم، قال ٣١ في

المئة من النساء و٤٧ في المئة من الرجال انهم لا يعرفون الا القليل عن التغذية. كثيرون منهم وقعوا في حيرة أمام مئات الكتب التي تتناول موضوع الحمية، وعشرات البرامج التجارية، وتنافر النصائح ممن يسمّون خبراء. معظمهم تعلموا بعد عذاب مرير أنهم يستطيعون خفض وزنهم بتناول كمية أقل من الطعام، لكنهم لا يستطيعون المحافظة على وزنهم الجديد.

السر الذي اكتشفه متطوعونا الناجحون هو أن خفض الوزن الدائم يأتي فقط بالتعديل الدائم لاصناف الطعام المفضلة. وذلك يتطلب معرفة.

مفتاح السر هو دهنيات وسكّريات أقل ومزيد من الكربوهيدرات المركبة كالخضر والحبوب الكاملة والفواكه. ان ثلاثين غراما من الخضر تحتوي على نحو عشر وحدات حرارية، بينما تحتوي كمية مماثلة من الزيت على نحو ٢٢٥ وحدة. في امكانكم ان تتناولوا ٢٥ غراما من الخضر في مقابل غرام واحد من الدهنيات. على نحو مماثل، يمكنكم ان تتناولوا خمسة غرامات من الفواكه في مقابل غرام واحد من السكر.

٤. اعتمدوا على الانتصارات الصغيرة.

قال هنري فورد مرة: "ليس من أمر صعب في ذاته اذا جزأته مهمات صغيرة." ان اعادة صوغ الامور الكبيرة بخطوات صغيرة تعني نشوء مهمة يمكنك مباشرتها فوراً ويكون لها مردود سريع يمكن ادراكه.

وجدت جوان أن مشكلتها تتمثل في جهلها أمور الغذاء. هذا وضع مثالي لنجاح صغير.

طبقت جوان ما تعلمته، فبدأت الاستغناء عن السكر والدهنيات المشبعة في طعامها. ساعدها التقليل من السكر في تخفيف جوعها، وأدى خفض السكر والدهن الى خفض كبير للوحدات الحرارية التي تدخل جسمها. نقص الوزن الناتج من ذلك بدا نجاحا صغيرا آخر لم يحصل من طريق محنة. وتلك هي الفكرة بمجملها: المشاكل الكبيرة تُحل بخطوات صغيرة.

الخطوات الصغيرة تنجح لانها تبعد الضغط (نقول: "ليس هذا بالامر الصعب") كما أنها تقلل من ثمن الفشل ("يمكنني أن ابدأ من جديد.") يقول كميل: "كنت في الماضي كلما أفسدت حمية شعرت بالاحباط وتخليت عن الفكرة. أما اليوم، وعلى رغم شعوري بالمرارة أحيانا، فانني أبدأ من جديد."

قليل من التغيير في الاطعمة المفضلة، وبعض الزيادة في التمارين الرياضية، وتعزيز طفيف للثقة بالنفس، تبني ببطء أساسا صلبا. والمتغيرات المكتسبة بانتصارات صغيرة تتحول عادات.

٥. قللوا من اهمية الطعام.

قالت سالي (٣٧ عاما): "مشكلة الحمية هي الطعام الذي تتضمنه. اذا

جعلت الطعام مسألة أساسية فسوف تفشل حتماً. في المرة الاولى حين اتبعت حمية تساءلت كما يتساءل معظم الناس: ماذا يمكنني أن آكل؟ أي كمية؟ هل طعمه لذيذ؟ هل سأشبع؟ انه لعذاب مضن حقاً. استحوذت أفكار الطعام على حياتي. ثم قررت التقليل من أهمية الطعام وابعاده عن تفكيري."

من الواضح أن لما تأكلونه تأثيراً كبيراً، لكنكم عندما تصبحون محميين عليمين فلن تعودوا في حاجة الى الاهتمام كثيرا بحميتكم. ما اكتشفته سالي والناجحون الآخرون هو أن عملية فقدان الوزن تصبح أسهل اذا أوليتم الطعام اهتماما أقل. بالنسبة الى كثيرين، كان عدم احصاء الوحدات الحرارية بدقة طريقة لتجنب استبداد الحمية بالتفكير.

٦. مارسوا الرياضة.

لم يمارس كل النحلاء الناجحين تمارين رياضية خلال فترة فقدان الوزن، الا أنهم بعدما أتموا مهمتهم بصدق أصبحوا جميعا يمارسون التمارين بحماسة. تقول لوسي: "جربت رياضة العدو وتابعتها. عندما يقول لك أحدهم: أنت تبدو أحسن شكلاً مما كنت طوال حياتك، فانك سوف تقفز من فراشك في اليوم التالي لممارسة العدو."

معظم المحميين الناجحين يتمرنون باعتدال، فيحرقون ما بين ١٥٠٠ و٣٠٠٠ وحدة حرارية أسبوعيا من دون تعقيدات. ورياضة المشي هي الاكثر شيوعا لانها لا تتطلب ثيابا خاصة ولا مكانا خاصا ولا تتسبب بايذاء أعضاء الجسم.

ما أهمية الرياضة في الحؤول دون استرداد الوزن الزائد؟ ان لها أهمية كبيرة، ولكن مما يثير الاهتمام أن المحميين الناجحين الذين قابلناهم لم يعودوا يهتمون لهذا السؤال كثيراً. انهم، ببساطة، يتمتعون بشكلهم اللائق.

نانسي (٥٦ عاما) تمارس العدو يوميا، وقد قال لها طبيبها انها تملك جسد امرأة في الثلاثين، وهي تلخص الامر بمهارة قائلة: "عندما ترى نفسك في المرآة وتبتسم لشكلك الحسن وتدرك أنك أنت السبب، فلن ترضى بعدئذ بأقل من ذلك."

روبرت كولفن وسوزان أولسون ■

كولفن أستاذ العلوم الاجتماعية والسلوكية في كلية الطب بجامعة ايلينوي الجنوبية، واولسن مديرة الخدمات السيكولوجية (النفسية) في "مركز بارياتريك للتغذية" في اريزونا.

تركها أصلح

ذهبت للتسوق مع صديقة لي، فاشترت قبعة مستديرة من القش لا حافة لها، ولم تنزعها عن راسها طوال النهار. وعندما عادت الى بيتها اتصلتُ بها لاستطلع راي زوجها في القبعة، فتنهدت قائلة: "انها الآن على المائدة، وفيها زهور اصطناعية."

ج.ا.



الخمسون سن رائعة

أصحيح أن الخمسين هي بداية النهاية أم أن الافضل آت؟

ولدتُ في الثامن من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٧. وأتساءل أحياناً ان كنت الوحيدة التي تقر بسنها، فالاخريات اللواتي أعرفهن لا يأتين أبداً على ذكر تاريخ ولادتهن، بل يوحين اليك أن أعمارهن هي أكثر أسرارهن احراجا. وقد يفضلن ألف مرة مباغتتهن في وضع محرج على أن يكشفن وثيقة ولادتهن. ولكن بحسب نظرتي الى الامور، ثمة كثير من الهموم في الحياة ولا حاجة الى افتعال المزيد. ويبدو أن الامريكيات سبقن الجميع في هذا المجال. فكثيرات من النساء الجميلات والشهيرات أمثال جين فوندا وراكيل ولش وبربارة بوش تخطين الخمسين وما زلن يرفعن رؤوسهن عاليا. وهذا لا يعني بالضرورة أنهن أكثر ذكاء، لكنهن أكثر راحة هكذا.

وفي فرنسا يتآكل معظم النساء خوف من فكرة تجاوز الاربعين. وهذا أمر مفهوم طبعا. فسنوات الاربعين تجعل المرء

متوتراً أكثر من سنوات الخمسين. أما بالنسبة الي فقد كان تجاوزي الاربعينات بداية عهد "الرائعة في خطر"، اذ اقتصر تفكيري على الوسيلة الممكنة لاسترجاع ما فقدته.

وكنت أحيانا أبالغ في مزاجي فأدعي أنني في الستين من عمري، فأسمع صوتا يهمس: "هل رأيت كلير غالوا كم تبدو شابة؟" وكأن المرء يستطيع أن يكون شاباً في الستين. الامر يدعو الى السخرية. فكلمة "شاب" هي أهم كلمة في عصرنا. ففي أيامنا يعني توقف المرء عن أن يكون شاباً انتقاله ببطء الى داخل ضباب يمحوه من اعتبار الآخرين. انه يعني تقهقرا مستمراً لمصادر القوة كالحب والصحة والعمل والاحلام والحماسة. ان بقاء الشباب على رغم كل شيء هو أكثر المزاعم برودة وغرابة في مجتمع يدعي اللاأنانية ويدعو الى تخفيف الفوارق الاجتماعية، في حين يخدع نفسه بفكرة أن السعادة تقضي بتجاهل أمور مثل الشيخوخة. الواضح أنه لا يحق لنا بعد اليوم أن نكون بدينين أو ناقلي عدوى أو أغنياء أو فقراء. واذا ساءت الامور أكثر فان مجتمعنا الذي يبدو حراً وكريماً سيصبح الاكثر تزمّتاً على وجه الارض.

أنا إذاً تخطيتُ الخمسين وبتُّ قريبة من الشيخوخة. لكن ذلك لا يزعجني، فأنا أشعر بالارتياح. لقد حققت بعض التقدم مع مضي السنين، وراحتي الكبرى أنني تخليت عن معظم الاوهام. تعلمت أن من تحسبهم أنزه الناس وأكرمهم قد يكيلون لك أوجع اللكمات. والنتيجة أن الحياة اليومية لا تأتيني الا بمفاجآت سارة. ولم تعد الخدع الدنيئة تستذرف الدمع من عيني، بل ايماءات اللطافة وحدها تفعل ذلك.

وبديهي أن يزداد قلقنا على وقتنا المهدور مع مرور السنين، كذلك الخوف من أن يصيبنا مرض خطير أو حادث مريع أو أن نضطر الى التخلي عن أحاسيسنا ومنطقنا واكتشافاتنا ولذاتنا البسيطة كرشف فنجان قهوة أو التمتع بلون السماء. وهذا سبب اضافي يدعونا الى الانتفاع بالوقت الحاضر.

الخمسون سن ممتازة. والتطور الاجتماعي يجعل مشاكل الخمسين الآن أسهل من مشاكل الاربعين قبل عشر سنين. فالشكوك والمخاوف التي قيل انها ترافق السن الخمسين هي مجرد خرافات. سيغادر الاولاد المنزل؟ نعم، لكن ذلك قد يكون انتصاراً، لأنه برهان على أنك منحتهم الحب الكافي والثقة بالنفس لبدء حياتهم الخاصة. الرجال؟ غريب هو الموقف تجاه الرجال في الخمسين. من ناحيتي، ألاحظ أنهم أقل اهتماماً بي، لكن ما يفرحني أني بتٌّ لا أهتم الا لقلائل منهم. فالقَسَمات الوسيمة والشهوة المادية لا تعني لي شيئاً في هذه الايام. أنا الآن أكثر حصانة وأصعب ارضاء. وفوق ذلك كله أنا أبحث عن محدِّث جيد، عن رجل رفيع المنزلة يتمتع بذكاء وطيبة وروح مرحة.

على المرء أن يلاحظ أن السن الخمسين قد تكون هي الذروة، أي أفضل ما في النهاية. ولا ننسَ الكلمات الرهيبة التي تفوه بها الرئيس الفرنسي الاسبق شارل ديغول: "الشيخوخة حطام سفينة."

حسناً، اذا كتب لسفينتنا أن تتحطم في النهاية فلا مفر من هذا المصير. ولكن لماذا العجلة؟ في الخمسين تبقى أمام المرء عشر سنين أو عشرون سنة رائعة. وفي هذا المجال، كما في غيره، ثمة فوارق كبيرة. ولكن في وسع المرء أن يهدف دائماً الى أن يكون بين الناجين. وثمة ناجون دائماً. وقد عرفت واحدة منهم عن كثب هي جدتي.

زرت جدتي ذات أمسية شتائية. وانتظرتها ريثما وضعت طقم أسنانها الاصطناعية في فمها وتبرجت وارتدت ثوبا أنيقا. كانت جميلة دائماً وتعتني بنفسها على الدوام. بسمَت عندما رأتني وقالت: "أوه يا حبيبتي، أعتقد أنني بدأت أشيخ، اذ انني أشعر بالنعاس."

صباح اليوم التالي لم تستيقظ جدتي. كانت في الثانية والتسعين من عمرها.

ان كلمة "عجوز" تزعجني ولا أحب أن أخاطب بمثل هذه العبارة وأنا في هذه السن. ولكن لا غنى للمرء عن بعض المرح لكي لا ينتحب على نفسه ولكي يظل قادراً على التغاضي عن بعض متاعب الحياة. وقد قلت لابني مرة في لحظة ضعف: "حين تأتي ساعتي أود أن أموت مثل جدتي."

فأجابني: "حقاً؟ وأنت متبرجة وفي ثوب أنيق؟"

كلير غالوا ■

زوجة بمئة جمل

كنت وزوجي في رحلة سياحية وسط الصحراء. وبينما نحن ننتظر خارج دكان لبيع الهدايا التذكارية في احدى الواحات، اقترب منا بائع بدوي يحمل احزمة جلدية. وبعدما فشلت محاولاته في بيعنا ايا من احزمته، سألنا من أي بلد نحن.

"من امريكا." أجابه زوجي.

لكن البدوي لاحظ شعري الاسود وبشرتي السمراء فاشار الي قائلا: "لكنها ليست امريكية!"

قلت: "بلى، انني امريكية."

فصمت البدوي لحظة ثم سألني: "هل هذا زوجك؟"

"نعم."

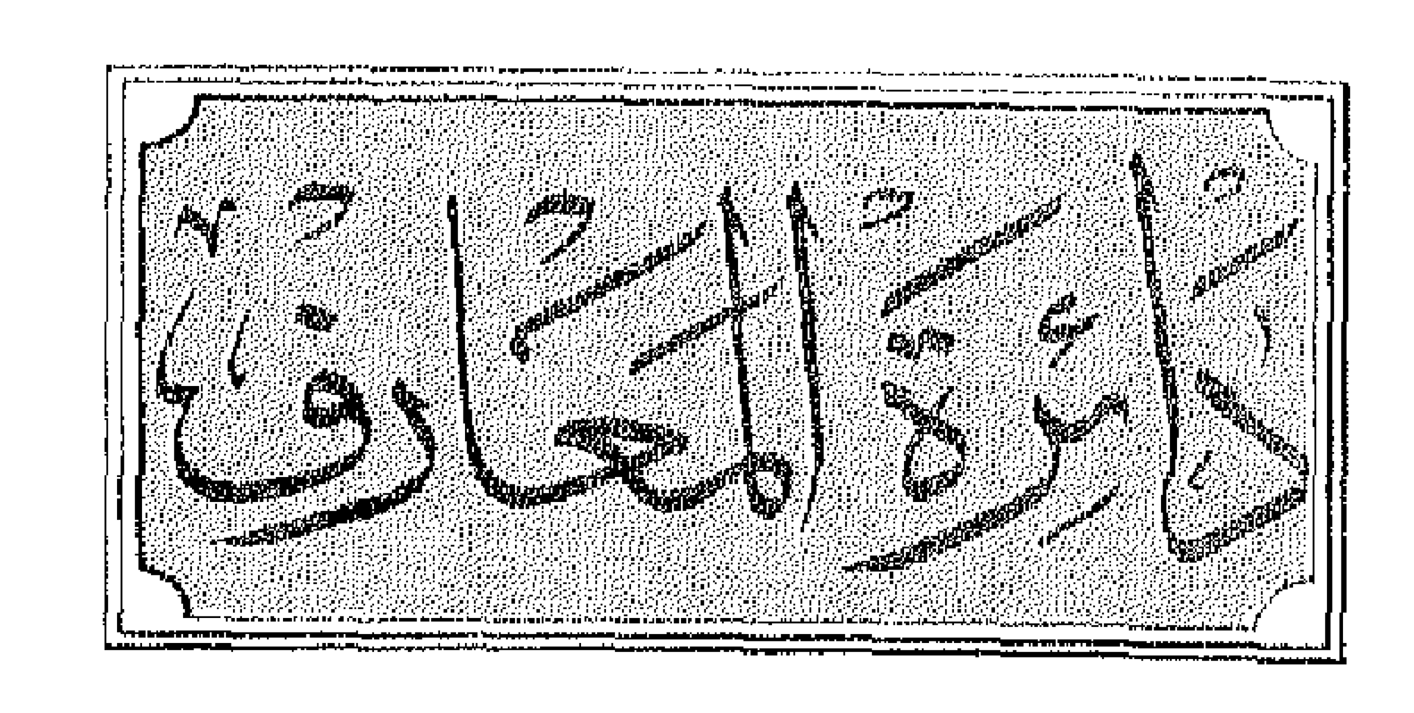
فاستدار نحو زوجي قائلا: "انها تساوي حقا مئة جمل."

بدا الذهول على زوجي، واعقبت ذلك فترة صمت، واخيراً اجاب: "لكنها ليست للبيع!"

بعدما انصرف الرجل سألت زوجي بشيء من السخط: "لماذا تلكأت في الاجابة؟"

فابتسم قائلا: "كنت افكر في طريقة لنقل مئة جمل معي الى امريكا."

ل.م.



اشتُهرت اقطار من الارض بخيراتها ومنتجاتها المختلفة. هنا بعض ما نسب اليها.

زيت الشام: يُضرَب به المَثَل في الجودة والنظافة، وإنما قيل له الزيت الرِّكابي لأنه كان يُحمَل على الابل من الشام، وهي أكثر بلاد الله زيتونا، وفيه ما فيه من البركة والمنفعة، قال الأصمعي: حدثني شَيْخان من أهل البصرة، أحدهما هارون الأعور، أن قتيبة بن مُسْلِم قال: أرسلني أبي الى هزار بن القعقاع بن سعيد بن زُرارة، وقال: قل له: أرسَلَني إليك أبي في أنه قد صارت في قومك دماء وجراح، وأحبوا أن تحضر الجامع فيمن يحضر. قال: فأبلغته الرسالة، فقال: يا جارية غدّينا. فجاءت بأرغفة خُشْن فَثَرَدها في تمر ممروس وماء، ثم صبّ عليها زيتاً، وعرض عليّ الغَداء معه، فتذكرت ما في منزلي مما أعدّ لنا من الدجاج، فقلت: ما لي حاجة بهذا، وصَغُر في عيني، وأنا يومئذ حَدَث، قال: فأكل ثم قال: يا جارية اسقيني، فجاءت بماء فشرب ومسح بفَضْله وجهه، ثم قال: الحمد لله، حنطة الأهواز، وماء الفرات وزيتُ هَجَر، وتَمْر الشام، ومتَى نؤدي شكر هذه النعمة! ثم قال: عليَّ بردائي. فارتدَى وانتَعَل، ثم اتى المسجد فصلى ركعتين، ثم احتبَى، فما بقيت حلقةٌ الا تقوّضت اليه، واختصموا، فتحمّل جميع ما كان عليهم وانصرف، وتفرّق الناس.

سيوف الهند: يُضرَب بها المثل في الجودة والصفاء، يقال: ان السيف اذا كان من صُنع الهند ومن طَبْع اليمن فناهيك به! قال الفرزدق:

كذاك سيوف الهند تَنْبُو ظُباتُها
ويقطعنَ أحياناً مناطَ القَلائِدِ

وقال الصاحب من أرجوزة:

* اجفانُ هندٍ كسيوفِ الهندِ *

وقال ابو محمد الخازن من نُتَفِه ولطائف ظرفه:

هندٌ ترى بسيوفِ مُقلتها
ما لا ترى بسيوفها الهندُ

ياقوتُ سَرَنْديب: زعم الجوهريون ان الياقوت لا يكون الا من جبل سَرَنْديب بالهند، وخيره الاحمر البَهْرَماني، ثم الوردي، ثم الرمّاني.

وسأل المقتدرُ ابنَ الجَصاص فقال: بِمَ تَعرف فضلَ الياقوت؟ قال: يا أمير المؤمنين، بحُسنه وصفائه في العين، ورَزانته في اليد، وبُرودته في الفم، وصبره على النار، ونبوّ المِبرَدِ عنه. فاستحسن ذلك من قوله.

وَرْد جُور: جُور من كُور فارس، مخصوصةٌ بالورد الذي لا أطيبَ منه في سائر البلاد، يُضْرَب به المثل، ويقدّم مع بنفسج الكوفة، ومَنْثور بغداد، وزَعفران قُمّ، ونَيْلوفر السِّيرَوان، ونارَنْج الصَّيْمَرَة، وأُتْرُجّ طَبَرستان، ونَرجس جُرْجان. وماء وَرْد جُور موصوف مضروب به المَثَل في الطِّيب، مجلوب الى أقاصي المشرق والمغرب، وقد أكثروا مِن ذِكره.

وكان يُحمَل من فارسَ الى الخلفاء كل عام من خراجها – وهو سبعةٌ وعشرون ألف – ألفُ قارورة، ومن الزبيب الأسود عشرون ألف رطل، ومن الأنبجات[1] خمسة عشر ألف رطل، ومن الرُّمّان والسفرجَل مائة وخمسون ألفا عددا، ومن التين السِّيرافيّ خمسون الف رطل، ومن الجَلَنْجبين[2] الف رِطل، ومن الموميا رِطل واحد.

---

(١) الانبجات هي المربيات.
(٢) الجلنجبين كلمة فارسية تفسيرها الورد والعسل.

بُرود اليَمَن: يقال لها: وَشْي اليَمَن، وعَصْب اليَمَن. ويُضرب بها المثل في الحسن، وتُشبَّه بها الرياض والألفاظ، كما قال البحتري:

جئناك نحمل ألفاظاً مدبَّجة
كأنما وشْيُها مِن يَمْنَةِ اليَمَنِ

ويقال في نفائس الملابس: برود اليمن، ورَيط الشام، وأردية مِصـر، وأكسية الدّامغان، وتِكَك ارمِينية، وجوارب قَزْوين.

مِسْك تُبَّت: تُبَّت مخصوصة من بين بلاد التُّرك بالمِسك الأصهَب المضروب به المثل في الطِّيب والجَودة، كما أن خَرْخِير منها مخصوصة بالسنجاب الفاخِر، وكيماك بالسمّور الفائق. وبلاد الترك تُوازي بلادَ الهند في كثرة الخصائص كالمِسـك والسّمّـور والسِّنجاب والقـاقم والفنَـك والثعالب السود، والأرانب البيض والختوّ واليشم والخدنك والبزاة البيض.

طرائف الصين: كانت العرب تقول لكل طُرْفة من الأواني وما أشبهها صينية، وقد بقي هذا الأسم الى الآن على هذه الصوانيّ المعروفة. وأهل الصين مختصون بصناعة اليد، والحِذْق في عمل الطُّرَف، يقولون: أهل الدنيا ما عدانا عُمْي، إلا أهل بابل فانهم عُور. ولهم الاغراب في خَرْط التماثيل، والابداع في عمل النقوش والتصاوير، حتى إن مصوِّرَهم يصوِّر الإنسان ولا يُغادِر منه شيئا، ثم لا يَرضَى بذلك حتى يصوِّره ضاحكا أو باكيا، ثم لا يَرضَى بذلك حتى يفصل بين ضحِك الشامت وضحِك الخجل وبين المبتسم والمستغرب وبين ضحِك المسرور وضحك الهازيء، فيركِّب صورة في صورة. ولهم الغضائر المستشفة يطبخ فيها الطبيخ فتكون الواحدة قِدْرا مرة، وقصعةً أخرى، وخيرُها المشمشي اللون، الرقيق الصافي الشديد الطَّنين، ثم الزبَديّ على هذا الوصف. ولهم الفِرِنْد الفائق، والحديد المدفون الذي تَخفَى فيه الصوَر وتظهر، ويقال له: الكيمخاو[3]، وهو في شعر لابن الرومي. ولهم المماطِر المشمَّعة التي لا تبتلّ على الأمطار الكثيرة، ولهم مناديل الغَمَر[4] التي اذا اتّسخت ألقيتْ في النار فنَقِيتْ ولم يحترق منها شيء. ولهم الحديد المصنوع يُعمَل منه المرائي والتعاويذ. وربما اشتُرِيَ بأضعاف وزنِه فضة، ولهم السِّنجاب الفارماني الذي هو من أنفس الأوبار، ولهم اللبود التي تفضُل على اللبود المغربية. وذكر الجاحظ في كتاب التبصّر بالتجارة ان خير اللبود الصينية، ثم المغربية الحمر، ثم الطالقانية البيض. وذكر غيره أن أجوَد الصوف صوفُ مصْرَ، ثم أرمينية، ثم تَكرِيت، ثم رُويان.

كُحل أصفهان: يُوصَف بالجودة مع عسل المَوصِل. وكان يُحمَل من أصبهانَ الى حضرة السلطان كل سنة مع خراجها، وهو أحد وعشرون ألف ألف درهم، ومن العسل عشرون ألف رِطل، ومن الشمع عشرون ألف رطل، ومن المَوصل مع خراجها وهو أربعة وعشرون ألف ألف دِرهم.

ويُحكى أن الحجاج قال لعامله على أصبهان: قد ولّيتك بلدة حَجَرُها الكُحْل، وذُبَابُها النحل، وحشيشها الزعفران، وذلك أن كُحلَها موصوف بالجودة، والزعفران بها كثير، وكذلك النحل.

بُسُط أرمينية: يذكر في الفُرش الفاخرة مع زلّالي قالِيقَلا، ومطارح مَيْسان وحُصْر بغداد، وسُتُور نَصِيبِين. وكان يحمَل الى السلطان مع خراج أرمينية كل عام منه بقدر ثلاثة عشر ألف ألف درهم، ومن البسط المحفورة ثلاثون بساطا، ومن الرقم خمسمائة وثمانون قطعة، ومن البُزاة ثلاثون بازيا.

داء مميت أقعد الناس وحار فيه علماء الطب ثم وجدوا السبب قابعاً على رفوف المتاجر

بوني بيشوب رياضية في التاسعة والثلاثين. كانت تمضي عطلتها في لايك باول بولاية يوتا في أغسطس (آب) ١٩٨٩ حين لاحظت أن لمس وجهها يؤلمها فلا تطيق حتى وضع نظارات شمسية.

خلال الاسابيع التي أعقبت أوبتها إلى المنزل في سانتا في بولاية نيومكسيكو، انتشر الألم الى أسفل عنقها وفشا في بدنها. وسرعان ما شعرت، وهي أم لوحيد في السادسة، أن أدنى حركة تؤلمها.

زارت طبيباً تلو آخر شاكية من عياء وألم عضلي وطفح والتهاب في الفم. ولم يعرف أحد السبب. وفي نهاية المطاف، في مستهل أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩، أخبرها أحد الاطباء انها قد تكون



مصابة بالسرطان وأحالها على عالم بالأورام اسمه الدكتور بروس غرينفيلد.

بعد بضعة أيام راقب غرينفيلد مريضته الجديدة تجرّ قدميها بوهن الى غرفة المعاينة. كان بطنها منتفخاً لتورم في الكبد، ووجهها مشدوداً من الألم. مرّ الطبيب بنظره على لائحة فحوصها، فلفته ارتفاع عدد خلايا بيض في الدم تسمى "حمضات."[١] ان الجسم ينتج أعداداً متزايدة من هذه الخلايا استجابة لالتهابات أو تفاعلات حساسية أو لأورام خبيثة معينة. لكن الفحوص لم تشر إلى أي من هذه الحالات، ومع ذلك بدا واضحاً أن جسم بيشوب ينهار.

"يظنون أني أحتضر." قد يصادف الطبيب العادي حالة من تكاثر الحمضات في الدم[٢] مرة في عمره، لذا شعر غرينفيلد أنه في حاجة الى معونة. وبعد رحيل بيشوب اتصل بالمكتبة الطبية في مستشفى سان فنسنت في سانتا في طالباً مقالات منشورة حول تلك الحالة. فسمع اسم مؤلف واحد يرد مراراً: الدكتور جيرالد غليش من عيادة مايو في روشستر بولاية مينيسوتا.

صباح اليوم التالي كانت بيشوب، بايعاز من غرينفيلد، تدخل المستشفى لاجراء فحوص وهي تمشي بشق النفس. ثم هاتف غرينفيلد عيادة مايو للتحدث إلى غليش، وهو بحّاثة في علم المناعة عكف على دراسة داء تكاثر الحمضات ما ينيِّف على ٢٠ عاماً. والعلاج الأوحد الذي أوصى به زميله غرينفيلد اعطاء المريضة جرعات كبيرة من الستيرويد[٣] لتخفيف الالتهابات والآلام، مضيفاً أن من سوء الطالع أن تلك المريضة بلغت درجة من الاعتلال قد تودي بها في غضون أشهر معدودات.

تملّك بيشوب ذعر وهي مضّجعة في سريرها بالمستشفى ترى جسدها في تحول، فذراعاها وساقاها متورمة بالسوائل وتنفسها عسير. واذ حاولت أن تستوي جالسة خرّت كدمية، إذ ان عضلات ظهرها بالغة الوهن. ولم يخفف عقّار الستيرويد من أوجاعها إلا النزر اليسير.

وأكثر ما أقلقها خشية الطبيب على حياتها. أسرّت في نفسها: "يظنونني أحتضر، لكني لا أقوى على ذلك، فلا أريد أن أترك ابني."

حالتان لا تكفيان. في شهر أكتوبر (تشرين الاول) من ذلك العام ظهرت أعراض ربو على كاثي لوريو وهي في الرابعة والأربعين وأم لأربعة أولاد تسكن في لوس آلاموس. كانت عدّاءة مولعة بالجري، وقد اشتكت من آلام حارقة في ساقها انسابت إلى بدنها. وبينت فحوص الدم تركزات مرعبة من الحمضات، واشتبه طبيبها فيليب هيرتزمان في اصابتها بمرض في النسيج الضامّ،

(١) Eosinophils. وتدعى ايضا "خلايا مستحمضة" او اليفة الايوسين.
(٢) Eosinophilia
(٣) Steroids

فأرسلها إلى طبيب الرثية (الروماتيزم) جايمس ماير في سانتا في يوم ٢٦ أكتوبر (تشرين الأول).

لم يجد الدكتور ماير أثناء المعاينة أي علة جسمانية للآلام الممضّة التي تشعر بها لوريو. لكنه ارتاع اذ لاحظ أوجه الشبه بين أعراض دائها وأعراض أصابت امرأة أخرى بلغ من وهنها الاضطرار الى تغذيتها بالحقن الوريدي. وتلك المرأة هي بوني بيشوب. فسأل الطبيب لوريو: "هل تستعملين ل – تريبتوفان؟"[٤] فردت بالايجاب مضيفة أن ذاك العقار يعينها على النوم.

"ل – تريبتوفان" حمض أميني وأحد مكوِّنات البروتيين ويتوافر في أطعمة مثل لحم الديك الرومي والحليب. وقد دأبت جمهرة من الناس على تناوله لاكثر من عشر سنين من دون ظهور أي آثار مَرَضية. وهو، كالفيتامينات، متوافر في الصيدليات من دون وصفة طبية. واذ يتحلل في الجسم يفرز مادة كيميائية تدعى سيروتونين يظن أن لها دوراً في تخفيف الشهية وتسكين الأوجاع والمساعدة على النوم.

في ٢٧ أكتوبر (تشرين الاول) أشار ماير على هيرتزمان بأن يتداول الأمر مع الدكتور وليم بليفنز الذي تابع معاينة بيشوب في غياب الدكتور غرينفيلد. أقلقت المحادثة بليفنز، لأن طبيب زوجته كان أوصاها بتناول التريبتوفان علاجاً متعارفاً عليه لأعراض ما قبل الحيض.

هاتَفَ بليفنز من توه الدكتور غليش في مينيسوتا الذي أجابه بأن حالتين اثنتين لا تكفيان للحكم على العقار، ولا بد من الانتظار لجلاء الأمر.

زوبعة اهتمامات. في اليوم عينه وردت على بليفنز مكالمة من طبيب آخر يعاين مريضة تشكو من نسبة حمضات أكبر مما لدى كاثي لوريو. سأله بليفنز: "هل تتناول تريبتوفان؟"

ردّ الطبيب بالايجاب.

أصبحت الحالات ثلاثاً. هاتف بليفنز الدكتور غليش الذي اتصل بدوره بمراكز مكافحة الأمراض في أطلنطا وبدائرة الصحة والبيئة في نيومكسيكو. وأخطرت "المراكز" دوائر الصحة في كل الولايات.

في مستشفى سان فنسنت أتى بليفنز على ذكر الحالات الثلاث لتكاثر الحمضات في معرض حديثه مع صديق، فاتفق مرور الدكتور دونالد روميغ الاختصاصي بالامراض المعدية الذي سمع الحديث فتدخل مقاطعاً: "يا بيل، أعتقد أن لدي حالة رابعة. العوارض: أوجاع عضلات وتكاثر حمضات. والمريضة تتناول تريبتوفان."

في غضون ذلك، حمل زميل من عيادة مايو الى غليش خبراً عن رجل في ولاية ميسوري مصاب بتكاثر الحمضات ويتعاطى التريبتوفان. وأعلمه زميل آخر أن لديه مريضة في ولاية ميسيسيبي تتناول العقار. هاتف غليش أطلنطا على

(٤) L-tryptophan

عجل، اذ ان اصابات ظهرت خارج نيومكسيكو.

وانهالت المكالمات الهاتفية على مراكز مكافحة الأمراض من أرجاء الولايات المتحدة عن حالات تكاثر الحمضات في الدم. وأدرجت مجلة في ألبوكيرك مقالة عن الداء مما أثار انتباه الاعلام واهتمام عامة الناس.

باتت الأجوبة مطلوبة بسرعة.

سحب المادة من الأسواق. يوم الخميس ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) طار إلى نيومكسيكو محقق من مراكز مكافحة الأمراض يرافقه مندوبون من مديرية الاغذية والادوية. عاين الفريق مجموعتين، أولاهما مرضى بداء تكاثر الحمضات والأخرى مجموعة للمقارنة لا تظهر عليها أعراض الداء. واقتضى الاختبار سؤال أفراد المجموعتين عن بعض عوامل الخطر المحتملة، بما فيها استعمال التريبتوفان. فان تبين أن المادة مسببة للداء، فسيكون عدد متعاطيها في مجموعة المرضى أكبر من عدد متعاطيها في مجموعة المقارنة.

دأب موظفو مديرية الاغذية والادوية على أخذ عينات تريبتوفان من مرضى مصابين بكثرة الحمضات، فيما نقّب المحققون الآخرون في سجلات فحوص الدم في تسعة مختبرات في نيومكسيكو بحثاً عن تعدادات استثنائية للحمضات. وبحلول ليل الجمعة تجمعت لديهم اسماء عدة.

صبيحة السبت انتشر المحققون للعمل ومعهم فريق من الممرضات. كان عليهم أن يعثروا، في مقابل كل مريض بالحمضات، على شخصين خاليين من أعراض الداء، ويدرسوا حالهما، شرط أن يكونا من الجنس نفسه وفئة العمر ذاتها ومن المنطقة نفسها.

وفي منتصف ليل الأحد تحلق المحققون حول الكمبيوتر الذي سيوافيهم بالنتائج. فتبين أن المرضى العشرة في مجموعة المصابين بتكاثر الحمضات قد تناولوا التريبتوفان، وأن اثنين فقط من عشرين شخصاً في مجموعة المقارنة قد استعملوه. التريبتوفان اذاً هو المسبب حتماً.

يوم الاثنين ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) حظرت دائرة الصحة والبيئة في نيومكسيكو بيع "ل - تريبتوفان." وتبعتها مديرية الاغذية والادوية بسحبه من أسواق البلاد كلها.

وفي ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) بلغت مراكز مكافحة الأمراض تقارير عن ٢٤٣ إصابة محتملة بكثرة الحمضات في ٣٥ ولاية وفي مقاطعة كولومبيا. وسمي الداء الجديد "متلازمة الألم العضلي وتكاثر الحمضات."[٥] لكن بقي سؤال كبير مطروحاً: هل العقار خطر في ذاته، أم أن ثمة دفعة فاسدة؟

اكتشاف الملوِّث. خفّ تفشي المرض حين سحب التريبتوفان من السوق، مما

(٥) Eosinophilia-myalgia syndrome «EMS»

أثبت ريبة العلماء في وجود "تلوث" حديث العهد. لكن ما أشكل على المستقصين عدم ظهور علاقة بين كمية التريبتوفان التي يتناولها المريض أو "الماركة" التجارية للعقار، ومبلغ اعتلاله. في بعض الحالات اعتلّ أحد الزوجين ولم يعتلّ الآخر، مع أنهما تناولا الجرعات نفسها من القوارير عينها. أضف إلى ذلك أن حالات "متلازمة الألم العضلي وتكاثر الحمضات" التي ترقى إلى بداية الثمانينات ولم تلقَ تعليلا آنذاك، انعقدت لها الآن صلة بالتريبتوفان.

لكن التعليل بيِّن في جزء منه: ان حبوب التريبتوفان تصنّع في الولايات المتحدة من ذرور مستورد من ستة منتجين يابانيين. وبعض الصناعيين الأمريكان يمزجون الذرور الآتي من أكثر من مصدر واحد ويوزعونه بأسماء تجارية شتى.

تبين للبحاثة أن معظم المرضى تناولوا حبوباً مصنوعة من ذرور أنتجته شركة "شوا دينكو ك.ك." احدى كبرى الشركات البتروكيميائية في اليابان. وباستخدام التحليل الكروماتوغرافي السائل،[٦] وهذه عملية تبين الفوارق الجزيئية بين المواد الكيميائية وتبرزها ذُرى على رسم بياني، عمد العلماء إلى عزل نحو ٤٠ مادة في الذرور، إضافة إلى التريبتوفان. وأحاطت الشكوك احدى هذه المواد وتدعى "بيكْ إي"[٧] على أنها المادة الملوَّثة.

بدأت تظهر نسب مرتفعة من "بيك إي" في وقت شرعت شركة "شوا دينكو" في اجراء تغييرات في طرق التصنيع، بما فيها عمليات تحوير في أساليب التنقية وإضافة "سلالة" جديدة من الجراثيم (البكتيريا) المهندسة وراثيا. وفي اعتقاد بعض البحاثة أن الملوث تسبب على نحو ما في انفلات خلايا "ت"[٨]، وهي جزء من نظام المناعة، من سيطرة الجسم. فتكون متلازمة الألم العضلي وتكاثر الحمضات الناجمة عن ذلك داء منيعا ذاتيا،[٩] بحيث يعمد نظام المناعة في جسم الانسان الى مهاجمة أنسجته.

ويطرح علماء عدة تعليلا مفاده أن ثمة عاملا خاصا يؤثر في درجة تفاعل المريض مع الملوِّث. وما زالت الدراسات جارية لتحديد السبب على وجه الدقة وايجاد علاج شافٍ.

مزاعم علاجية. في منتصف يناير (كانون الثاني) بُلّغ عن ١٥٤٢ إصابة بمتلازمة الألم العضلي وتكاثر الحمضات في الولايات المتحدة، وتوفي ٢٨ شخصا بالداء. ولن يعرف العدد النهائي للضحايا قبل مرور سنين. وثمة مصابون يشفون بادىء الامر، لكنهم يموتون لاحقاً من جراء مضاعفات أخرى. ويصاب بعضهم بشلل في النصف السفلي من الجسم أو

(٦) High-performance liquid chromatography
(٧) Peak E
(٨) T-cells
(٩) Auto-immune disease

بشلل في الاطراف الاربعة. ويدور على ألسنة الناجين كلهم سؤال واحد: كيف حدث ما حدث؟

في باكورة السبعينات أكبّ باحثون على دراسة التريبتوفان علاجاً للأرق والكآبة واضطرابات أخرى. وسرعان ما وردت أنباء نجاح هذه المادة في مكافحة آلام ما قبل الحيض واضطرابات عقلية عدة، وبدت الآثار الجانبية لاستعمالها ضئيلة جداً.

في الثمانينات تسربت تقارير عن التريبتوفان الى الصحافة، فنشرت مقالات وكتب كثيرة امتدحت المادة وروّجتها علاجاً لا للأرق وللوجع فحسب، بل لارتفاع ضغط الدم والكولسترول والسمنة أيضاً. وأوصى أطباء الأمراض النسائية وعلماء النفس باستعمالها.

وخلافاً للاجراءات التي تتناول العقاقير، لم تختبر مديرية الاغذية والادوية التريبتوفان عيادياً لمعرفة مدى سلامته وفاعليته، بل صنِّف "غذاء" ولم يتطلب الحصول عليه موافقة المديرية. وبما أنه لم يعدّ عقاراً، فقد حظر على صانعيه وموزعيه أن يبيعوه علاجاً للأمراض أو واقياً منها. ولم تُذكر أي مزايا طبية على رقعته، لكن التجار نسبوا اليه مزاعم علاجية في الاعلانات والمقالات. وجاء في احدى النشرات الاعلانية الصادرة عن شركة "شيف بروددكتس" مسوِّقة التريبتوفان: "ورد أن المسنين المصابين بضعف الذاكرة والهذيان والاكتئاب تحسنت أحوالهم بعد تناول التريبتوفان."

أما خبراء التدليس الصحي فيستشهدون بتفشي متلازمة الألم العضلي وتكاثر الحمضات من جراء استعمال التريبتوفان، مثالا على مخاطر تصنيف الملحقات الغذائية أطعمةً والسماح بتسويقها مع الزعم أن لها مفعولا علاجياً. ويضيف الدكتور ستيفن باريت: "المنتجات الصحية كالتريبتوفان تسوّق بمزاعم تجعل منها عقاقير جديدة غير مرخَّص لها." والدكتور باريت عضو في "المجلس الوطني لمكافحة التدليس الصحي" الذي يعنى بحقوق المستهلكين.

حظر التريبتوفان مستمر. ولن تسوّق هذه المادة ثانية إلا إذا تبين للباحثين حقيقة ما جرى تماماً.

أما بوني بيشوب فقد فاتها الأوان، اذ انها أصيبت بعطب عصبي دائم. وتقول أن ليس في وسعها العمل في وظيفة ثابتة. وهي تخصص ساعات للتمرين كل أسبوع من أجل بناء قوتها الجسدية والمحافظة عليها على رغم التشنجات الاليمة. وهي تجهد لاستبعاد التفكير في المستقبل.

بربارة دين ■

من بين رسائل الاطراء الغريبة والمحيرة التي تلقيتها واحدة من سيدة جاء فيها: "آه، يا سيد راتل، ان فرقتك الموسيقية رائعة. هل تعلم أنني كنت اسمع كل عازف بمفرده؟"

المايسترو سيمون راتل



سحر اللباقة

■ من المفيد لكلّ منّا أن يتطلع ملياً الى ذاته الحقيقية من وقت الى آخر، ويتساءل عما اذا كان أهلا لأن يعرفه البشر، أو ما اذا كان حقق تقدماً. فالشخصية الفذة تُبرز المرء في هذا العالم.
كانت لأبي قدرة الحصول على أي غرض يشاء ممن يشاء لجاذبيته ولباقته اللامتناهيتين. وهو قال لي مرة: "انت تعرف، يا بني، انني لم أولد بهذه الصفات، لكنني اعتقدت أنها تستحق عناء الصقل والتهذيب."

م.م.

أزواج وزوجات

■ لا يكون زواج الا بشخصين، ولكن يكفي واحد منهما لتغييره. ينتهي بنا الامر لا حول لنا في حياتنا الزوجية لاننا نعجز عن السيطرة على شركائنا. والحقيقة أننا نحتاج الى تعلم كيف نملك على أنفسنا.
واذ نتخلى عن محاولاتنا تغيير الشريك ونركز، بدل ذلك، على ذواتنا، تحصل التغييرات في زواجنا على نحو مفاجىء ومتوقع في آن.

ك.ك.

البدء بالذات

■ اذا كان لا بد من بسط النظام في العالم، فعلى أمّتي أن تتبدّل باديء بدء. واذا كانت أمتي ستتبدل، فمسقط رأسي حري بالتغيير. واذا كان لمسقط رأسي أن ينتظم، فعلى عائلتي أن تُضبط أولا. واذا لعائلتي أن تتجدّد، فعليّ أن أكون طليعة التجدد.


جنرال صيني

وقت للهدر

■ كانت الأمور الحياتية تستهلك جزءاً كبيراً من ساعات اليقظة عند معظم المواطنين قبل شيوع اجهزة التلفاز والراديو. فالمزارع الذي لم يكن في حقله كان يأكل أو ينام، وكان العمال في المدن يعملون ما لا يقل عن الساعات العشر يومياً.
اذاً، ما الذي كان يفعله المواطنون العاديون في الوقت الذي يخصصونه اليوم لمشاهدة التلفاز؟ لا شيء، لأنهم لم يكونوا يملكون الوقت. وعلينا أن نتهلّل لذلك، لا أن نتذمر، لأن هذا الوقت المخصص للهدر هو اليوم في متناول الاكثرية لا الاقلية.

هودينغ كارتر

في "وول ستريت جورنال"



مدينة عريقة على شاطىء البلطيق هي مركز تجاري يصل غرب أوروبا بشرقها

وقع نظري على المدينة للمرة الاولى حين كنت في القطار المندفع عبر أرياف ولاية شلسفيغ – هولشتاين في شمال ألمانيا. وفي وقت لاحق، لدى توجهي نحو وسط المدينة، استوقفني منظر الـ"هولشتنتور"، أي بوابة هولشتاين، ولم أكن رأيتها الا على الاوراق النقدية من فئة ٥٠ ماركاً.

اكتمل بناء الهولشتنتور عام ١٤٧٨، وهي احدى أجمل بوابات القرون الوسطى في ألمانيا. وقد بنيت للدفاع عن المدخل الغربي للمدينة، ولكن لم تخرج طلقة واحدة من برجيها التوأمين. وأخطر التحديات التي واجهها هذا النصب التذكاري لم يكن إبان الحروب وانما في العام ١٨٦٣ حين نقض مجلس الشيوخ اقتراحاً بهدم البوابة الهرمة المتداعية، وذلك بغالبية صوت واحد. وبدلا من هدمها جُدّد بناؤها وهي تضم الآن "متحف التاريخ البلدي."

تشمل "لوبيك الكبرى" المدينة وثماني ضواح ومنتجع "ترافيموندي" على شاطىء البلطيق، وتبلغ مساحتها حوالى ٢١٤ كيلومتراً مربعاً ويقطنها ٢١٥ ألف نسمة. وهي مركز لبناء السفن وفيها ثلاثة أحواض، وتنتج كمية كبيرة من السمك المعلّب.

ولدى المدينة ما تقدمه علاوة على الصناعة. ففي المنطقة التجارية القديمة كثير من الآثار التاريخية، مما حدا منظمة "اليونيسكو" في العام ١٩٨٧ على اعلانها مَعْلماً تراثياً عالمياً مثل الأكروبوليس في أثينا وجدار الصين العظيم.

وسيط تجاري. تأسست بقعة المدينة عام ١١٤٣ ودعيت "ليوبيشي" أي الجميلة. ونظرا الى موقعها المثالي على بحر البلطيق وقوانينها العصرية التي تبنتها لاحقاً أكثر من ١٠٠ بلدة ومدينة، قُدر للوبيك أن تصبح مركزاً تجاريا ضخماً. ومنذ القرن الثالث عشر هيمنت على "الرابطة الهانزية"[١] وهي رابطة مدن انشئت في القرون الوسطى بهدف تعزيز التجارة وحمايتها، وكانت تضم نحو ٢٠٠ مدينة عضو في ألمانيا وهولندا وأسوج (السويد) وبولونيا. وفي القرن الخامس عشر كانت لوبيك ثانية كبرى المدن الالمانية بعد كولونيا، وكان ميناؤها أهم من ميناء هامبورغ. وكانت سفنها تجوب البلطيق والبحار الشمالية ووصل تجارها الى بريطانيا وروسيا.

وفي العام ١٦٦٩ انحلّت "الرابطة الهانزية" لان الدول الاسكندينافية وروسيا أصبحت أكثر استقلالية كما قلّص اكتشاف العالم الجديد أهمية تجارة البلطيق.

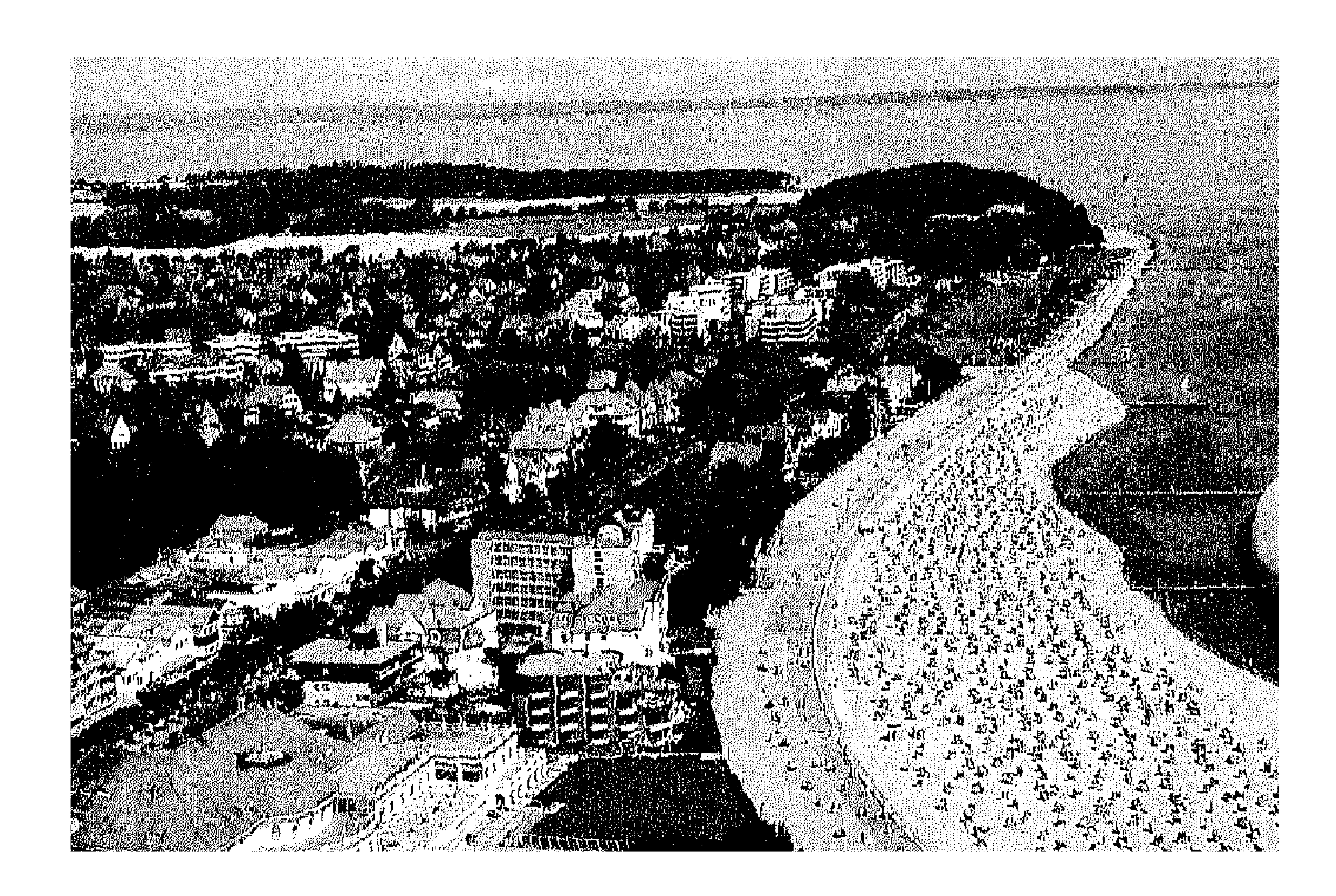
لكن لوبيك عادت الى الواجهة في دور عصري مماثل. ففي سبتمبر (أيلول)

(١) Hanseatic League

١٩٨٠ أضافت الاحتفالات السنوية لثالثة لـ"أيام الرابطة الهانزية في لعصر الحديث" التي جمعت نحو مئة من مدن الرابطة السابقة وشريكاتها في التجارة في عشرة بلدان. وأعلن عمدة المدينة مايكل بوتبيه (٤٧ عاماً) الذي رأس اللقاء: "لقد أصبحنا الوسيط بين المجموعة الاوروبية والبلدان التي لا تنتمي اليها مثل دول اسكنديناڤيا وأوروبا الشرقية."

وبُذلت جهود جبارة لبلوغ هذا المقام، لأن المنطقة الخلفية الزاهرة اقتصادياً كانت اقتطعت من لوبيك على أثر تقسيم ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، فخسرت لوبيك كثيراً من تجارتها. وأمرّ من ذلك أن الحدود المحصّنة لجمهورية ألمانيا الديموقراطية (الشرقية) لم تكن تبعد في بعض الاماكن الا خمسة كيلومترات عن المنطقة التجارية. يقول أولريك فون در ليبي المدير العام لشركة ميناء لوبيك: "تعيّن علينا ايجاد زبائن جدد وطرق جديدة لكي نستمر في العمل. فعمدنا الى توظيف أموال كثيرة في تحديث الميناء القديمة وبناء الرصيف الاسكنديناڤي في ترافيموندي."

واليوم تقوم التجارة على النقل البحري بالمعدِّيات. وتفيد التسهيلات البحرية الحديثة من الطرق البرية المتوافرة لتأمين النقل بالشاحنات والقطارات. فكبرى بواخر الشحن في العالم التي تتسع لنحو ٨٠ شاحنة، ترسو الى الرصيف فتفرغ الورق والسيلولوز



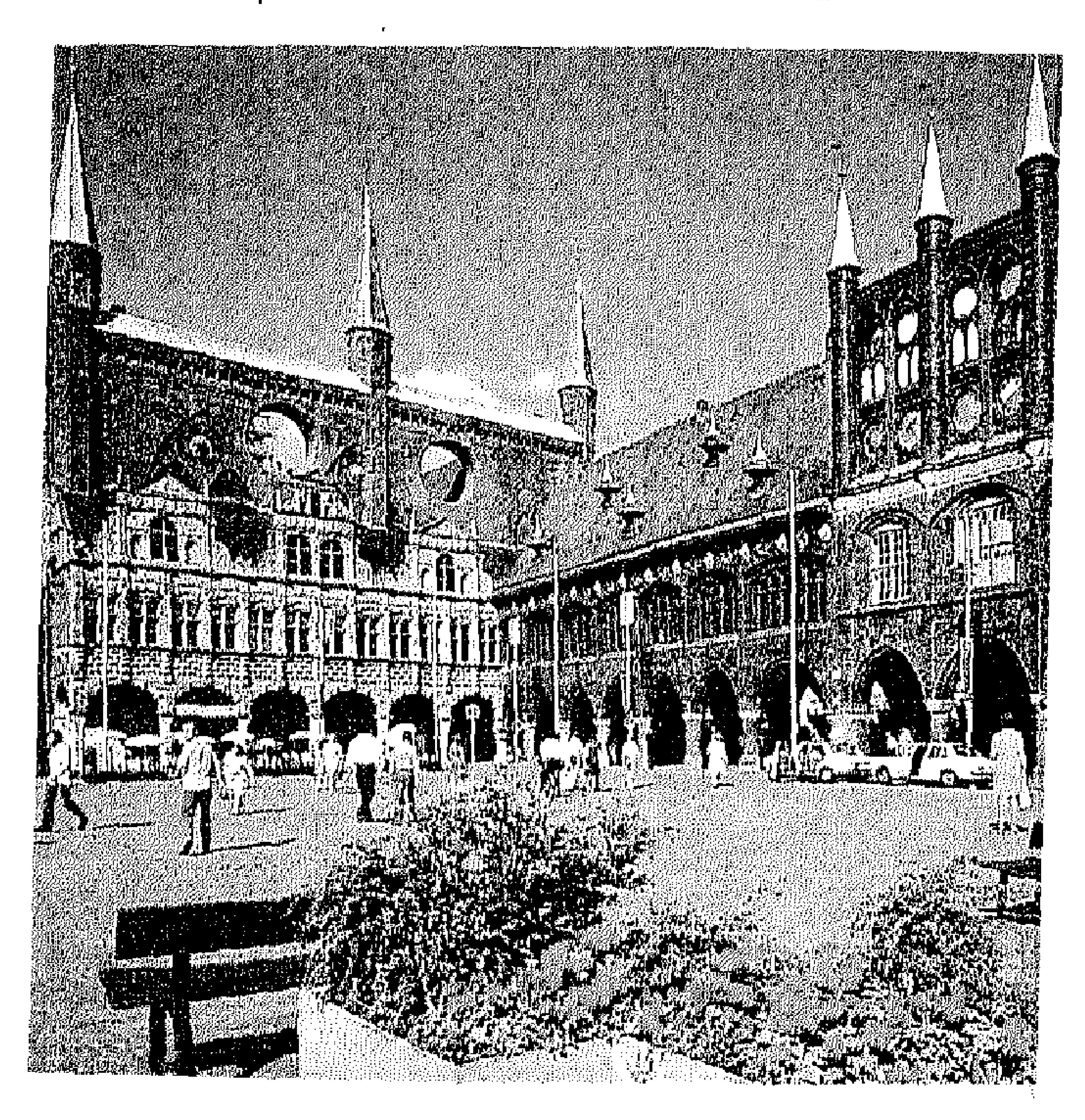
وتغادر محملة آلات ومواد كيميائية. ويعبر المرافىء سنوياً نحو ١٧ مليون طن من البضائع. وكان تطور الرصيف الاسكنديناڤي مثيراً للاعجاب على نحو خاص. فهو كان وضيعاً في أول عهده عام ١٩٦٢ ولا يقيم الا اتصالا واحداً مع أسوج (السويد). والآن فيه سبعة أحواض لرسو السفن تحتضن أكثر من ٥٠٠٠ معدِّية سنوياً آتية من ٢٠ ميناء على البلطيق وناقلة مليونين وأربعمئة ألف راكب في الاتجاهين.

دمار الحرب. بقيت ترافيموندي منتجعا صحياً وشعبياً يقصدها عشرات الالوف من الزوار سنوياً للتنزه على شاطئها والتمتع بحفلاتها الموسيقية. وقال فيها طوماس مان الحائز جائزة نوبل: "في ترافيموندي حيث صرفت اسعد ايام حياتي تآلف في قلبي البحر والموسيقى."

هذا الروائي العالمي هو أشهر أبناء لوبيك.

من هنا تمشي لبضع دقائق فتصل الى الساحة العامة نواة الحياة في لوبيك، حيث تقصد ربات البيوت منصات الفاكهة والخضر المقامة في ظل أحد أقدم المباني البلدية في ألمانيا، وهو مُشاد بالقرميد انسجاماً مع الطابع النموذجي للمنطقة. وقد بدأ بناؤه عام ١٢٣٠، ووسِّع وأدخلت عليه تعديلات على مر القرون بمزيج من النمطين القوطي والنهضوي.

وحين دخلت الصرح التذكاري رأيت جرسين محطّمين هما تذكار من الغارة الجوية على المدينة في ٢٩ مارس (آذار) ١٩٤٢ حين دمر خُمس أبنيتها القديمة. ونجت المدينة من الدمار الشامل بفضل



الساحة العامة حيث المبنى البلدي. وهي محور النشاط في المدينة.

(اقصى اليمين) ترافيموندي منتجع شعبي وصحي على شاطىء البلطيق.

المؤرخ السويسري كارل جاكوب بوركهارت الذي كان آنذاك رئيس منظمة الصليب الاحمر الدولي. فهو سعى الى جعل المدينة مخزناً للمساعدات المرسلة الى أسرى الحرب الحلفاء في ألمانيا. وهكذا نجت لوبيك من غارات جوية أخرى.

أغنياء وكرماء. بعد الحرب توجه الاهتمام الى اعادة بناء "وجه" لوبيك الشهير الذي تتخلله سبع قباب مستدقة بقيت اثنتان منها سالمتين. فتبرع المواطنون بمليون ومئتي ألف مارك أضيفت اليها مساعدات الدولة، واستُكمل التجديد عام ١٩٦١. ولم تحظَ الابنية الخاصة الا بقليل من الاهتمام. وكما جرى في مدن ألمانية أخرى، شيدت أبنية عصرية في الضواحي لايواء المشردين الذين فقدوا منازلهم. ولم تعلن سلطات لوبيك اعتبارها بعض المناطق مدمَّرة وتنبغي اعادة بنائها الا في العام ١٩٧٢. وبدأ العمل الخاص المنظم بعد ثلاث سنوات حين أسس ٣٠٠ من السكان "مبادرة المواطنين لانقاذ لوبيك" بهدف حماية القسم القديم من المدينة وتفادي اقامة أبنية جديدة بشعة. ورُممت منازل خاصة قديمة فاستعادت المدينة طابعها الاصلي وواجهاتها القوطية والباروكية والنهضوية والكلاسيكية.

وبفضل التزام التجار الأثرياء مساعدة الفقراء، نشأت في لوبيك ميزتان تراثيتان فريدتان هما الـ"غانج"[٢] أي الممرات والـ"شتيفتونغشوف"[٣] أي الأفنية الخلفية. ففي الايام السالفة كان أصحاب الاعمال يبنون مساكن صغيرة لمستخدميهم في أفنية بيوتهم. وقد ولجتُ مدخلا واطئاً لممر ضيق في شارع انغلسفيش قادني الى أحد هذه العوالم المحجوبة: ساحة صغيرة حميمة المنظر مكتظة بالاشجار والزهور والعرائش تحفّ بها بيوت فاتنة من طبقة واحدة.

وهناك اليوم نحو أربعين ممراً من نوع "غانج" جُددت ويسكنها أناس من جميع الاعمار والطبقات الاجتماعية. لكن قلة من أفنية الـ"شتيفتونغشوف" تلتزم دورها التقليدي. فالـ"غلاندورهوف" الفخم، على سبيل المثال، لا يزال "فناء المتقاعدين" كما كان حين وهبه التاجر يوهان غلاندورب في العام ١٦١٢. وقد فتنني هذا الفناء الآسر حيث تحتضن حدائق الزهور الزاهية البيوت المطلية بالكلس بنوافذها وأبوابها الزرقاء.

قصة المرصبان. تبقى أعمال كثيرة في لوبيك يتعين انجازها.

وتنمو قائمة الابنية التاريخية التي تضم نحو ١٢٠٠ مَعْلم أثري ثمين.

وتتجلى سياسة المحافظة والتقدم في معهد لوبيك الموسيقي الذي يتوسط شارعي غروسي بيترسغروبي وديبينو الجميلين ويمتد عبر مجموعة من ٢٢ منزلا قديماً. وقد جلت مع المستشار

---

(٢) Gange
(٣) Stiftungshöfe

ماريليس بيلز، فارتقينا سلالم كبيرة صعوداً ونزولا مروراً بقاعات ضيافة ذوات سقوف عالية وبساحات فاتنة. وقادنا المطاف الى القسم الجديد من المعهد حيث قُوِّضت خمسة أبنية متداعية من الداخل وأعيدت هندستها عصرياً. وهناك استوديو للصوت وقاعة استماع مفتوحة حاليا، وثمة قاعة للعزف قيد الانشاء ستضم ٥٠٠ مقعد. وحين يكتمل المشروع في العام ١٩٩١ سيكون مثالا للانسجام في دمج القديم بالجديد.

ظهر اليوم التالي تناولت طعام الغداء في البناء القرميدي الفخم لجمعية قباطنة السفن، حيث يلتقي القباطنة وصانعو الاشرعة منذ تأسيس الجمعية عام ١٥٣٥. وتتدلى نماذج سفن من سقف قاعة الطعام.

وقد شُهرت لوبيك بمرصباتها. وكانت هذه الحلوى أدخلت أوروبا لدى رجوع الصليبيين من حملاتهم على الشرق. ولكن سكان لوبيك يروون قصة مختلفة: يزعمون أن مجاعة رهيبة حلّت بالمدينة عام ١٤٠٧ فنفدت مؤونة القمح كلها، ولكن بقي مخزون كبير من اللوز في المستودعات. وفي بادرة يأس طلب مجلس الشيوخ من الخبّازين أن يصنعوا خبزا باللوز المتوافر. فكانت الحصيلة انتاج المرصبان. وهناك اليوم ثلاث شركات كبرى تعمل في هذه التجارة، أقدمها شركة "نيدريغر" التي تأسست عام ١٨٠٦. وفي موسم الميلاد وحده يصنع عمالها الخمسمئة ٣٠ طنا من المرصبان يومياً للمستهلكين في ٤٢ بلداً.

وحدة وسلام. في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩ حين فتحت ألمانيا الشرقية حدودها، استعادت لوبيك منطقتها الخلفية الغنية اقتصادياً. واستُقبل الزوار الالمان الشرقيون بحماسة خاصة لان ثلث سكان المدينة هم أنفسهم من دول شرقية، وكثيرون منهم انفصلوا عن أقربائهم وأصدقائهم قبل نحو ٣٠ سنة.

وازدادت الروابط الثقافية والاقتصادية مع ألمانيا الشرقية. واجتمع الخبراء للتباحث في المشاكل المشتركة المتعلقة بتجديد المباني التاريخية وحماية البيئة. ونشأت اتصالات تجارية ووُضعت خطط مشتركة لاقامة معارض فنية وعروض مسرحية ومباريات رياضية.

والعلاقات التجارية الجديدة تبعث الامل لدى مواطني ألمانيا الشرقية والتفاؤل لدى سكان لوبيك. ويقول العمدة بوتييه: "أما وقد استعدنا منطقتنا الخلفية، ففي امكان مدينتنا استعادة دورها التقليدي كمركز للتجارة بين الشرق والغرب."

ويبدو أن الكتابة اللاتينية المنقوشة على بوابة "هولشتنتور" تأخذ معنى جديداً في ألمانيا وأوروبا ككل. وترجمتها: "وحدة في الداخل وسلام في الخارج."[٤]

روي فرغسون ■

(٤) Concordia Domi Foris Pax

الألعاب الأولمبيّة حيث الكل رابحون



أدريانو باليزي (السادس من اليسار في الصف الخلفي) مع أعضاء الفريق الايطالي في غلاسغو

دورة مخصصة للمعاقين تعيد ذكرى الروح الرياضية التي سادت الالعاب الاولمبية في الماضي

أدريانو باليزي فتى ايطالي معاق عقلياً، قام في شهر يوليو (تموز) ١٩٩٠ برحلة الى غلاسغو في اسكوتلندا للاشتراك في الدورة الثالثة للالعاب الاولمبية الصيفية الاوروبية الخاصة التي تدوم ستة أيام.

كانت هذه الرحلة بالنسبة اليه ضربا من السحر: فقد أتاحت له، للمرة الاولى في حياته، أن يركب طائرة وأن يلمح المحيط الاطلسي وأن يستمع الى مزمار قربة وأن يرى التنورة الكلتيّة وأن يمشي في استعراض.

افتتن أدريانو بهذه المباهج حتى كاد ينسى الغاية من قدومه الى اسكوتلندا. ففي منتصف المباراة النهائية لسباق الـ٨٠٠ متر سبقه جميع العدّائين، وبلغت المسافة الفاصلة بينه وبين عدائي الطليعة حوالى ٥٠



باليزي يعدو في دورة الالعاب الاولمبية الايطالية الخاصة التي اجريت في بيسكارا عام ١٩٩٠.

متراً. بدا غافلاً عن صراخ مدربه وزملائه وهم يحثونه على الاسراع: "هيا، هيا!" الى أن انبعث صوت يائس من الخط الجانبي صرخ فيه بالايطالية: "بالله عليك يا أدريانو، حاول على الاقل."

كان لهذا الصوت مفعول عجيب، اذ أطلق أدريانو العنان فجأة لطاقة كبرى دفعته متخطياً منافسيه المذهولين وعابراً خط النهاية. وتدحرجت عبرات الفرح على خديه فيما علّق مسؤول حول عنقه ميدالية ذهبية، وراح ينشج باكياً: "لقد فزت! لقد حاولت!"

المحاولة هي قوام الالعاب الاولمبية الخاصة. فبعد الخيبات المحبطة التي وصمت الالعاب الاولمبية الاساسية من فضائح مخدرات وروحية تجارية وسياسات ضيقة الآفاق، أعادت هذه الالعاب الى الاذهان ذكرى المثل العليا التي جسدتها الالعاب الاولمبية في ما مضى. فالفوز، وفقاً لمعيارها، هو دون الجهد والزمالة والاحترام أهمية. ففي المباراة النهائية في كرة السلة التي انتهت بفوز يوغوسلافيا على اليونان، اصطدم لاعب يوناني بخصم ووقع على الارض يتلوى من الالم. وللحال تحلق حوله لاعبو الفريقين غير آبهين باشارات الحكم الداعية الى متابعة اللعب، وسندوا رأسه وراحوا يدلكون رسغه الملوي حتى تمكن من السير مجدداً.

وانتقلت الروح الرياضية الى المتفرجين أيضاً. ففي سباق السباحة لمسافة ١٥ متراً، فازت القبرصية فانولا الكسندرو التي قطعت المسافة في ٢٢،٩١ ثانية. لكن هتافات الابتهاج علت وواكبت ماري تيريزا برادي، وهي امرأة ايرلندية مصابة باعاقة بالغة أصرت على اكمال السباق واجتازت المسافة في ٣٧،٣ ثانية. وأشرق وجهها بابتسامة عريضة لدى بلوغها نهاية الحوض.

قد تكون الارقام التي يسجلها الرياضيون في غلاسغو دون المستوى العالمي، لكنها بلا شك أرقام قياسية في السعادة.

معاقون عقلياً. أقيمت أولى مباريات الالعاب الاولمبية الخاصة في شيكاغو عام ١٩٦٨، وجاءت ثمرة مخيم صيفي للمعاقين عقلياً أسسته يونيس شرايفر، شقيقة الرئيس الامريكي الراحل جون ف. كينيدي، في أوائل الستينات، في فناء

منزلها في ميريلاند. وكانت شقيقتها روز ماري معاقة عقليا.

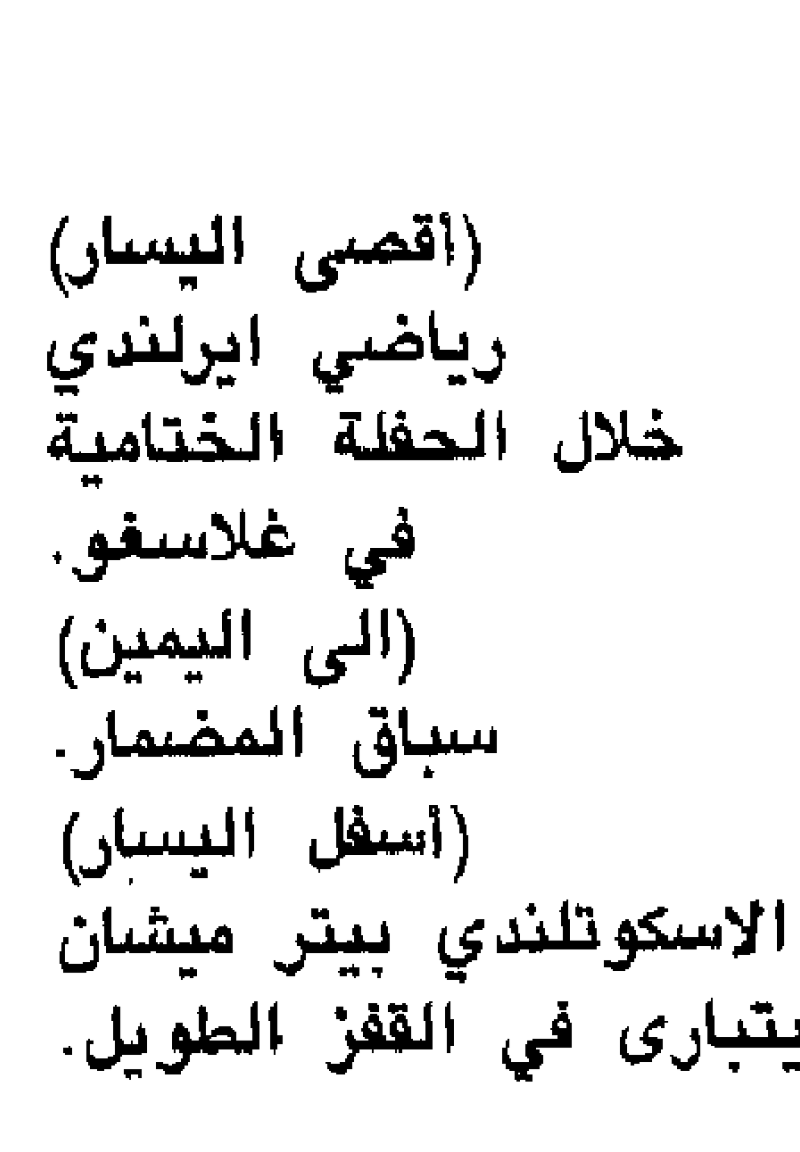
الالعاب الاولمبية الخاصة بالنسبة الى يونيس ليست سوى فعل محبة. ويرئس زوجها سارجنت شرايفر منظمة "الالعاب الاولمبية الدولية الخاصة" ومركزها واشنطن، وهي تنظم دورة عالمية كل سنتين (تقام هذه السنة في مينيابوليس) وتجيز اجراء دورات أوروبية كل بضع سنوات.

عام ١٩٦٨ جذبت هذه الالعاب "الدولية" نحو ١٠٠٠ رياضي من الولايات المتحدة وكندا. وبالمقارنة، استقطبت ألعاب غلاسغو ٢٢٠٠ رياضي من ٣١ بعثة أوروبية بمن فيهم، للمرة الاولى، رياضيون من الاتحاد السوفييتي وجمهوريات استونيا وليتوانيا ولاتفيا. وتولت مجالس اختيار محلية انتقاء المشاركين. فكانوا جميعا من المعاقين عقليا، ومنهم من يعاني عجزا جسديا منذ الولادة. وتنافسوا في ١٣ مباراة راوحت بين سباقات المضمار والميدان والبولينغ. وتوافرت مستويات متفاوتة للمنافسة من أجل اعطاء كل مشترك فرصة.

أطفال وشيوخ. خيم جو احتفالي على غلاسغو فيما زحف جمهور غفير بلغ تعداده نحو ٣٥ ألفا على "سلتيك بارك" لحضور حفلة الافتتاح. قرعت الطبول وانبعثت الالحان من مزامير القربة فيما راح الرياضيون يدورون حول الملعب المدرَّج وقد تأنقوا بملابس حملت ألوان

RANDOLPH CAUGHIE





(اقصى اليسار) رياضي ايرلندي خلال الحفلة الختامية في غلاسغو. (الى اليمين) سباق المضمار. (أسفل اليسار) الاسكوتلندي بيتر ميشان يتبارى في القفز الطويل.

أعلام بلادهم. ورفرفت الرايات وانطلقت الالعاب النارية وتوهجت الشعلة الاولمبية عاليا فيما أعلن دوق ادنبرة الذي رعى هذا الحدث، بدء المباريات. ومشى مع الرياضيين كل من ملكة الاردن نور والامير ألبير دي موناكو، وحضر الاحتفال عدد كبير من المشاهير.

تزامنت هذه المباريات مع الاحتفالات بتكريس غلاسغو "مدينة الثقافة" في أوروبا للعام ١٩٩٠. وقد لُحظت لها موازنة بلغت ٣،٣ ملايين جنيه استرليني (نحو ٦ ملايين دولار). وكان مايكل دايل، المدير التنفيذي لهذه المباريات، فاتَح أصحاب المشاريع الكبرى في غلاسغو للمساهمة في اقامتها، فلم يلق منهم تجاوبا.

لكن سكان غلاسغو سدوا هذه الثغرات. وكم من الاعمال والنشاطات نفذت في سبيل جمع المال: رجال اطفاء يهبطون بالمظلات، في عروض خيرية، وموظفون ينزلقون على واجهة مبنى بواسطة حبال، وسعاة بريد يغسلون







RANDOLPH CAUGHIE

السيـارات، ورجال شـرطـة يلعبـون البادمنتون ٢٤ ساعة متواصلة. وجمع برنامج "تبنّوا لاعبا رياضيا" أكثر من مليون جنيه (نحو مليوني دولار) لتأمين اطعام اللاعبين ونقلهم. وأطلق نداء لطلب نحو ٢٠٠٠ متطوّع فلقي تجاوبا ساحقا. ويقول غوردون ماكورماك وهو اسكوتلندي مرح ومنظم ألعاب للمعاقين: "لبى النداء مراهقون وآباء وأمهات وجدات، فتجمع لدينا جيش من سكان غلاسغو وقفوا أنفسهم على مساعدة المعاقين."

"لست عاجزاً." فرح الرياضيون بكرم السكان ومودتهم. ومنهم من كان يعاني مصاعب عائلية وأُدخل مصحّات. فعندما بلغ "البطل" الايطالي أدريانو باليزي الرابعة من عمره عهدت به أمه الى كاهن المحلة. وانقضت عشر سنين قبل أن تعلم السلطات المختصة بأمره، وحين عثرت عليه كان منطويا لم يدخل أي مدرسة وشبه عاجز عن التفاهم مع الآخرين.

أدريانو اليوم في الثامنة عشرة من

عمره ويعيش في مركز لاعادة التأهيل حيث يتلقى دروساً في الميكانيك. تقول ميشال جورجيو رئيسة الاتحاد الرياضي "س. جيوفاني دي ماتا" في فينوسا: "لقد غيرت حلبة الركض مجرى حياته، اذ خرج من عزلته الكاملة وبات محاطاً بالمحبين ويلقى الدعم والتشجيع باستمرار. ومنحته الرحلة الى غلاسغو دفعاً جديداً. لا يزال أدريانو خجولا ومنطويا، لكن الحشود والتصفيق أثّرا فيه كثيراً."

بيثر ميشان (٣٠ عاما) اسكوتلندي معاق عقليا ويعاني شقاً حلقيا منذ الولادة. يقول: "خضعتُ لعشر جراحات، ونادراً ما كنت أخرج من المنزل. وفي المدرسة كان الاولاد يسخرون مني قائلين ان ميشان ولد غبي. لكن عائلتي وقفت دائما الى جانبي وآزرتني."

اعتاد بيتر الركض مع أشقائه ومنافستهم في الالعاب الرياضية، فوجد متنفَّساً في المباريات الخماسية، وهي أكثر الرياضات ارهاقاً اذ تستمر طوال يومين وتتضمن خمس مباريات: سباق قصير لمسافة ١٠٠ متر، قفز طويل، رمي الكرة الحديد، قفز عال، سباق لمسافة ٤٠٠ متر. وقد فاز بيتر بميدالية ذهبية في غلاسغو بعدما تأهل للمشاركة وربح في المباريات الخمس.

يقول بيتر: "لقد أعطتني الرياضة هدفاً." وهو يتمرن أربعة أيام في الاسبوع في اشراف المدرب طوم بويل الذي يضم فريقه اثنين من أشهر عدائي بريطانيا هما طوم ماكين وايفون موراي. ويكرس بيتر يوماً آخر في الاسبوع للعمل مع رياضيين معاقين آخرين. ويمضي أوقات فراغه في مساعدة جيرانه المتقدمين في السن. ويضيف شارحا طبيعة أعماله: "أنكش تراب حدائقهم وأجزّ عشبها. أنا لا أنظر الى نفسي كعاجز، والناس لم يعودوا يهزأون بي بل يعاملونني باحترام."

دموع العقيد. تظهر هذه المباريات أهمية منح المعاقين عقليا حياة هادفة. لكنها تكشف أيضاً التخلف المريع الذي تتخبط فيه بعض المجتمعات في هذا المجال. وتتحسر ناتاليا سلادكوفا الامينة العامة لاتحاد الرياضة للمعاقين في الاتحاد السوفييتي: "هؤلاء الاشخاص غير مقبولين في مجتمعنا. عندما يقع نظر البعض على معاق يتبادر الى أذهانهم السؤال الآتي: ترى، أي ذنب اقترفه؟ من الصعب علينا تغيير هذه المواقف بسرعة، ولكن في اعتقادنا أن الرياضة قادرة على ازالة هذه الحواجز."

ويضيف ميكي هانوري قائد الفريق الهنغاري (المجري): "معظم المعاقين عقلياً عندنا يلزمون المصحّات، وكانوا يُحجبون عن الانظار تماما. لكن الوضع تغير الآن، وقد رافقنا فريق من التلفزيون الوطني الهنغاري."

الميزة التي لم تخِبْ يوماً في التأثير على الناس الذين يهتمون بالمعاقين هي عمق تجاوب هؤلاء حيال الرقة. تقول ماريا

فيكتوريا غريل مدربة الفريق الاسباني لكرة السلة: "هؤلاء الاولاد يقدِّرون أقل اهتمام بأمرهم. والملاطفة هي جل ما يحتاجون اليه حافزاً."

ولا ريب في أن الرياضيين الاكثر سعادة في غلاسغو كانوا أولئك الذين حضر ذووهم وأصدقاؤهم المباريات وشجعوهم. فقد حضرت عائلة كارولين راصل الايرلندية (١٥ عاماً) وأصدقاؤها من مقاطعة دونيغل لمشاركتها في فرحتها بميدالية فضية في مباراة الفروسية للمبتدئين. وانهار ادغار بولشو، وهو عقيد ألماني قاسي القسمات، واخذ يبكي عندما فاز ابنه غارت (٢٨ عاماً) بميدالية ذهبية في السباحة، وتنهد قائلا: "كان سليماً معافى حتى بلغ عامه الثاني عندما أعطي حقنة لقاح عادية ضد الحصبة والشاهوق. فاللقاح ألحق أذى بدماغه، مع أن حوادث كهذه تكاد لا تحصل. وهو لا يزال عاجزاً عن القراءة والكتابة، لكن الرياضة باتت كل شيء في حياته."

قبعات في الهواء. "الغلبة للجميع." تصدر هذا العنوان صحيفة "دايلي ريكورد" الصادرة في غلاسغو ناقلا الحقيقة بصدق. ففي "لغة" هذه المباريات، الرياضيون الذين يحتلون المرتبة الثامنة، مثلا، يعتبرون "رابحي" المرتبة الثامنة ويفوزون بأوشحة تذكارية. أما الرابحون الاوائل فقد حققوا انجازات باهرة فعلا:

□ بيدرو هنريكس (١٧ عاماً) سباح برتغالي معاق عقلياً منذ الولادة فاز بميدالية ذهبية في سباح البدل (٤×٢٥) وبأخرى برونزية في السباحة الحرة لمسافة ٢٥ متراً. وكان قبل يومين من المباراة غطس في حوض سباحة في مارينا غراندي بالبرتغال وأنقذ فتى من الغرق.

□ آلن ستروفن (٢٠ عاماً) لاعب جمباز بلجيكي فاز في اليوم الاول من المباريات بميداليتين برونزيتين في التمارين الارضية وتمارين العارضة الافقية. واتصل بعائلته ليزف اليها البشرى. وبعد فوزه بميداليتين ذهبيتين في اليوم التالي في تمارين القفز والمتوازيين قال وقد افترّ ثغره عن ابتسامة عريضة: "يبدو أن علي اجراء مكالمة أخرى."

□ ميشال أورلاندو (٢٤ عاماً) فتاة مرحة سوداء الشعر أتت من جنوب فرنسا وأحرزت فوزاً ساحقاً في دورة كرة الطاولة. وهي خسرت مباراة واحدة أمام منافستها اليونانية ماريا بروكوبا التي كانت تثب بخفة فرحاً كلما سجلت نقطة. وفي النهاية تمكنت ميشال من التغلب على ماريا (٢١ – ١٠) فرقصت بدورها.

وتكررت العناقات العفوية في غلاسغو. وعندما خسر فريق كرة القدم الفرنسي، المؤلف من خمسة لاعبين أكبرهم في الخامسة عشرة، أمام لاعبي الفريق الاسكوتلندي الاكبر سناً، بهدف سجله هؤلاء في الثواني الاخيرة من المباراة، ارتمى حارس المرمى الفرنسي على الارض محبَطاً. فتحلق رفاقه حوله، كذلك

لاعبو الفريق الاسكوتلندي ولاعبو الفريق البرتغالي، يخففون عنه.

أما لاعب الجمباز كريستوف ايرانو (٨ أعوام) الآتي من امارة موناكو فخطف الاضواء لدى توزيع الجوائز، اذ رفعه اثنان من أنصاره من ذراعيه ليقلَّد ميداليته الفضية للالعاب البهلوانية. وكان ايرانو أصغر الرياضيين المشاركين في دورة غلاسغو للالعاب الاولمبية الخاصة.

أخيراً زال السحر، وتبادل الاصدقاء الجدد القبلات والعناوين خلال الحفلة الختامية. ورقصوا الكونغا الافريقية والميداليات تجلجل على صدورهم الشامخة. وصرخت فتاة فرنسية: "نحبك يا غلاسغو!" وقذفت قبعتها عالياً في الهواء. وللحال حذا المئات حذوها وتطايرت القبعات وعلت الاصوات: "نحبك! نحبك!"

غلاسغو أيضا أحبتهم، فرداً فرداً.

تشارلز بارميتر ■

داوِها بالتي كانت...

فجر يوم قارس البرودة دوى صوت عظيم مزق صمت حيِّنا. فوثبت من فراشي واتجهت بخطى متعثرة نحو نافذة غرفتي، واكتشفت أن مصدر الصوت هو بوق الشاحنة الصغيرة التي اشتريناها حديثاً. فارتديت معطفي واندفعت خارجاً. رفعت غطاء المحرك ورحت أعمل على فصل سلك البوق الى أن نجحت في ذلك بعد جهد، وعاد الصمت يخيم من جديد.

وفي وقت متقدم من ذلك الصباح اخذت الشاحنة الى الكاراج وشرحت للميكانيكي ما حدث. وعندما عدت لآخذها استفسرت منه عن سبب العطل فأجاب: "كل ما في الأمر انني وجدت سلكاً فالتاً فوصلته بالبوق."

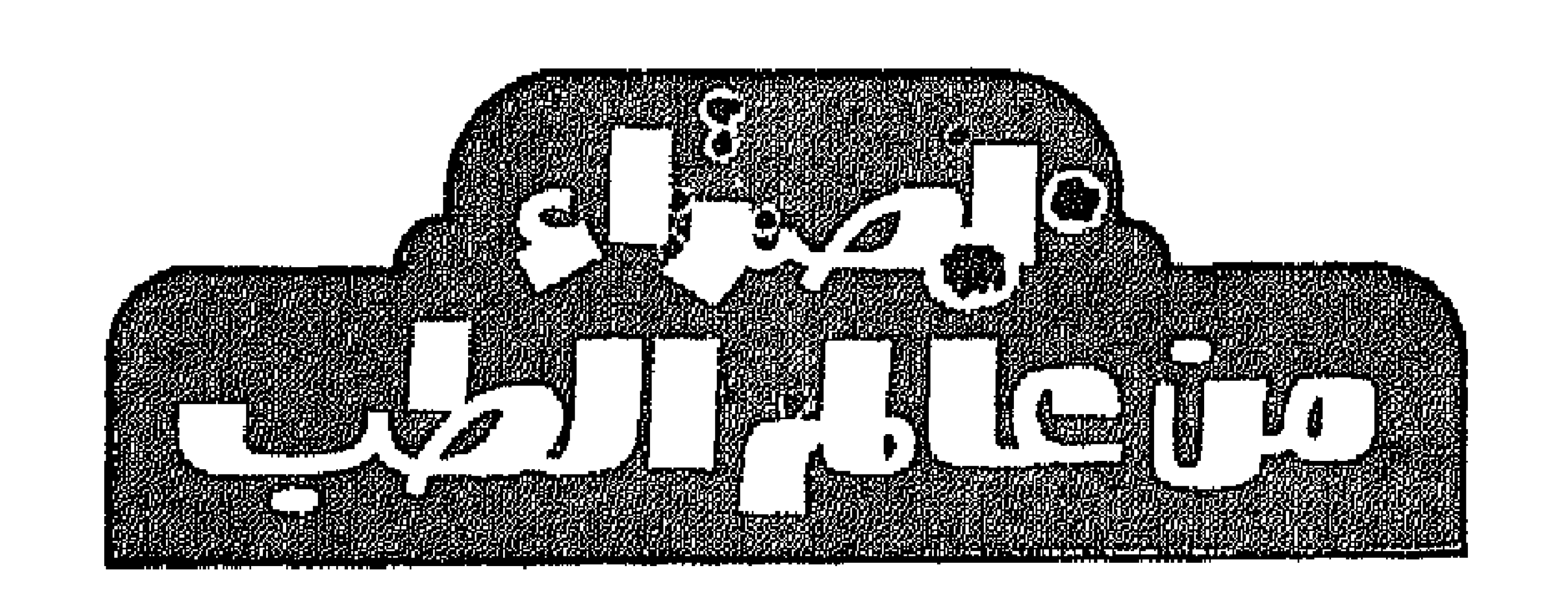
ب.م.

الخيزران الياباني

تزدهر زراعة الخيزران الياباني في منطقة لاند جنوب غرب فرنسا. ويترقب مارسيل بواسو، مدير مؤسسة "فرانس - أغروم" والقيّم على ثلث غابة لاند، أن يُزرع ٢٠٠٠ هكتار من الارض خيزراناً يابانياً. ويضيف بحماسة: "هذا الخيزران الذي يرتفع ٢٥ متراً ينمو في مناخنا كانه في بيئته الطبيعية، فيعطي من السيلولوز في الهكتار الواحد ثمانية أضعاف ما يعطيه شجر الصنوبر."

ومصانع الورق هي الاكثر اهتماماً بهذا الخيزران، اذ ينتج منه معجون ورق رفيع النوعية. وفي الامكان ايضاً تحويل الخيزران الواحاً ليفية. والى ذلك، فان جذوع الخيزران تُنبت فروعاً ريانة نضرة تعتبر مقبِّلا شهياً. وقد أبدى الطاهي الشهير ميشال غيرار اهتماماً بهذا الأمر.

صحيفة "لو بوان"، فرنسا



الفاكهة والخضر تبعد السكتة

■ استناداً الى دراسات غذائية طويلة الأمد، يمكن خفض خطر الوفاة المرتبطة بالسكتة الدماغية (الفالج) باضافة حصة من الفاكهة أو الخضر الى الطعام اليومي.

ففي تقرير قدمته عام ١٩٨٧ كايتي خاو من جامعة كمبريدج في بريطانيا والدكتورة اليزابيث باريت كونور من جامعة كاليفورنيا في سان دييغو بالولايات المتحدة، نتائج دراسة شملت ٨٥٩ رجلا وامرأة في منطقة بكاليفورنيا قسموا ثلاث فئات يتناول أفرادها مقادير مرتفعة، ومتوسطة ومتدنية، من البوتاسيوم. فبعد ١٢ سنة سُجِّلت ٢٤ وفاة مرتبطة بالسكتة، لكن أياً منها لم تحصل في فئة البوتاسيوم العالي. وكانت منافع البوتاسيوم الوافر "عميمة على نحو مدهش" كما قالت خاو، واضافت: "قُدِّرت كمية البوتاسيوم استناداً الى الطعام المتناوَل. فالفاكهة والخضر هي أغنى مصادر البوتاسيوم، وقد يكون لمقوِّماتها الغذائية الأخرى تأثير نافع في السكتة."

وفي تقرير لـ"برنامج القلب في هونولولو" عام ١٩٨٨ أنه وفقاً لدراسة شملت ٧٥٩١ رجلا واستمرت ١٦ سنة، انخفضت السكتات الانسدادية التخثُّرية المميتة بارتفاع مستويات البوتاسيوم. الا أن النسبة الادنى من أخطار السكتات عموماً سجلت بين أفراد يتبعون أنظمة غذائية غنية بالكلسيوم والبروتيين. وسجلت دراسة بريطانية أدنى نسبة من السكتات الدماغية في الجماعات التي تستهلك أكبر كمية من الفاكهة والخضر. وتقترح خاو ابدال المآكل غير الصحية، من معجنات ووجبات سريعة، بتشكيلة من الفواكه والخضر قد تساعد في الحفاظ على صحة شراييننا وحمايتنا من السرطان في آن.

صحيفة "ميديكال وورلد نيوز"

صغار لا يتكلمون

■ جرت العادة أن ينصح الاطباء والدي الاطفال الذين بلغوا السنتين وما زالوا لا يقوون على الكلام، بأن ينتظروا بلوغ الطفل الثالثة من عمره قبل مباشرة علاجه. لكن أبحاثاً حديثة تشير الى أن أطفالا كثيرين لا يخلصون من هذه المشكلة.

عمدت أستاذة علوم الكلام والسمع، ريا بول، الى درس حالات ٣٦ طفلا في عامهم الثاني تأخروا في الكلام. وبعد مرور سنة تبين أن نصف هؤلاء ظلوا متخلفين عن أترابهم. تقول البروفسورة بول: "يجب فحص سمع الاطفال الذين يظلون عاجزين عن الكلام بعد بلوغهم السنتين، كما يجدر التفكير في معالجة أولئك الذين بلغوا السنتين ونصف السنة وما زالوا عاجزين عن الكلام."

صحيفة "ديلي نيوز"

عبور أنتارتيكا

راودني حلم أنتارتيكا[1] طوال ثلاثين عاما. ومنذ صباي أتأمل صور صدوعها وجبالها وأتساءل كيف تمكن عظماء المستكشفين من البقاء على قيد الحياة في هذه البيئة الموحشة.


وتوالت السنون وأصبحت مستكشفا وترأست بعثة الى القطب الشمالي عام ١٩٨٦. خلال هذه الرحلة التقيت، بمصادفة غريبة، الفرنسي جان ـ لوي اتيان الذي اعتزم الوصول الى القطب متزلجا وحيداً. وتسامرنا تلك الليلة، واكتشفنا أننا شريكان في حلم واحد: أن نكون الاوائل في اجتياز أنتارتيكا بمزالج تجرها كلاب.

هناك، وسط المحيط المتجمد الشمالي، تبادلنا أرقام الهاتف. وبعد عودتنا من القطب أطلقنا مشروع "عبور أنتارتيكا."

تخطى تصورنا لهذه البعثة حدود المغامرة البحتة

(١) انتارتيكا هي قارة القطب الجنوبي.





ستة رجال من ستة بلدان جمعهم حلم
واحد: أن يجتازوا القارة القطبية...
على أقدامهم

وأردناها مثالا للتعاون الدولي. حرصنا على أن نبرهن أن في امكان ستة رجال من ستة بلدان العمل على هدف مشترك في أقسى الظروف. لذا كان علينا اختيار أعضاء مناسبين للفريق. ونجحنا في مسعانا.

جيف سومرز بريطاني أمضى ثلاث سنوات في أنتارتيكا عضواً في فريق الابحاث البريطاني. نيطت به مهمة "الملاحة"[٢] وتدريب الكلاب.

فيكتور بويارسكي سوفييتي متمرس شارك في ستة مشاريع في القطبين الشمالي والجنوبي. عني بالاشراف على تجارب الارصاد الجوية في بعثتنا.

كين داه اختصاصي بعلم المجالد والثلوج من جمهورية الصين الشعبية، أمضى سنة في أنتارتيكا مديراً لمحطة الابحاث الصينية.

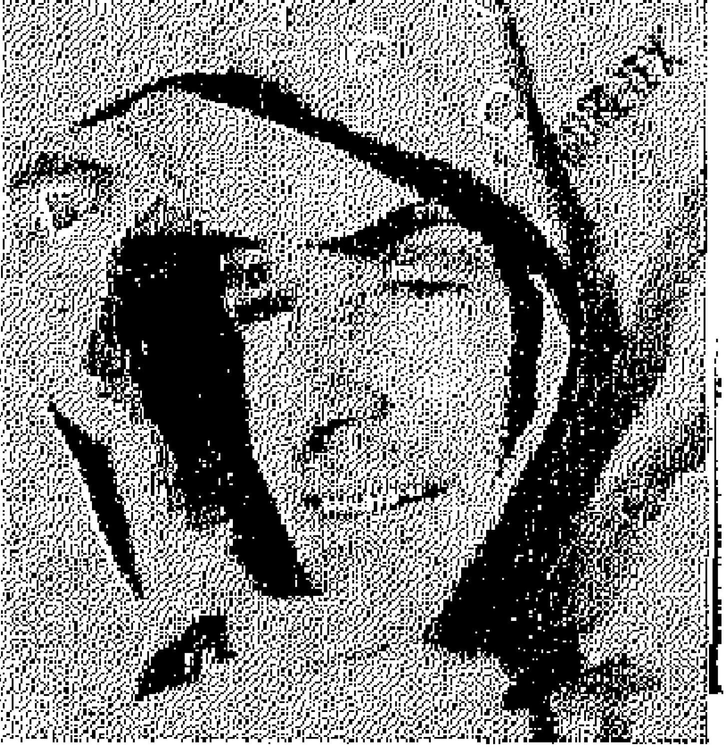
أما أنا فلم تطأ قدماي أرض أنتارتيكا من قبل، كذلك جان ـ لوي اتيان الاختصاصي بالطب الرياضي وكيزو فوناتسو وهو ياباني وأصغر أعضاء الفريق سناً (٣٢ عاماً) وخبير في تدريب كلاب المزالج.

عندما سئلنا عن أسباب قبولنا هذا التحدي أجاب جان ـ لوي نيابة عنا: "إما أن تحلم بالاستكشاف واما ألا تحلم. فان حلمت كان الانجذاب قويا جداً ولازمك طوال حياتك."

بدأت رحلة "عبور أنتارتيكا" رسميا


كيزو فوناتسو

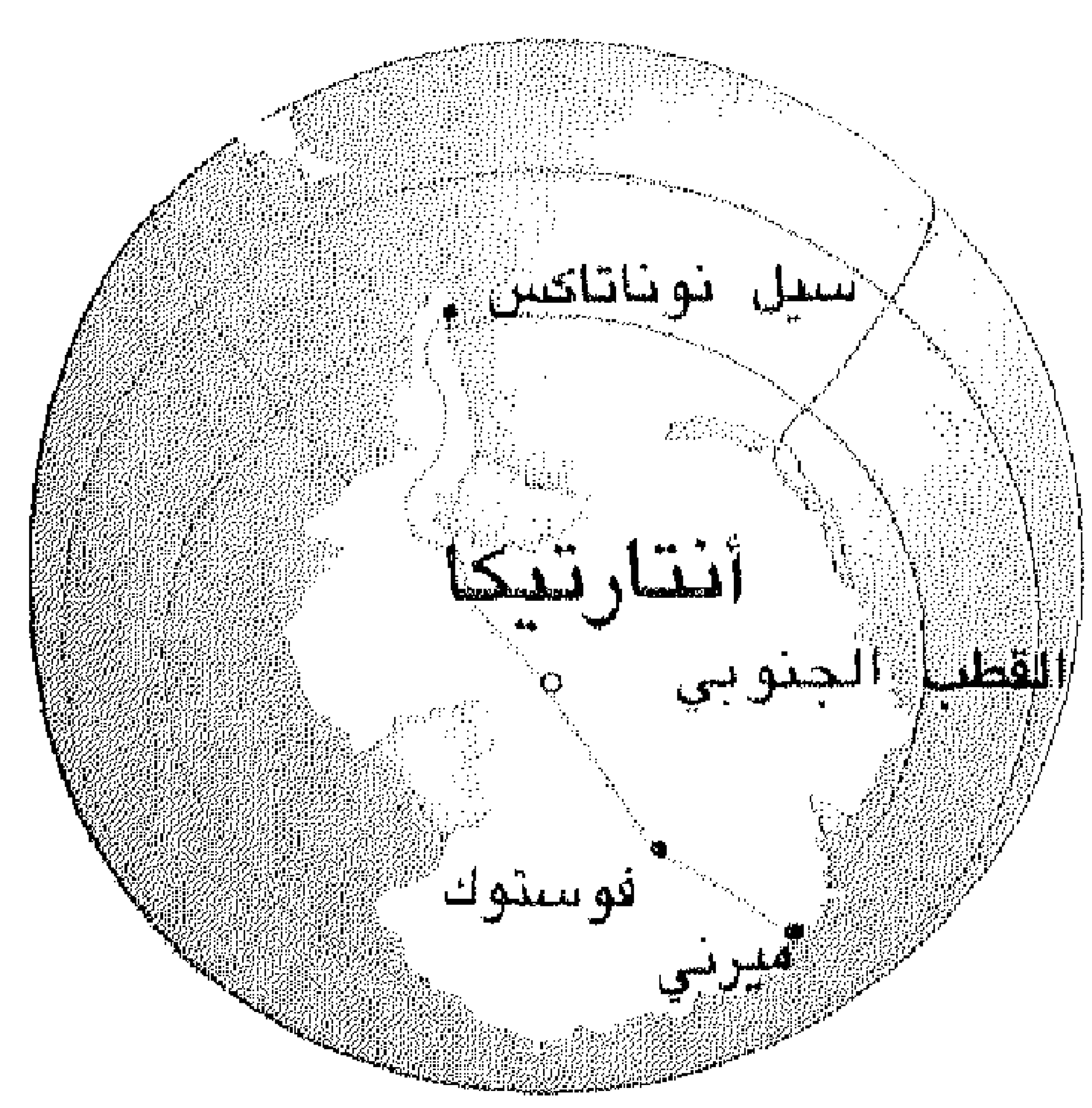
ويل ستيغر


جان ـ لوي اتيان


فيكتور بويارسكي


جيف سومرز


كين داه



(٢) الملاحة هنا تعني مهمات تحديد الاتجاه والمسار والمسافات.

في "سيل نوناتاكس" يوم ٢٧ يوليو (تموز) ١٩٨٩: ستة رجال واربعون كلباً وثلاث مزالج تزن الواحدة منها نصف طن. بلغت الحرارة لدى انطلاقنا درجتين مئويتين تحت الصفر. وسلكنا المحور الاطول في القارة، بدءاً من جوار رأس شبه الجزيرة الجنوبية التي يبلغ طولها ١٣٠٠ كيلومتر، في اتجاه القطب الجنوبي، مروراً بما يسمى "المنطقة التي يتعذر سلوكها"، وصولا الى قاعدتي الابحاث العلمية السوفييتية في فوستوك وميرني، أي ما مجموعه ٦٠٠٠ كيلومتر.

لعبور هذه المسافة في سبعة أشهر تقريبا، تحتم علينا التزلج بمعدل ٣٠ كيلومتراً يوميا. ومسألة التفاهم في ما بيننا لم تكن دون المسائل الاخرى أهمية. فالانكليزية كانت لغتنا "الرسمية"، لكن فيكتور وداه كانا لا يزالان يتعلمانها.

في اليوم الحادي عشر انخفضت الحرارة الى ١٨ درجة مئوية تحت الصفر. وعصفت رياح عاتية بسرعة ١٢٠ كيلومتراً في الساعة. وحجبت الثلوج المنهمرة الرؤية وكثرت متاهات الصدوع التي بلغ عمق بعضها ٣٠ متراً فتوقفنا مرغمين. وفيما رحنا نكافح لتثبيت خيمتنا صاح فيكتور بلكنته الطريفة: "أهلا بكم على شاطىء ميامي."

في الشتاء السابق طار جيف الى أنتارتيكا وزرع ١٢ مخبأ للمؤن على طول الطريق التي نسلكها الآن. وباتت هذه المخابىء قوام حياتنا، اذ لم يسعنا الاعتماد على طائرة تزودنا المؤن وسط هذه العواصف المستمرة. وعجزنا طوال أربعة أيام عن الاتصال لاسلكيا بقاعدتنا بونتا أريناس في تشيلي، ولكن كانت في يدنا وسيلة اتصال فريدة هي مرشد لاسلكي ينقل موقعنا الى قمر اصطناعي في المدار القطبي.

في ٢١ اغسطس (آب) هبت تيارات هوائية عاتية بلغت سرعتها ٢٥٠ كيلومتراً في الساعة، فنفضت الثلوج عن جبال شبه الجزيرة وانعدمت الرؤية. ووصلت سرعة الرياح الى ٩٥ كيلومتراً في الساعة واقتلعت خيمة كنا نحاول نصبها. فقفز جيف عليها لتثبيتها وركزنا أنا وفيكتور أعمدتها. كان عملنا مثالا للتعاون الدولي.

شكلت الصدوع غير المرئية خطراً خفياً علينا وعلى الكلاب والمزالج. وغالباً ما كانت الكلاب تسقط اذ تخترق قوائمها الرفيعة الثلج، لكنها سرعان ما تثب سليمة فتنفض عنها الثلج غير آبهة. أما الرجال فكان ثقلهم موزعاً على المزالج فلا خطر كبيراً أن تغور المزالج في الثلج.

كنا نجمع عينات من الثلج يومياً ونبوِّبها وفقا لموقعها وعمقها، ليتم فحصها لاحقا في المختبرات لاستقصاء المعطيات المناخية.

اليوم الثالث والخمسون، ١٧ سبتمبر (أيلول). دوَّنت في مفكرتي: "اجتزنا اليوم حد الـ٨٠٠ كيلومتر. سرنا معظم النهار وسط البياض القارس." ووصف كيزو وضعنا بطريقته الخاصة:

"اننا كمن يعيش داخل كرة بينغ – بونغ."[٣] وكلما عمينا عن رؤية أعضاء الفريق الطليعيين كنا نركع على الثلج لتقفي آثارهم الواهية.

لقد أضعنا حتى الآن مخبأين للطعام اذ دفنت الاعلام التي تشير الى موقعيهما تحت الثلج المتراكم. بدأنا نقنن ونطعم الكلاب من قوتنا الاساسي المكون من اللحم المقدد والدهن. وكان تذويب الثلج للحصول على الماء يستغرق ثلاث ساعات يومياً.

واستمرت حال الطقس ١٧ يوماً شبيهة بعاصفة رملية في الصحراء. وتسلل الثلج الناعم الى ملابسنا والى الخيم وأكياس النوم. وتشققت شفاهنا وقضم الصقيع وجناتنا وتجلدت نظاراتنا الواقية من الشمس. وغاصت الشقوق في

(٣) الـ"بينغ – بونغ" هي كرة الطاولة.

أصابعنا حتى باتت قيادة الكلاب ونصب الخيم وتحضير الطعام أعمالا شاقة ومؤلمة جداً. وللمرة الاولى في حياتي افتكرت في ماهية الموت.

اليوم الثالث والستون، ٢٧ سبتمبر (أيلول). دونت في مفكرتي: "انه أسوأ طقس عرفناه. ثلوج كثيفة وضباب ورياح عاتية. أمس أحجمت كلاب كيزو عن متابعة السير، فاضطر أربعة منا الى دفع المزلجة لحملها على الانطلاق ثانية."

بقي في حوزتنا طعام للكلاب يكفي يومين فقط. ولا ريب في أن مخبأ المؤن التالي دفن تحت الثلوج. عجزنا طوال أسبوع عن اجراء اتصال لاسلكي. لا طائرة تعثر علينا في طقس كهذا.

لم نقطع ثلث المسافة بعد. اجتمعنا

لمناقشة الخيارات المتوافرة. درسنا حتى فكرة شحن الكلاب جواً من فوستوك واكمال المسافة المتبقية بأنفسنا – ١٣٥٠ كيلومتراً. ولم يغب عنا أن التخفيف من أعداد الرجال أيضاً من شأنه خفض الحمولة وتسريع الخطى. واقترح جان ـ لوي بلباقة أن تنقل طائرة اثنين أو ثلاثة من الاعضاء الذين يستطيعون الانضمام الى الفريق لاحقاً.

لكن جيف أصر على موقفه: "إما أن ننجز هذه الرحلة معاً وإما ألا ننجزها. هكذا خططنا لهذه البعثة."

وأضاف فيكتور: "دعونا لا نستسلم للهلع، فروح البعثة ستحضنا على المضي." وأومأ كيزو وداه موافقين. عندئذ أدركت صلابة الوشائج التي تربطنا. وقررنا بالاجماع متابعة طريقنا أيا تكن الصعاب.

اليوم السادس والستون، ٣٠ سبتمبر (أيلول). دونت في مفكرتي: "لا تقدم. نفد طعام الكلاب... الثلج يصل الى الخصر... التقدم مستحيل."

في ذلك اليوم عثرت علينا طائرة محملة بطعام للكلاب. لقد كتبت لنا النجاة لفترة قصيرة. تنفسنا الصعداء وتعانقنا دامعين.

المثير للسخرية أن التكنولوجيا الحديثة ذاتها شكلت خطراً علينا، اذ مكنتنا من الابتعاد عن أي وسيلة انقاذ حتى بات التراجع مستحيلا. وسبيلنا الوحيد هو المضي قدماً في اتجاه مخبأ تالٍ للمؤن. كان علينا أن نصل الى الجانب الآخر من القارة قبل عودة الشتاء القطبي الهادر في مارس (آذار).

كنا كل ثلاثة أيام نتوقع هبوب العواصف ونأخذ تدابير الوقاية اللازمة. غير أن العاصفة التي تحاصرنا الآن ستستمر ٦٠ يوماً. ولكم اضطررنا في الصباح الى الحفر مدة ساعتين لتحرير المزالج وكشط الثلوج عن الكلاب النائمة. ذات يوم بعث جان ـ لوي برسالة بسيطة موجزة الى القمر الاصطناعي: "عظام متجلدة."

أدركني اليأس في أواسط أكتوبر (تشرين الاول) عندما عثرت على كلبي "تيم" نافقاً وقد أعياه الثلج المتجلد في فروته. ولكم حاولت ابقاءه داخل الخيمة في المساء وحمله على مزلجتي، لكن قواه خارت وقضى متجلداً. كان "تيم" نجم رحلتي الى القطب الشمالي.

ظهر ١١ ديسمبر (كانون الاول) رصدنا هوائيات القبة الجيوديسية في محطة "أمندسن – سكوت" الامريكية. ثم رأينا القطب ذاته: نقطة شُكّت فيها سارية في أعلاها مرآة كروية، وحولها أعلام مرفرفة وحشد من نحو ستين شخصاً ولافتة حمراء كبيرة كتب عليها: "تحية من مينيسوتا." موطني! وألقى كين داه خطاباً قصيراً: "عندما كنت صبيا تمنيت أن تطأ قدماي كل بقعة في الارض. لكني لم أحلم يوماً بالوصول الى القطب الجنوبي على مزلجتين." والحقيقة أن داه لم يتزلج من قبل.

أمضينا في المحطة ثلاثة أيام انطلقنا بعدها من جديد. وعندما ولجنا "المنطقة التي يتعذر سلوكها" بدأنا نتسلق أعلى مرتفع في رحلتنا وعلوه ٣٥٠٠ متر. في هذه المنطقة تطلب جر المزالج ونصب الخيم جهوداً جبارة، وخصوصاً مع نوبات الدوار التي انتابتنا وأنفاسنا المتقطعة من شدة الارهاق.

صادفتنا أيضاً أمواج جليد شبيهة بأمواج المحيط جعلت التزلج شبه مستحيل.

اليوم المئة والحادي والستون، ٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٩٠.

"أصبحت الايام أقل ايلاماً." معدل الحرارة هنا في منتصف صيف أنتارتيكا ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر.

المناظر المتشابهة والمتكررة يوما بعد يوم جعلتنا فريسة الضجر. ورحت أمضي الوقت محاولا استرجاع ما ينقص هذا العالم الابيض الاجرد: أصوات الصيف وعبير الغابات ولمسة الشمس الصباحية في مايو (أيار). ان لحظات عادية كهذه في تلك المنطقة من العالم تضاهي الجواهر الثمينة.

أما جان ـ لوي فكان يتخيل نفسه كل يوم في وظيفة مختلفة: اليوم عامل منجم، وغداً رئيس لفرنسا. واسترجع داه تفاصيل حياته ووجوه أفراد عائلته وأصدقائه والامكنة التي عاش فيها وزارها. وفكر كيزو في وطنه اليابان وفي منزله وصديقته، وأدى بعض المحاولات الغنائية. أما جيف، المنهجي أبداً، فاحتسب مراراً وتكراراً المسافة المتبقية والطعام الذي سنحتاج اليه.

وصلنا الى فوستوك في ١٨ يناير (كانون الثاني) وكنا أول من اجتاز "المنطقة التي يتعذر سلوكها" على الاقدام. فاستقبلتنا مجموعة من ٤٠ سوفييتياً بالالعاب النارية، ومنهم من كان يعرف فيكتور. وقدموا الينا الخبز المغمس بالملح، ونعمنا بحمام دافىء.

بلغت الحرارة صبيحة وصولنا ٤٤ درجة مئوية تحت الصفر واستمرت في هبوط سريع. وأدركت أن الصقيع سيزداد حتى نصل الى الشاطىء على بعد ١٣٥٠ كيلومتراً. وفعلا، كان السادس من فبراير (شباط) اليوم الاكثر صقيعاً اذ تدنت الحرارة الى ٤٨ درجة مئوية تحت الصفر. وفي ١٥ فبراير (شباط) بلغت الحرارة الظاهرية[٤] ٨٧ درجة تحت الصفر، فكانت أسوأ ما خبرناه.

ذات يوم، وكنا بدأنا نقترب من ميرني، أفقت مذهولا اذ خيل الي أنني سمعت سقسقة عصافير. فرأيت جان ـ لوي يبتسم وهو يستمع الى تسجيل لاصوات عصافير كان خبأه حتى ذلك اليوم.

وبعد أسبوع شاهدنا طائراً للمرة الاولى منذ سبعة أشهر. فكان محور حديثنا لأيام. وارتفعت الحرارة الى ١٨ درجة تحت الصفر للمرة الاولى منذ أغسطس (آب).

(٤) الحرارة الظاهرية هي تلك التي يحسّها الجسم البشري نتيجة اتحاد الحرارة الفعلية وسرعة الرياح.

في ١ مارس (آذار) على بعد ٢٦ كيلومتراً فقط من ميرني هبت عاصفة هوجاء اضطرتنا الى البقاء في المخيم. وفي الرابعة والنصف عصراً زحف كيزو خارج خيمته ليطعم كلابه. وفي السادسة أدركنا أنه ضل الطريق، فبحثنا عنه ليلا وطُفنا نناديه وننتظر سماع رد. لكن جهودنا ذهبت هباء. وقد تمسكنا بحبل طويل ربط الى مزلجة لكي لا نتيه وسط البياض الثائر.

وبحثنا عنه مجدداً لدى بزوغ الفجر. وراودتني أفظع التخيلات: كيزو يقطع الكيلومترات الباقية ملفوفاً بعلم بلاده. فاعتصرني الالم وصرخت عاليا: "كيزو! كيزو!"

لم أصدق عيني حين لمحته كالطيف يخرج من حجاب الثلج العاتي. فتعانقنا وبكينا.

عندما ضل كيزو الطريق حفر خندقا ضحلا بواسطة كماشة صغيرة كانت في حوزته، وتكوّر فيه ككلب مزلجة تاركاً العاصفة الثلجية تدفنه طوال الليل. لكن ما دوّنه في مفكرته يعبر أكثر عن معاناته:

"عندما أصبحت في الخندق، طمرني الثلج خلال خمس ثوان. وتمكنت من التنفس من خلال فجوة. عرفت أن رفاقي سيبحثون عني. لكني شعرت بأنتارتيكا حقا وأنا في الخندق. أحسست وسط الثلج والسكون كأنني في رحم أمي. كنت أسمع دقات قلبي: بوم! بوم! كقلب طفل صغير. وبدت حياتي تافهة بالمقارنة مع الطبيعة... مع أنتارتيكا."

في ٣ مارس (آذار) ١٩٩٠، بعد انقضاء ٢٢٠ يوماً واجتياز ٦٠٢٠ كيلومتراً، أدركنا الجانب الآخر من القارة. واجتاحنا شعور عارم بالسعادة عندما وصلنا الى ميرني.

بعد استقبال رائع جلسنا الى طاولة مع السوفييت الذين احتفوا بنا. فنظرت الى رفاقي متأملا، لقد تحدينا أحلك الظروف وخرجنا بوشائج عميقة باقية حبكتها الشدة والمصاعب.

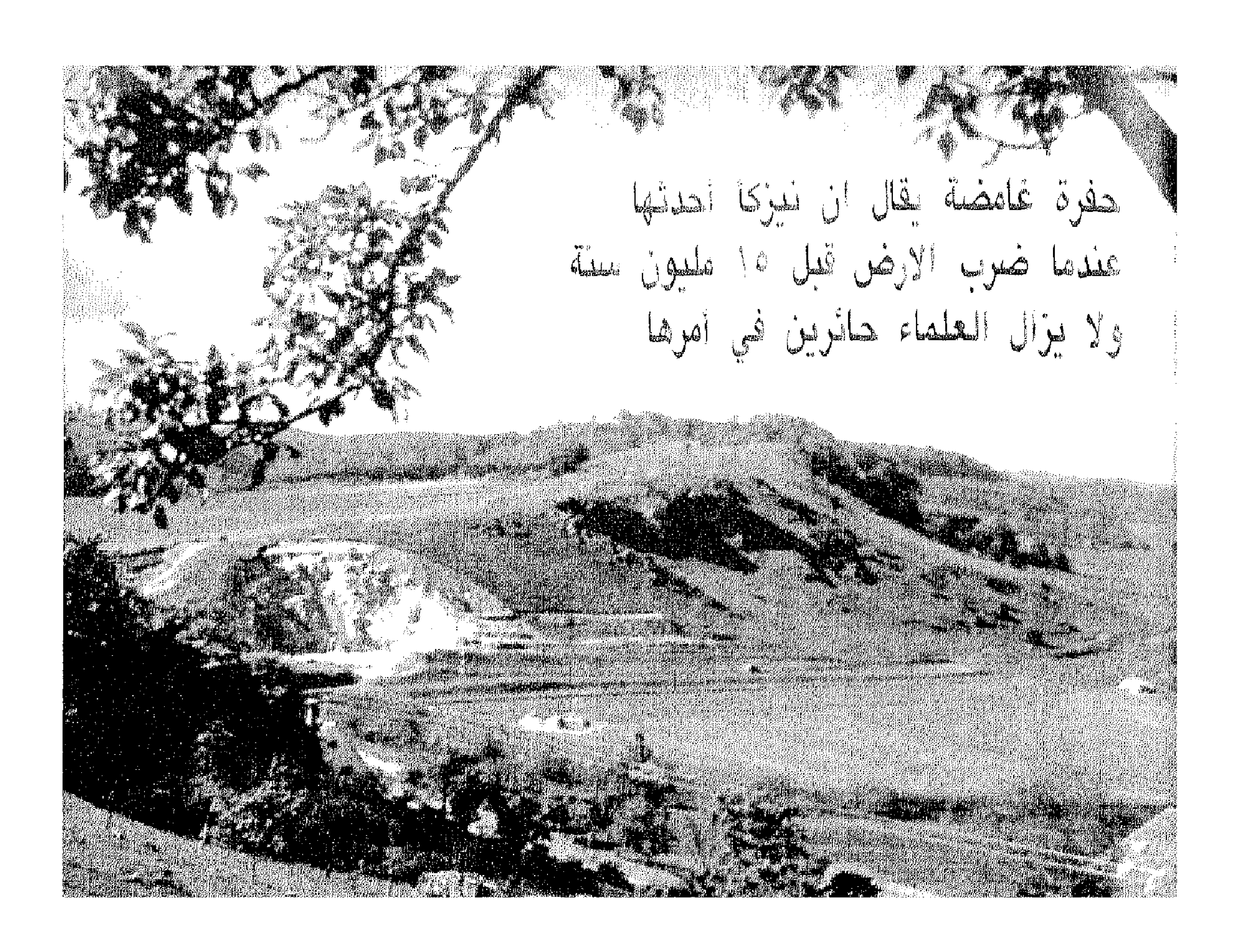
ستة رجال من ستة بلدان خاضوا أعنف طقس في العالم فخرجوا منه اخوة حقيقيين.

ويل ستيغر ■

تُحَف للأكل

قصدت متجراً أعرفه لبيع التحف الاثرية، فلاحظت أمراً غير مألوف لحظة دخولي. كانت التحف الصغيرة لا تزال على الرفوف، لكن الطاولات بدت مغطاة بشراشف وعليها سكاكين واكواب. وبعدما استعرضت السلع سألت البائعة هل لديها طاولة تُطوى عند اللزوم، فأجابت: "نحن هنا لا نبيع طاولات، ولكن تفضلي وتناولي الغداء إن شئتِ."
لقد تحوّل متجري المفضل مطعما!

ت.ن.


حفرة غامضة يقال ان نيزكاً أحدثها عندما ضرب الارض قبل ١٥ مليون سنة ولا يزال العلماء حائرين في أمرها

حفرة الرّيس رسالة غامضة من الفضاء؟

زرت قبل أشهر مدينة نوردلنغن الالمانية الواقعة في منتصف الطريق بين شتوتغارت ونورمبرغ. يقطن المدينة ١٨ ألفاً من السكان، وهي تكاد تبدو كما كانت في العصور الوسطى، بمتاهات أزقتها الضيقة وسطوحها المتحدّرة المثلّثة الزوايا وبنزل للمسافرين بني في القرن الخامس عشر ومبنى للبلدية من الطراز القوطي. ولكن كان في فكري ما يتجاوز دراسة هذه الجوهرة القديمة العهد. فقد جئت لأشاهد احدى العجائب الطبيعية في العالم، أعني حفرة الريس[١] التي أحدثها قبل ملايين السنين سقوط نيزك ضخم في تلك البقعة من الارض.

لمشاهدة الحفرة تسلّقت ٣٥٠ درجة في برج كنيسة تعود الى القرن الخامس عشر. من هناك شاهدت الجدار الدفاعي

(١) The Ries Crater

الذي يطوق المدينة، ووراءه طوق آخر هو سلسلة من الروابي المشجرة، وهي بانت أشبه بحافة طبق عملاق والمدينة في وسطه ضمن حوض مستدير يبلغ قطره ٢٥ كيلومتراً.

قال لي وولف – ديتريش كافاش وهو طبيب بيطري محلي وجيولوجي هاو: "الريس هي احدى كبرى الحفر التي سببتها النيازك، وهي محفوظة أفضل من أي حفرة أخرى في الارض." وقد قدم مئات العلماء الى هنا لاثبات نظريات عن النظام الشمسي. وهنا تدرب ملاحو "أبولو" تمهيدا لرحلاتهم الى القمر.

ولما كانت الريس لا تشبه فوهة بركان فقد مضى وقت طويل والعلماء في حيرة من أصلها. تكلموا عن "لغز الريس" وكثرت النظريات وعنف الجدل الى أن توصل جيولوجيان أمريكيان الى حل اللغز قبل ٣٠ سنة فقط.

يد جبارة. منذ القدم عرف المزارعون الساكنون في سهل نوردلنغن أن هناك شيئاً مختلفاً يميز منطقتهم. فالتربة غنية الى حد عجيب، وهي تفوق خصباً منطقة الجورا الجبلية المحيطة بها. وداخل الحلقة نشأت قرابة ١٠٠ قرية يمتهن أهلها الزراعة.

وثمة ميزة عجيبة أخرى هي التركيب الجيولوجي. فقد كانت طبقات الصخر الجوراسي الاسود والبني الاقدم عهداً متراكمة فوق الطبقات الكلسية الجوراسية[2] الاحدث عهداً. وكانت الصخور البلورية الأساسية القديمة في قشرة الارض، كالغرانيت والنايس وهما من الصخر الصواني، مختلطة بالطبقات الجوراسية أو مكدسة فوقها. وكأنما يد جبارة التقطت هذه البقعة من الارض فسحقتها ثم رمتها. والامر الذي كان أكثر غموضاً لعلماء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هو نوع من الصخر لم يُعرف في أي مكان من العالم. سمي الصخر "سويفيت"[3] وهو يبدو كحجر التوف المسامّي المكوَّن من رماد البراكين ويكثر في حفرة الريس. وقد أصبح اقتلاعه صناعة محلّية. في القرون الماضية استخدمه الرومان في بناء منازلهم حول نوردلنغن. وثمة أبنية كثيرة في المدينة وفي قرى منطقة الريس مشادة بكاملها من حجر السويفيت.

والسويفيت مشابه للحجر البركاني، لذا ساد اعتقاد لدى الجيولوجيين في البداية أن الحفرة أحدثها أحد البراكين. لكن غياب الحمم البركانية لم يشفع بهذه النظرية.

قوة خارجية! في مطلع القرن العشرين ارتأى بعض العلماء أن اختلاط الصخور الجيولوجية نشأ من انفجار عظيم لأبخرة مائية أو غازات تحت الارض كالانفجار الذي دمر القسم الاكبر من جزيرة كراكاتوا في اندونيسيا عام ١٨٨٣. وتعهّد والتر كرانز اثبات هذه

(٢) أي العائدة الى العصر الجوراسي.
(٣) Suevite

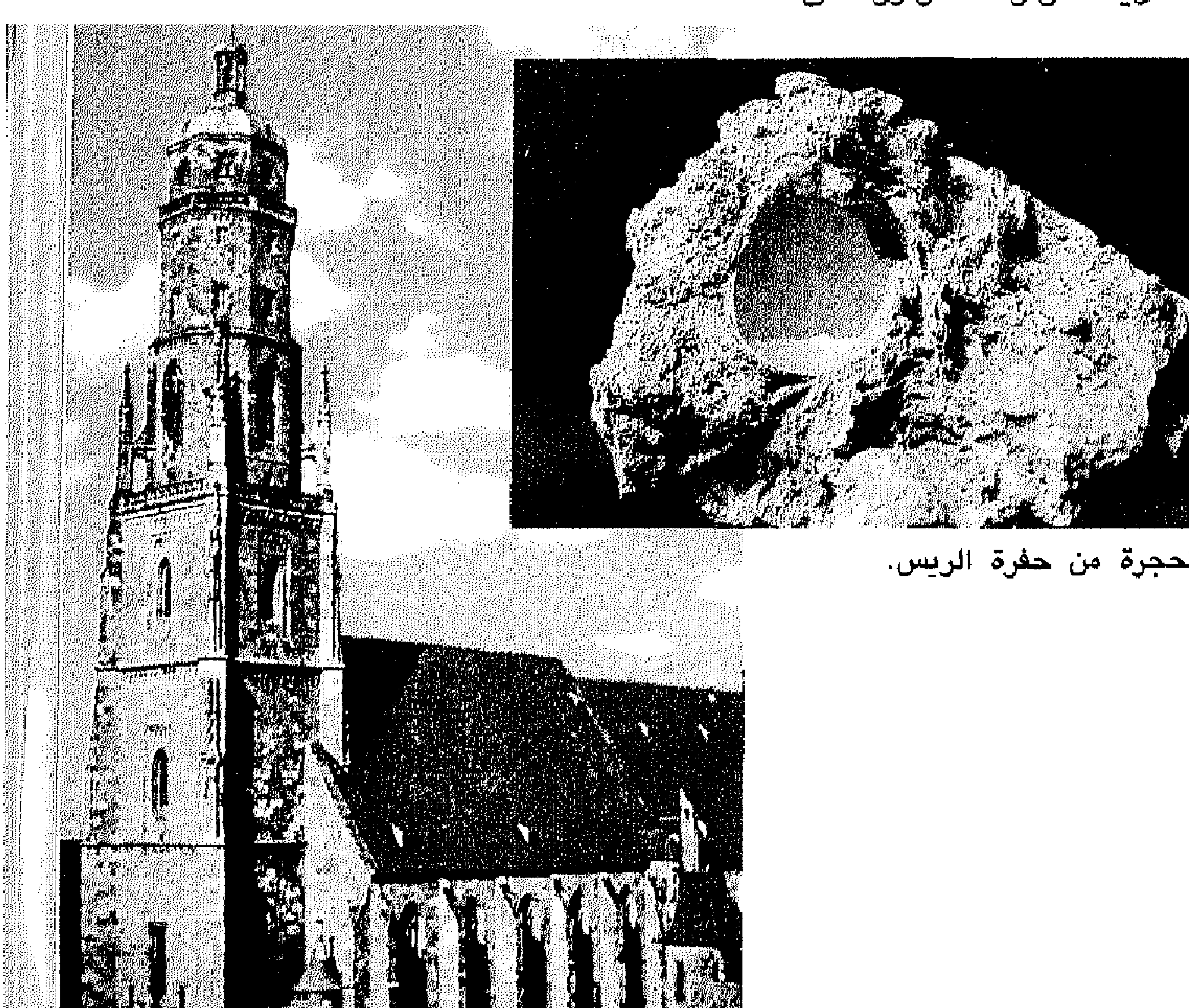
النظرية، وهو جيولوجي ألماني وخبير انفجارات. ففي العام ١٩١١ فجّر شحنة من البارود تحت الارض في نموذج يشبه أرض الريس، فنتجت حفرة تشبه الحفرة الحقيقية كثيراً. وبقيت نظرية الانفجار مقبولة في الكتب المدرسية حتى أواخر الستينات. ولكن نشأت نظرية منافسة لها هي أن اختلاط الصخور كان سببه نهر جليدي من العصر الجليدي رفع صخر السويفيت الى السطح.

ولم يكترث أحد لما ذكره أحد الجيولوجيين الهواة المحليين عام ١٩٠٤ عن نظرية سقوط نيزك. وبعد ٣٢ سنة تبنى هذه النظرية أوتو ستوتزر من فرايبورغ في ساكسوني. لكنه حين عرض فكرته في مؤتمر "الجمعية الجيولوجية الالمانية" قوبل بسخرية كادت تحمله على مغادرة المنبر.

ثم اكتُشف معدن الكويسيت[٤] في أواسط الخمسينات، وهو نوع ثقيل من الكوارتز يكوَّن اصطناعيا في حرارة شديدة الارتفاع وتحت ضغط هائل من ٢٠ ألف بار[٥] على الاقل. وبينت اختبارات الضغط العالي أن لا شيء يسخن

(٤) Coesite

(٥) البار وحدة لقياس الضغط تساوي مليون "داين" في السنتيمتر المربع.



WULF-DIETRICK KAVASCH

بيضة متحجرة من حفرة الريس.

ويسحق على هذا النحو الا قوة خارجية ما، كنيزك ضخم.

حل اللغز. شاء الحظ أن كان أمريكيان من علماء الجيولوجيا هما يوجين م. شومايكر من منلو بارك بكاليفورنيا وادوارد ك. ت. تشاو من ريستون بفيرجينيا، منصرفين الى اجراء ابحاث على حفرة النيزك العظيم في أريزونا بالقرب من ونسلو. ومع أن هذه الحفرة هي الاكثر شهرة في العالم فان قطرها لا يتجاوز الكيلومتر وعمرها ٥٠ ألف سنة، وهي تشبه تلك الحفر على سطح القمر. وفي العام ١٩٦٠ اكتشف العالمان حجر الكويسيت هناك. وفي وقت لاحق من تلك السنة ذهب شومايكر الى كوبنهاغن لاطلاع "المؤتمر الجيولوجي الدولي الحادي والعشرين" على نتيجة أبحاثه، وقرر القيام برحلة الى نوردلنغن.

وصل العالم الجيولوجي عصر ١٧ يوليو (تموز) ١٩٦٠ الى أرضية الحفرة الشرقية بالقرب من أحد المقالع. فأخذ عينات منها عند مغيب الشمس وأرسلها الى تشاو الذي فحصها بالاشعة السينية (إكس) وحدد هويتها على أنها كويسيت. وأخيراً حُلّ "لغز الريس."

شتاء ذري. مرت سنوات أجرى خلالها علماء ألمان وأمريكيون وآخرون تحقيقات ميدانية حول نوردلنغن وأثبتوا الحقائق الآتية:

قبل ١٤،٨ مليون سنة ضرب المنطقة نيزك ساقط على الارجح من حزام الكويكبات ما بين المريخ والمشتري (جوبيتر) ويقدر قطره بحوالى ٨٠٠ متر وسرعة اندفاعه عبر الفضاء ٣٠ كيلومتراً في الثانية. ولدى حفره في الارض ولّد ضغوطاً بلغت عدة آلاف من الكيلوبار[٦] وحرارة بلغت عشرات آلاف الدرجات المئوية، فتبخر حوالى خمسة كيلومترات مكعّبة من الحجار وذاب أكثر من ١٠٠ مليار طن من الصخور، ونتجت غيمة من الغاز والغبار تشبه نبتة فطر ارتفعت ٢٠ كيلومتراً على الاقل.

فقضي للحال على كل النبات والحيوان في دائرة قطرها مئات الكيلومترات، ويؤكد بعض العلماء أن "شتاء ذريا" تبع ذلك. يقول البروفسور هانز هرمان شليخ من معهد البليونتولوجيا (علم الاحاثة) والجيولوجيا التاريخية في جامعة ميونيخ: "ان غياب متحجرات التماسيح والسلاحف العملاقة في بافاريا وسوابيا حيث عاشت بكثرة الى ما قبل نحو ١٥ مليون سنة، يحتمل أن يكون بسبب هذا الحادث الكوني."

سببت الغيمة أمطاراً جارفة، وغيّرت الصخور المقذوفة مجرى النهرين الصغيرين فورنيتز وإيغر. وغدا تصريف المياه صعباً، فتجمع الماء والطين في الحفرة التي تحولت بحيرة. تقول يوهانا غنكبوش مديرة متحف مدينة نوردلنغن: "لم يكن للبحيرة منفذ، فازدادت كمية الملح. وعلى مدى مليوني سنة امتلأت

(٦) الكيلوبار يساوي الف بار.

البحيرة ترسّبات، منها بقايا نباتية وحيوانية. لذلك لا تبدو ريس نوردلنغن حفرة نموذجية."

حطام فضائي. عام ١٩٧٠ قررت وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) ارسال ملاحي "أبولو" الى الحفرة للتدرب ميدانياً. فأتى آلن شيبرد وادغار ميتشل، وكلاهما شاركا في رحلة "أبولو ١٤" ونزلا على سطح القمر، ويوجين سرنان من رحلة "أبولو ١٧"، وجو إنغل قائد المكوك الفضائي "كولومبيا" الثاني. يقول البروفسور ديتر ستوفلر، مدير معهد علم الكواكب في جامعة مونستر الذي أرشد الملاحين هو وعلماء ألمان آخرون: "لقد تعلموا عما يبحثون على القمر، كما تمرنوا على أخذ عينات صخرية."

حين عادت "أبولو ١٤" من رحلتها تبين أن بعض عينات الصخور التي جلبها الملاحون معهم كانت في كثير من النواحي شبيهة بصخر السويفيت من حفرة الريس. يقول الجيولوجي كافاش: "في غضون ذلك كُتبت تقارير علمية لا تحصى عن الريس لانها تعطي مثالا حسياً عما حدث على الارض والقمر والكواكب في العصور السالفة."

فعلى سبيل المثال، ارتطمت بالقمر وبكوكب عطارد نيازك أكثر من تلك التي ضربت الارض وكوكب المريخ، اذ ليس للأوّلين غلاف جوي تحترق فيه غالبية النيازك الصغيرة قبل ارتطامها بسطح الكوكب. والى ذلك فان المياه تغطي ٧١ في المئة من سطح الارض، وغالبية الاجسام الفضائية الكبيرة تسقط في المحيطات ولا تترك أثراً. ويقول ستوفلر: "لا يزال الحطام الفضائي يضرب كوكبنا على الدوام، فيسقط منه نحو ٢٠ طناً يومياً في شكل غبار. وتبقى قطع في حجم كرة قدم، لكنها نادراً ما تسبب أي ضرر."

شاهد حي. من خلال البحث الدقيق والتصوير الفوتوغرافي من الجو وبواسطة الاقمار الاصطناعية، تم اكتشاف مزيد من الحفر التي تحاكي فوهات البراكين. وتبين خريطة العالم حاليا نحو ١٢٠ حفرة ارتطام نَيْزكي. ففي مقاطعة كيبيك بكندا، مثلا، حلقة مائية تدعى "خزان مانيكواغان" حول جزيرة قطرها ٥٤ كيلومتراً. وتظهر صور الاقمار الاصطناعية ان هذه "البحيرة الحلقية" هي ما تبقى من حفرة واسعة أحدثها كويكب صغير سقط قبل أكثر من ٢٠٠ مليون سنة.

وقصة حفرة الريس مدوّنة في متحف افتتح في نوردلنغن في شهر مايو (أيار) ١٩٩٠، وهو أحد المتاحف القليلة المخصصة كليا للنيازك والحفر وظواهر النظام الشمسي. وجوهرة المتحف الاغلى محفوظة داخل زجاج لا يخترقه الرصاص وحراستها مؤمنة الكترونيا، وهي قطعة صخر من القمر تزن ١٦٥ غراماً مستعارة من "ناسا."

يقول كافاش صاحب فكرة انشاء

متحف "ريسكراتر": نحن نعرض أيضاً أفلاماً وثائقية، وشرائح (سلايد) لصور التقطتها الاقمار الاصطناعية لحفر مختلفة، وأشياء للّمس، ونموذجاً للنظام الشمسي. ويجد الجيولوجيون الهواة معروضات غنية من الصخور، وفي امكانهم الحصول على معلومات عن "الخط الجيولوجي" الذي يؤدي الى مقالع الريس. فهناك يشاهدون بأنفسهم كيف قُلبت قشرة الارض قبل نحو ١٥ مليون سنة، كما يمكنهم أن يكسروا رقاقات صغيرة من وجه الصخور لأخذ عينات من السويفيت."

وأنا أيضاً أخذت قطعة صغيرة من الحجر النادر أحتفظ بها في منزلي. أخذتها بيدي فدهشت لروعة تركيبها المعقد من الصخر البلوري وخيوط الزجاج. يقول شومايكر: "حفرة الريس حقل اختبار لدراسات حفر الارتطام النيزكي، وهي ساهمت كثيراً في معرفتنا عن الفوهات المنتشرة على سطح القمر."

جون دورنبرغ ■



"احذروا الكلاب"

مهما قيل في الكلاب، فانها طيّعة سهلة الانقياد، وحريّ بنا ان نخجل من الاعمال التي ندفعها الى تاديتها. حين اقرأ على بوابة دارة فخمة عبارة "احذروا الكلاب" اتصوُر صاحب الدار مكشراً عن انيابه يعدو نحوي على قوائم اربع وهو يرغي ويزبد.

ب.غ.

ثمن الشهرة

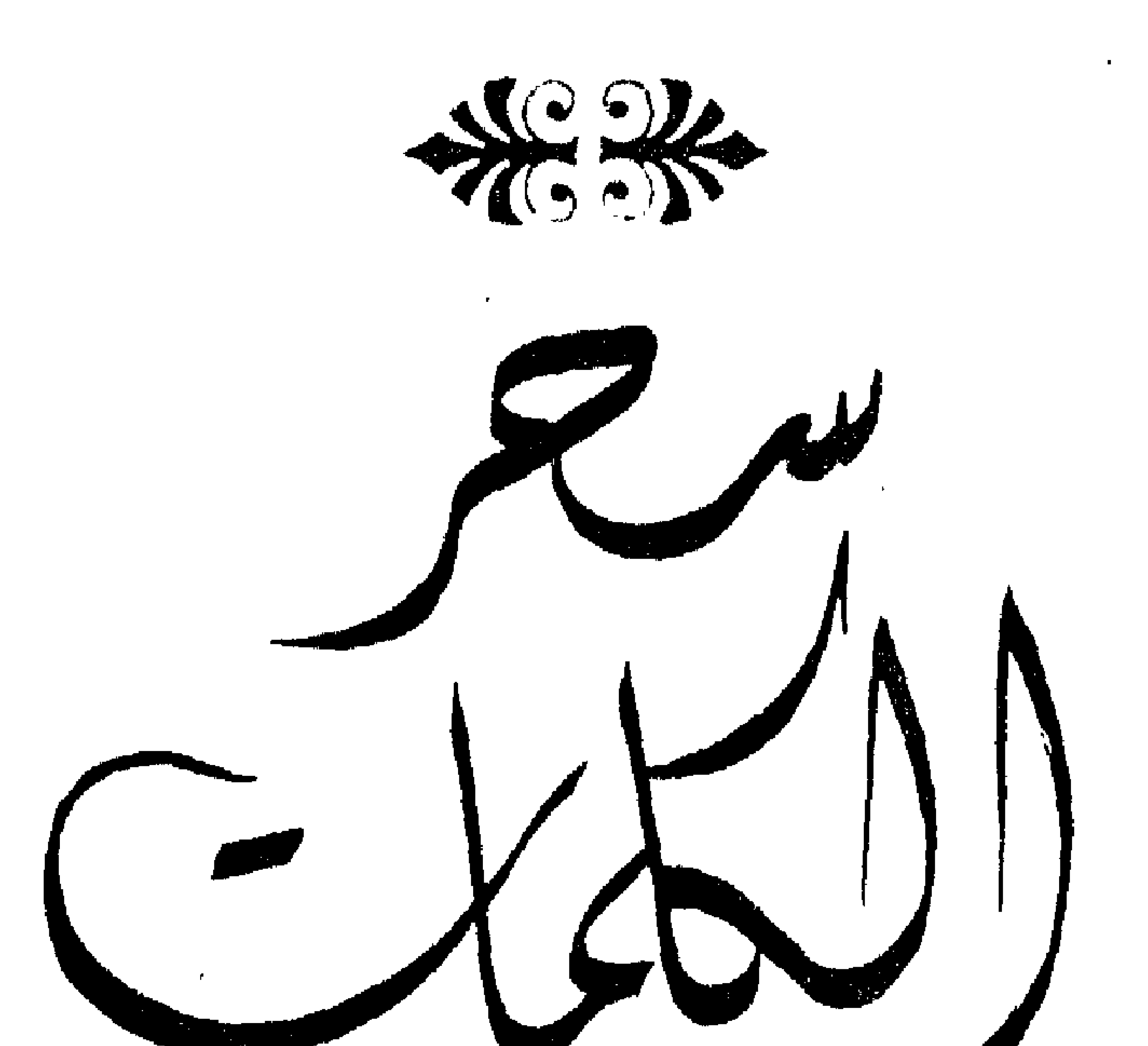
ان للشهرة سيئاتها. يتذكر الكاتب اريك أورسنا الحائز جائزة "غونكور" للعام ١٩٨٨: "ذات يوم توقفت عند اشارة المرور، فعرفني احد السائقين. فانتظر الى ان تحولت الاشارة خضراء، وعندئذ انزل زجاج نافذته وصاح في وجهي: "انا اكره كتبك."

صحيفة "لو فيغارو"، باريس

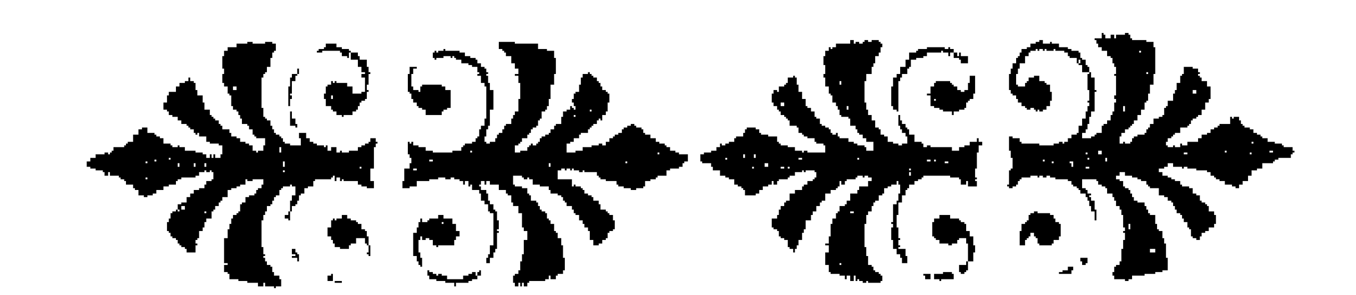
لا تحبّوا!

يدعونا بعض الحكماء الى عدم الزواج عن حب لان الحب زائل لا يدوم. ويشبه ذلك نُصْح الاطباء إيانا بعدم النوم لاننا سنستيقظ بعد قليل. لكن الرجل الذي ينام يستيقظ بمزاج افضل. والزوجان اللذان صهرهما شغف الحب ينعمان بـ"موارد" اوفر كثيراً من تلك التي ينطوي عليها الزواج المبني على العقل. المحبة تولّد الحنان الذي يدوم بعد ان تخمد جذوة الشهوة.

ك.ر.



بضع كلمات بسيطة قد تدوم الى الأبد



"يمكنك القيام بذلك"

تقيم في مدينة فوجيساوا باليابان امرأة اسمها أتسوكو سايكي. كان حلمها وهي في سن المراهقة زيارة الولايات المتحدة الأمريكية، وقد اكتسبت معلوماتها عن أسلوب الحياة هناك من خلال الكتب، فهي تقول: "كانت في ذهني صورة أب قاعد في غرفة الجلوس، وأم تخبز الكعك، وقد خرجت ابنتهما المراهقة الى السينما مع أصدقائها."

انتسبت أتسوكو الى جامعة كاليفورنيا. لكنها لم تجد يوم وصولها عالم الأحلام الذي تراءى لها. تقول: "كان الناس يصارعون المشاكل وقد بدا عليهم التوتر معظم الأحيان. فشعرت بوحدة طاغية."

وكانت الرياضة البدنية احدى أصعب المواد التي صادفتها: "كنا نمارس رياضة الكرة الطائرة. وقد أجادتها رفيقاتي جميعهن لكنني لم أبرع فيها."

أوكل المدرب الى أتسوكو مرة مهمة ضرب الكرة الى زميلاتها في الفرقة لكي يقذفنها فوق الشبكة. لم يكن هذا الأمر ذا أهمية بالغة بالنسبة الى معظم الناس، لكنه أثار الهلع في نفس أتسوكو التي كانت تخشى الشعور بالخزي اذا فشلت.

أحست فتاة في فريقها بما ينتابها. وتذكر أتسوكو: "مشت الي وهمست: هيا، يمكنك القيام بذلك."

وتتابع: "لا يمكنكم أن تتصوروا كم أثرت فيَّ كلمات التشجيع هذه. كلمات ثلاث فقط: يمكنك القيام بذلك. تمنيت آنذاك أن أبكي تعبيراً عن فرحي."

ونجحت أتسوكو في مهمتها ذلك اليوم. وبرعت في لعبة كرة الطائرة مذ ذاك.

ومرت ست سنوات وعادت أتسوكو الى اليابان، وهي اليوم في السابعة والعشرين من عمرها وتعمل موظفة في متجر، تقول: "لم أنسَ أبداً هذه الكلمات. انني أفكر فيها كلما ساءت أموري."

وهي متأكدة أن تلك الفتاة غير عليمة بالمعروف الذي أسدته اليها: "ربما لا تتذكر الحادث البتة."

لكن في الأمر عبرة. فكلمات المرء ترافق سامعها الى درجة لا يمكن تصورها، سواء أكانت قاسية أم لطيفة.

ها هي أتسوكو الآن بعيدة في اليابان، لكنها لا تزال تسمع هذه الكلمات الثلاث البسيطة: "يمكنك القيام بذلك."

قصيدة الى شرطي

رجال الشرطة يبكون. لكن أفلام السينما وبرامج التلفزة تصورهم رجالا قساة، لذا اختلف اقتناع الناس في شأنهم.

في ٢٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ أصيب جاي برونكيلا، وهو شرطي من شيكاغو، برصاصة أثناء دهم عصابة مخدرات، وتوفي على الأثر. وبعد فترة وجيزة عاد زميله الشرطي كين نابسك الى منزله فوجد على المائدة رسالة من ابنته وعمرها ١٥ عاماً، جاء فيها:

"أبي. هذه القصيدة نبعت من قلبي. أحبك كثيراً. ويخيفني، كما يدهشني، ذهابك كل يوم مخاطراً بحياتك لكي توفر لنا كل ما نملك. كتبتُ هذه الكلمات تعبيراً عن مدى حبي لك ومدى ضياعي لو فقدتك. لورا."

كان عنوان قصيدة لورا "الشرطي المثالي." وهي مهداة "الى جميع رجال الشرطة في العالم ممن لهم بنات يحببنهم ملء قلوبهن... وخصوصاً الى والدي." وتحكي القصيدة قصة ابنة شرطي علمت بمصرع والدها في نشرة الأخبار التلفزيونية. وجاء في أحد المقاطع: "أبي، يا أبي، هل تسمعني أبكي؟ يا رب، أنا في حاجة الى أبي. أرجوكم، لا تدعوه يموت!"

وقف كين نابسك وحيداً يقرأ القصيدة. وهو يقرّ: "قرأت قسماً منها واضطررت الى التوقف قبل أن أتمكن من متابعتها. كنت أبكي. فابنتي لم تذكر لي يوما أنها تخاف."

وفي اليوم التالي حمل كين القصيدة الى دائرة الشرطة ليقرأها زملاؤه. يقول: "لم أشاهد من قبل بكاء هذا العدد من الرجال الناضجين. لقد عجز بعضهم عن اكمال قراءتها."

يحتفظ نابسك بقصيدة لورا في جيب سترته، فيحملها معه كلما غادر المنزل.

يقول: "لا أريد الخروج من دونها. وأظنني سأحملها معي الى الأبد."

"أخبار العائلة"

يفرض علي عملي قراءة كثير من المنشورات، لكن أحبّها الى قلبي مجلة "أخبار العائلة." ومحررتها تدعى هيذر كوك من ليل بولاية ايلينوي، وعمرها ١٣ عاما.

ترى هيذر أن على جميع أقربائها متابعة أخبار أفراد العائلة. لذلك تعدّ "أخبار العائلة" كل بضعة أشهر فتسحب عنها والدتها خمسين نسخة ترسلها في البريد. يتلقى هذه النسخ ٧٣ شخصاً موزعون على تسع ولايات وتـراوح أعمارهم بين الرابعة والرابعة والتسعين. وقد شدت هذه المجلة أواصر عائلة هيذر على نحو تفتقده معظم العائلات.

ما يجعلني أحب "أخبار العائلة" لهجتها. فمعظم المنشورات الأخرى تشعرني بالقنوط لما توردها من حكايات عن القسوة الانسانية، لكن "أخبار العائلة" قادرة دائما على رسم ابتسامة على وجهي. وهاكم بعض النماذج من موضوعاتها:

"كيفن يتبوأ المركز الأول في فريق الغولف. انه سعيد!"

"ظهرت سن ثانية في فم مات. وهو يدبّ على الارض الى حيث يريد."

"جذتي، لقد جمع هيذر وكيفن أوراق الأشجار وحرقاها في الفناء الخلفي، فتصاعد الدخان حتى بلغ الطريق."

"ابتاع ستيف شاحنة جديدة. لونها أزرق قاتم وتمكن الاقامة فيها."

تقول جين ألتندروف والدة هيذر: "بدأت هيذر إصدار أخبار العائلة وهي في السابعة من عمرها. ولم أكن أتوقع لهذه الصحيفة الديمومة. لكن يبدو أنها تعني الكثير لها ولجميع أفراد عائلتنا. فهي الرابط بينهم. وقد تبرع صهري طوم بثمن الطوابع البريدية لارسالها. أما عمي فرانك، الذي لم يكتب يوما الى أحد، فقد بعث برسالة الى هيذر يطلب منها الاستمرار في إصدار الصحيفة لأنها تحمل أهم ما يتلقاه من أخبار."

لا تجد هيذر عملها شاقاً أو واجباً مملاً، بل تقول: "انه ممتع. وأنا أتصل بالاقرباء كلما سنحت لي الفرصة لكي أسأل عن أي جديد فأنشره في العدد التالي. والامر المفضل لدي هو سماع ما تعنيه هذه الصحيفة لعائلتي. أخطط للاستمرار في هذا العمل حتى أصبح مسنّة حقا، كأن أبلغ الثامنة عشرة."

لحظة حياة

كانت المناسبة مناقشة عامة شارك فيها نحو مئتي شخص. تداول الخطباء موضوع المناقشة خلال أربعين دقيقة، ثم جلسوا لسماع أسئلة الجمهور. فكان الرجال والنساء يطرحون جميع أنواع الأسئلة التي تخطر ببالهم فيجيبهم عنها الخطباء. وكان أن حان موعد اختتام المناقشة، فاقترح رئيس الجلسة على الحضور طرح السؤال الأخير.

وقف عندئذ رجل في السبعينات كان يجلس في الصف الأمامي. وقال انه لا يريد طرح سؤال بل يود سرد حكاية. ثم التفت الى الجمهور وبدأ يتحدث. بدا رجلاً محبباً، لا صخّابا ولا بغيضاً، لكن قصته المفككة لم تكن مختصرة على الاطلاق، ومرت الدقائق وهو يروي: "... وكانت هناك ساعة كبيرة خارج المخزن..."

شعر الجميع برغبة في حصول شيء ما يُسكت الرجل، لكن أحداً لم يود أخذ مبادرة. فكيف يعالَج مثل هذا الوضع؟ أراد الناس الذهاب الى بيوتهم، وكان في امكان الخطباء على المنصة وضع حد لحديث الرجل، ولكن من يقدم على عمل قاس كهذا؟ فقد بدا الرجل جدياً ويكبر الجميع سناً. وهو تابع روايته: "... فسأل أحدهم الرجل في المخزن عن عمله..."

غادر المكان خمسة أشخاص أو ستة وظل الباقون يتململون في مقاعدهم. وكان هناك احتمال أن يبدأ الحاضرون يهزأون منه أو أن يغادر القاعة عدد أكبر. وبدا أن الرجل غافل عما يجري.

كانت تجلس بالقرب منه امرأة في السبعينات من عمرها أيضاً، ربما كانت زوجته. ترى هل تقدم المرأة على شدّه من كم قميصه فتحمله على الجلوس؟ الا أن النظرة في عينيها أوضحت أن رواية تلك الحكاية حاجة ملحة بالنسبة الى الرجل.

لم تكن تلك سوى غرفة واحدة في مبنى واحد في مدينة واحدة. ومجرى الاحداث الانسانية لن يتغير اذا ما أسكتت الرجل صيحات استهجان او اذا ما غادر الحاضرون القاعة جميعاً. فالأمر ليس مهماً في نظرة شاملة الى الأمور، لكنه بدا مهماً في هذه الغرفة بالتحديد. فالرجل كان في حاجة الى مخاطبة الآخرين لسبب من الأسباب، وقد أدرك الحاضرون حاجته واحترموها.

وعلى حين غرة أنهى الرجل حكايته، تماماً كما بدأها، وانحنى لجمهوره. خيم الهدوء للحظات، ثم بدأ الخطباء يصفقون على المنصة. وفهم الحاضرون مغزى الاشارة، وفي غضون ثوان راح الجميع يصفقون. فغرق الرجل في هذا النعيم وابتسمت زوجته.


بعد انتهاء المناقشة، أزيحت الكراسي وتوجه الجميع الى منازلهم. كانت تلك لحظة صغيرة على مسرح الحياة.

بوب غرين ■

عيد "لويز"

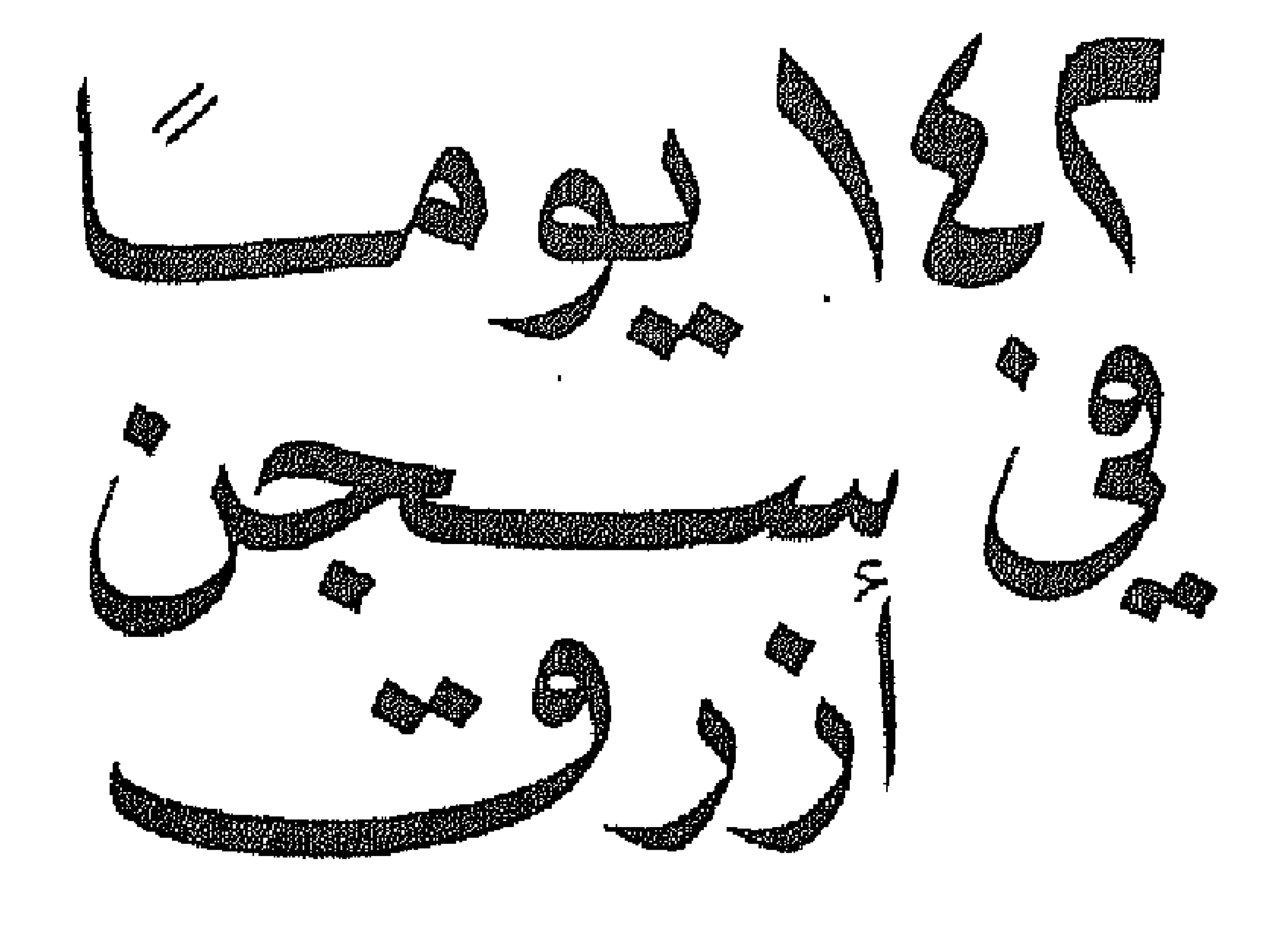
انتسبت الى صف لتعليم اللغة الفرنسية. فاطلقت مدرِّسة المادة على كل طالبة اسماً فرنسياً، فكان اسمي لويز. ويوم عيد ميلادي احضر لي زوجي قالب حلوى كُتب عليه على سبيل المزاح: "٢٨ سنة!عيد سعيد يا لويز." فنظر ابني الى القالب ثم الي وقال بحزن: "لا بأس يا أمي، على الاقل هي في عمرك."

ل.ك.


كتاب الشهر
١٤٢ يوماً
في سجن
أزرق
ملخص من كتاب
"خمسة يصارعون البحر
قصة شجاعة وصمود"
بقلم رون ارياس



بحارة المركب "كايرو – ٣"
(من اليمين): باستور لوبين، جويل عمر غونزاليس، جيراردو أوبريغون، خوان بوليفار وهورهي هيرنانديز.



١٤٢ يومًا في سجن أزرق

تلك كانت مشيئة الله، وذلك كان قدرهم، أن يكافحوا بمرارة للبقاء على قيد الحياة. ذلك ما علّلوا به أنفسهم، أولئك الصيادون المنهكون في مركبهم التائه وسط العواصف الهوجاء.

أيقظت الأخطار المحدقة في صدورهم روح التحدي والعزيمة والتضامن، فكانوا يتقاسمون الماء والطعام والعمل والآلام والدموع والرجاء، بل كانوا مستعدين حتى لتقاسم الموت، لكنهم تعاهدوا على أن يموتوا مناضلين.

صباح الاحد في ٢٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ حدَّق القبطان جيراردو أوبريغون عبر النوافذ البلاستيكية الكثيفة في قمرة قيادة المركب "كايرو – ٣." فشاهد الأمواج تتلاحق سلسة هادئة، والجو صافيا. كان وبحارته الاربعة يصطادون السمك منذ خمسة أيام في المياه العميقة قبالة ساحل كوستاريكا. لكن حظهم كان عاثراً والصيد ضئيلا محبطاً كما في الرحلتين السابقتين. لكن القبطان جيراردو (٣٢ عاما) اذ أجال بصره

متجهماً في مياه المحيط الهادىء المنبسط أمامهم، صمّم على تفادي تكرار الاخفاق ما استطاع الى ذلك سبيلا.

وفيما المركب يبتعد أكثر عن الشاطىء، سمع جيراردو عبر الجهاز اللاسلكي تقريراً من مركب صيد آخر مفاده أن بحارته عائدون جذلين الى الميناء ومعهم ٢٧٠٠ كيلوغرام من السمك صادوها قبالة رأس بونتا غيونس. وأرفق التقرير بتحذير من اشتداد الريح التي كانت تهب "على نحو غريب."

وللحال يمّم جيراردو صوب بونتا غيونس. وهناك أسرع البحارة الى رمي شبكتهم البالغ طولها ٦٠٠ متر.

صباح اليوم التالي تعاظمت الامواج وزخرت الشبكة بالسمك، فراح البحارة يشدونها الى المركب مكافحين لحفظ توازنهم على متنه الذي ما عتم أن امتلأ بالاسماك، ومنها قروش ضخمة بلغ طول بعضها مترين. وتكدَّس السمك حتى كاد الرجال لا يجدون متسعاً للتحرك. فقال جيراردو مسروراً: "لقد فعلناها هذه المرة."

بلغ ما التقطوه في ذلك المكان ٥٥٠ كيلوغراماً، فارتفع مجموع صيدهم الى ١١٠٠ كيلوغرام، وهو أكثر مما تغلّه عادة رحلة تدوم ثمانية أيام. ومتى تقاسموا ثمن الصيد فسيحصل صاحب المركب على ٩٠٠ دولار وجيراردو على ٣٠٠ وكل من البحارة على ١٥٠ دولاراً. واذا حالفهم الحظ يومين آخرين فسينالون ضعفي هذه المبالغ.

هنأ جيراردو الجميع، وبدا جذلا هو المتّسم عادة بالرزانة والهدوء. وهتف بصوته الأجشّ: "أخيراً ربحنا ورقة يانصيب! انه لصيد عظيم!"

مع الظهر اشتد النوّ، فولج البحارة الجائعون المنهكون قمرتهم لتناول الغداء الذي هيأه لهم الطاهي خوان بوليفار (٤٦ عاماً) أكبرهم سناً. واشتمل الغداء على البطاطا والرز والدجاج والفاصولياء.

أدار جيراردو جهازه اللاسلكي محاولا التقاط نشرة جوية عن حال الريح الشمالية "إل نورتي" التي تهبّ عادة غير مصحوبة بأمطار وتدفع الامواج الى ارتفاع ١٢ متراً.

فجأة هتف باستور لوبيز (٣٠ عاماً) الذي كان في الخارج، اذ شاهد مركبي صيد على بعد حوالى كيلومترين: "يبدو أنهما عائدان!"

فخرج جيراردو لكي يتحقق الخبر، وقال: "لا، لا، ان نظرك ضعيف، فهما باقيان."

فرد باستور قلقا: "لا أظن ذلك. ما رأيك في العودة الى الشاطىء؟"

وقال هورهي هرنانديز (٢٦ عاماً) أصغر البحارة سناً، مبديا مخاوفه: "الريح تعصف بشدة."

فرد جيراردو متطلعاً من فوق ذرى الامواج الداكنة الى الشاطىء البعيد: "لقد مرّ علي أسوأ من ذلك كثيراً."

فهتف خوان، الاكبر سنا: "أما أنا فلم أرَ في حياتي أسوأ من هذا الاعصار، وقد كنت هنا أصطاد السمك قبل أن تولد أنت."

فرد جيراردو بحدة: "كفى! هذا المكان ليس للمتخاذلين الجبناء. سنمضي هنا ليلة أخرى ونرحل صباح غد."

وعاد القبطان الى قمرة القيادة فيما استمرّ البحارة في التذمر. وأخيراً قر رأيهم على أنه ربما كان أجدى لهم البقاء ليلة أخرى لجمع صيد وافر كالذي حظوا به الليلة السابقة، فيصبحوا "أثرياء." انها ليلة واحدة فحسب.

ريح غاضبة

قبيل الثامنة مساء دخل البحارة مخادعهم للنوم. ونظراً الى ان الشبكة تقوم مقام مرساة، فقد اطمأنوا الى انهم لن يجنحوا بعيداً.

ازدادت الأمواج ارتفاعاً وأخذ المركب يتمايل بعنف، فحُرم البحارة النوم على رغم عيائهم. وغمرت المياه سطح قمرة القيادة وتسرّبت الى الداخل من خلال شقوق.

وكان البحار جويل عمر يردد: "الحال مريعة حقا."

فيهيب باستور برفاقه أن يصلّوا.

أما جيراردو فأصاخ بسمعه متنصتاً الى صرير المركب وهو يصارع الأمواج، لكي يستشف ما اذا كان ثمة تحطم أو تمزق في أي من أجزائه.

قرابة منتصف الليل ساد المركب فجأة هدوء مريب، لكن الرجال ظلوا يسمعون صفير الرياح. وبدا أن الأمواج الثائرة سكنت. قال جويل: "الحمد لله، يبدو أن العاصفة هدأت." وما هي إلا بضع دقائق حتى استسلم الجميع للنوم.

في الرابعة فجراً هبّ جيراردو من مخدعه وتلمّس خطاه في الظلام وفتح الباب الخلفي، فرأى أن الأمواج تعاظمت لكن حركة المركب ما زالت سلسة. فتساءل: "تُرى هل هدأت الريح؟"

وأصغى الى صوت الشبكة التي تضرب مقدم المركب عادة. ولما لم يسمع شيئاً هرع خارجا الى مقدم المركب وهو ممسك بالحاجز على متنه، وانحنى مستكشفاً فوجد أن الشبكة أفلتت.

عاد جيراردو الى الحجرة وأيقظ البحارة معلنا: "الشبكة أفلتت، ولا ريب في أنها تمزقت."

فوثب البحارة الاربعة من مهاجعهم. وقال هورهي: "ربما استطعنا العثور عليها."

أدار جيراردو المحرك وسلّط الانوار الكاشفة موجها مقدم المركب الى صدر الموج وقال: "سنبحث عنها، وان لم نجدها فسنعود الى الشاطىء."

تبادل الرجال نظرات القلق وهم يناضلون لحفظ توازنهم على متن المركب المترجرج. وصاح بهم جيراردو محذراً لكي يتمسكوا بأي شيء تحسباً لموجة عملاقة مندفعة نحوهم. فارتمى هورهي وباستور على الارضية، وتسلّق خوأن الى مهجعه، وتمسك جيراردو وجويل بدفة القيادة. وقبل أن تضربهم الموجة الجبارة غطس مقدم المركب في الماء، فخيم الظلام وغاب كل شيء.

في هذا الوقت كان الأفق الشرقي يتوهج بحمرة الفجر الطالع.

"لا تذهب يا أبي"

قبل أيام من بدء الرحلة ساور البحارة قلق حول متانة المركب "كايرو – ٣"، اذ انهم كانوا اكتشفوا، وهم في الميناء في مدينتهم بونتاريناس، ثقوباً في هيكل المركب بثخانة أصابع اليد، حفرتها قشريات بحرية في الخشب على الجانبين وقريباً من المقدم. وكانت الشقوق أسوأ حالا في الألواح الخشبية العليا المعرَّضة للشمس والقريبة من المؤخر. فأسرع الرجال الى سدّها بخيوط القنب. الا أن القلق لم يفارقهم.

وكان جويل (٢٧ عاماً) وعد امرأته بأن تكون هذه خاتمة رحلاته اذا حالفهم التوفيق، اذ اعتزم تأسيس مصلحة خاصة يفيد فيها من دراسته الثانوية.

كذلك أمل باستور التخلي عن صيد السمك وسيلة لكسب العيش في أيام العطل. وكانت هذه رحلته الثالثة على المركب "كايرو – ٣" وقد صمم على أن تكون الاخيرة. وكان لا يزال قلقاً، اذ لاحظ وهو يحرس المؤونة على متن المركب عشية الانطلاق ان المياه تتجمع تحت حجرة المحركات بمقدار ينذر بالخطر.

قال له ابنه الصغير ساعة الوداع: "لا تذهب يا أبي."

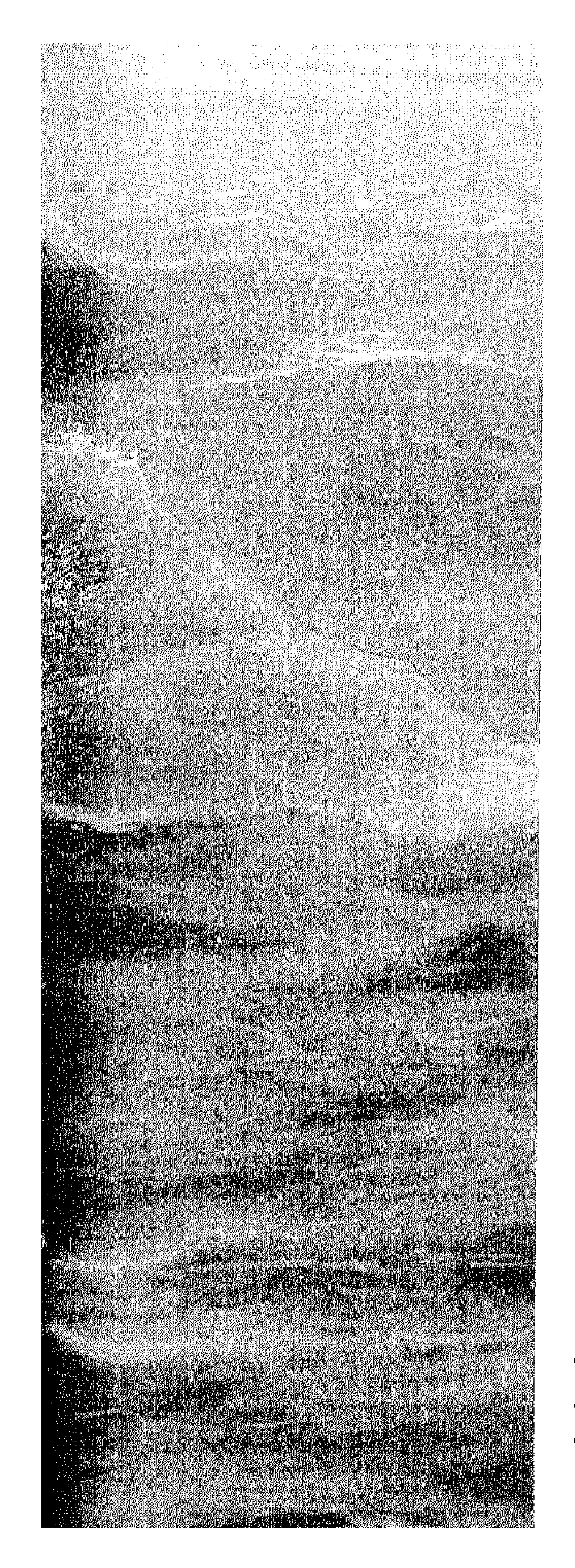
فرد مطمئناً: "اصغ اليّ يا بنيّ. أعدك بأن تكون هذه رحلتي الأخيرة. لذا أريدك أن تصلي من كل قلبك لكي يوفقنا الله. فهل تفعل ذلك من أجلي؟"

أومأ الصبي برأسه، فقبّله باستور وعانق زوجته وحمل كيسه وودعهما مبتسماً.

بعيد الظهر تهيأ البحارة للانطلاق. فعلى رغم الشقوق البادية كان المركب صلباً متين البناء. فطوله تسعة أمتار، وهو يضم حجرة تتسع لستة مهاجع ومطبخاً صغيراً وخزانة طعام. وكانت دفة القيادة في المقدم من الخشب، وثمة باب يؤدي الى مؤخر المركب حيث يخزن السمك في ثلاجة كبيرة تعلوها ظلّة متينة من الخشب المعاكس.

كان الجو صافياً والهواء رطباً دافئاً. واستعدّ البحارة للانطلاق عبر القناة المؤدية الى عرض البحر. ونادى مالك المركب، كارلوس رحمان، من الرصيف: "يبدو أن كل شيء على ما يرام، أليس كذلك؟"

فأجاب جيراردو: "بلى... حتى الآن."




فلوّح رحمان بكلتا يديه مشجعاً والقلق باد عليه: "ترفّقوا بالمركب في هذه الرحلة. وعندما تعودون سنجري له فحصاً كاملا يشمل الشقوق والمحرك وكل جزء."

فغمغم باستور من تحت الظلة: "بكل تأكيد، ترفقوا به يا شباب، ولكن عليكم أولا تلاوة صلواتكم الاخيرة." وكان خوان واقفا الى جانب باستور يلف حبلا، فحملق فيه مستطلعا مغزى كلامه وقد خامره الخوف. قربت باستور كتف زميله قائلا: "لا تقلق أيها العجوز، انني أمزح."

وفيما انطلق المركب في القناة لوح جويل بيديه مودعاً زوجته وبناته الواقفات على الرصيف. كذلك فعل باستور الذي "طيّر" قبلة الى زوجته وابنه الذي وقف يهز رأسه راجياً أن يحجم والده عن الذهاب. واذا بسحابة عابرة تلقي ظلاً قاتماً على المركب "كايرو - ٣." فتشاءمت زوجة باستور وضمت ابنها اليها. وما لبث المركب أن انعطف في آخر القناة وتوارى.

مصارعة الامواج

وصلت الموجة الجبارة التي نبّه اليها جيراردو وضربت جانب المركب، فصاح جيراردو: "هيا ننزح الماء!" فهرع الجميع الى الدلاء لغرف الماء الذي غمر أقدامهم. وتعاظم ارتفاع الموج حتى بلغ بعضه تسعة أمتار وأخذ يتقاذف



المركب كدمية، فما ان يرتفع من وهدة حتى تبتلعه موجة أخرى في قرارة غورها.

رأى جيراردو الأمواج المزبدة تضرب مقدم المركب من الجانبين، فراح يدير الدفة محاذراً أن يُضرب المركب جانبيا ثانية. فلو حدث ذلك وانقلب المركب فلن يكون لهم أمل بالنجاة.

منذ صباح الثلثاء في ٢٦ يناير (كانون الثاني) وحتى الاولى بعد الظهر والأمواج الجبارة تتتالى وجيراردو منتصب يدير عجلة القيادة مكافحاً لتوجيه المركب نحو الشاطىء. وهو اعتاد الصيد والشاطىء دائماً في نطاق رؤيته، لذلك لم يكن في حاجة، خلال الابحار، الى سوى نظر جيد وبوصلة. لكنه في هذا النهار، حتى عندما كان المركب يرتفع الى أعلى ذرى الموج، لم يشاهد الا امتداداً غير متناه من الامواج المتدافعة الكاسحة تحت سماء زرقاء. فأين الشاطىء؟ وكم يبعد عن المركب؟ اذا طال الأمر على هذه الحال فانه يخشى نفاد الوقود، وتلك هي الطامّة الكبرى.

أخيراً سلَّم جيراردو قيادة المركب الى جويل الذي ظل يكافح طوال فترة بعد الظهر. وفي الخامسة مالت الشمس نحو المغيب فأشعل أحدهم الضوء في الداخل. وحاول جويل تبيّن ما في الخارج من خلال النافذة البلاستيكية، لكنه فوجىء بموجة شامخة دهمتهم ودفنتهم في طياتها.

ضربت الموجة بعنف فحطمت الباب والنوافذ الأمامية ورمت جويل أرضاً وأغرقت حجرة النوم وحجيرة المحرك. وتمسك الرجال بما طالته أيديهم، لكن المركب مال الى جنبه ثم استقام وأخذ يغرق.

علا صياح الرجال واستماتوا في نزح الماء عبر النافذة والباب الخلفي وبالوعة المطبخ. وعمد جيراردو وجويل الى دقّ مسامير كبيرة في هيكل المركب وفي الابواب والنوافذ الأمامية لتثبيتها وتفادي تدفق المياه. وفي أقل من نصف ساعة نزح البحارة من المياه ما أبعد خطر الغرق. وكانت أجسادهم شبه العارية تلمع في الضوء الخافت وهم يروحون ويجيئون عاملين كآلات.

وما لبثت أن ضربتهم موجة عاتية كالاولى عنفاً، فاقتلعت النوافذ والابواب وبعثرت مساميرها. فتدفقت المياه الى حجرة المهاجع. وكاد المركب ينقلب ثانية، فعاد الرجال يصرّفون المياه بهمة لا تعرف الكلل. وظلوا على هذا المنوال ثلاث ساعات متواصلة وهم يصارعون الأمواج في سباق يائس مع الغرق.

ولا بد ان فكرة جالت في رؤوسهم جميعا: إن تكن موجتان هائلتان غمرتاهم وكادتا تغرقانهم، فماذا لو اجتاحتهم دفعات متلاحقة من أربع موجات عاتية أو خمس؟

قرابة الثامنة هدأت الامواج الغاضبة قليلا، فطلب جيراردو من الرجال أن يرتاحوا، وأخبرهم أنه يعتزم القاء المرساة في البحر علّ ذلك يبطىء جنوح المركب. وبقي

الجميع صامتين وهم ممددون في مهاجعهم فيما تمتم باستور صلاة شكر وابتهال لكي يبقى الحظ حليفهم.

تكوّم هورهي تحت بطانية مشبعة بالماء. وكان خشي الغرق عندما ضربتهم الموجة الجبارة الاولى، لكن الخشية فارقته في غمرة الانهماك في نزح الماء من المركب. وها هو الخوف من الموت غرقاً يعاوده وهو يصغي الى صرير المركب وتكسر الامواج المتلاطمة على الحجرة حيث كان راقداً.

أين "كايرو - ٣"؟

في ٢٧ يناير (كانون الثاني) هبت "إل نورتي" عنيفة على بونتاريناس بسرعة ١٢٠ كيلومتراً في الساعة، فاقتلعت ألواح السقوف المعدنية وكسرت أغصان الاشجار وحطمت النوافذ.

وكان جيراردو وعد زوجته بألا يطول غيابه أكثر من ثمانية أيام. وها قد مرّت تسعة أيام، وزوجته قلقة وهي تشاهد العاصفة خارج النافذة، تلوي الاشجار. فطلبت من أمها أن تهتم بالاولاد وخرجت للاستطلاع علّ أحدهم شاهد المركب عائداً.

وكانت ايديث، زوجة جويل، تطعم بناتها فطور الصباح وهي تسمع أغصان الاشجار تضرب سقف المنزل كالسياط والنوافذ تهتز وتقعقع. وهي، منذ اشتداد الريح، لم تتناول من الطعام الا القليل، وراحت تهمس: "يا الهي، متى يعود؟"

دهشت الفتيات لرؤية والدتهن تروح وتجيء وهي تهمس وتعصر يديها. وكنّ اعتدن أن يرينها، قبل عودة والدهن من البحر، بشوشة فرحة تسرع الى الباسهنّ أحسن الثياب والخروج معهنّ الى الميناء لانتظاره.

بعد فطور الصباح خرجت ايديث الى رصيف الميناء خلف المنزل تتسقط أخبار جيراردو ورجاله من بحارة المراكب العائدة. لكنها ما التقت أحداً رآهم أو عرف شيئاً عنهم. الا أنها سمعت البحارة يسردون روايات مرعبة عن أنواء تجتاح السفن فتغمر متونها وتحطم حجراتها. وتراجعت صامتة وهي تشاهد الرجال العائدين يعانقون زوجاتهم.

في اليوم التالي علمت ايديث أن جميع مراكب بونتاريناس عادت الى الميناء الا مركب جويل. فتعاظم يأسها. وحاول الصيادون طمأنتها قائلين ان بحارة "كايرو - ٣" ربما لجأوا الى أحد المراسي الآمنة على الشاطىء ينتظرون العودة حين تهدأ الريح. وربما كان الجهاز اللاسلكي في المركب معطلاً ولا سبيل لهم الى الافادة عن مكانهم.

حاولت ايديث أن تبعد عن مخيلتها صورة المركب وهو يصارع الامواج في عرض المحيط فيتحطم، وزوجها جويل يتخبط في اللجج مكافحاً للبقاء حياً. كانت تلك الرؤية

فوق قدرتها على التحمل، فركبت الحافلة الى مركز خفر السواحل في وسط بونتاريناس وأفادت الضابط المسؤول عن تأخر المركب "كايرو – ٣": "من الواضح أن ثمة خطأ جللا. فهل لحرس الشواطىء أن يبحثوا عنه؟"

وعدها الضابط بتنظيم عملية بحث وانقاذ ما ان يبادر مالك المركب كارلوس رحمان بالابلاغ عن فقدانه.

لكن رحمان تريَّث علَّ الرجال يعودون نهار السبت في ٣٠ يناير (كانون الثاني) وفق ما بثَّه جيراردو سابقا عبر الجهاز اللاسلكي. واذ لم يعودوا يوم السبت قدَّم التقرير المطلوب عن المركب المفقود. وأكد المسؤولون في مركز خفر السواحل لرحمان ولزوجات البحارة أن عدداً من المروحيات وزورقاً واحداً على الاقل ستتولى البحث عن المركب الصغير.

الفرصة الاخيرة

في الصباح الباكر من نهار الاربعاء ٢٧ يناير (كانون الثاني) أدار جيراردو المحرك وأمر برفع المرساة. كانت الريح لا تزال تعصف بالمركب، وواصل الرجال نزح الماء. وحاول جويل اصلاح جهاز اللاسلكي فباءت جهوده بالفشل.

في اليوم التالي اكتشف الرجال بعد ساعات من الكفاح الشاق أنه لم يبق في خزان الوقود الذي يتسع لـ٣٤٠ ليتراً الا ٣٠ ليتراً. فأوقف جيراردو المحرك لعلمه أنه يستحيل بلوغ الشاطىء بهذا المقدار الضئيل من الوقود، فمن الاجدى ابقاء المركب طافيا تتقاذفه الرياح والتيارات في انتظار احدى السفن العابرة. عندئذ يُستخدم ما بقي من وقود في دفع المركب نحو سفينة الخلاص.

في ١١ فبراير (شباط) خفَّت حدة العاصفة. وكان التيار المائي يسوق المركب في اتجاه الغرب، فخشي البحارة الانحراف عن خطوط الملاحة الساحلية الشمالية – الجنوبية لانها أملهم الوحيد في النجاة.

انطرح البحارة الخمسة منهكين على متن المركب مستسلمين لمشيئة القدر. وكانت أشعة الشمس الحارقة تكوي وجوههم الرمادية. خلال الاسبوع المنصرم نال كل منهم كوبين من الماء يومياً، ولم يبق لديهم سوى ليترين. فوافقوا على ألا تزيد حصة كل منهم على نصف كوب يوميا. لكن بعضهم، ولاسيما هورهي، رأى أن اطالة أمد العطش ليست الا تأخيراً لموعد القدر المحتوم.

ورأى باستور "ان الله يمتحننا، فاما أن ننجح في الامتحان واما أن نسقط."

"حسناً،" قال هورهي وهو يتسلق سقف الحجرة ليراقب الافق. وقرابة الرابعة عند الاصيل ألقى نظرة أخيرة قبل أن ينزل الى رفقائه، فشاهد خطين من دخان مرتفعين

في سماء الجنوب. فصاح: "سفن! هناك سفينتان!"

فنهض الجميع للحال، وهتف جيراردو: "بل ثلاث سفن، أترون الدخان؟"

صاح خوان: "هذه فرصتنا!" وأسرع الى الحجرة لاحضار مشعل من خرق باليه مشبعة بمادة الديزل لارسال اشارة استغاثة الى السفن.

مرت باخرتان على بعد حوالى كيلومتر غربا فيما اتجهت الثالثة نحوهم، وبدت لهم ناقلة نفط.

أرسل بحارة "كايرو – ٣" اشارات استغاثة وراحوا يصيحون مسعورين. ولما أصبحت الناقلة الضخمة على بعد ٨٠ مترا عنهم شاهدوا على منصة القيادة رجلين يحدقان اليهم بمنظار.

لبث بحارة الناقلة، الذين بدوا آسيويين، دقائق عدة يحدقون الى المركب بحذر شديد. لكن الناقلة تجاوزت المركب بعد قليل، فكاد الصيادون الخمسة يجنّون وجثوا على ركبهم ورفعوا أيديهم ملتمسين العون وهم يلاحقون السفينة بأنظارهم.

"مهلا،" قال هورهي، "انها عائدة."

وتمتم باستور: "حقاً انهم عائدون."

اقتربت الناقلة الى بعد ٤٠ متراً، فرمى أحد بحارتها حبلا وصل طرفه الى مسافة ثمانية أمتار من مقدم المركب.

ناشد خوان وجويل القبطان جيراردو لكي يقترب من الناقلة. فأدار هذا المحرك، وترنح المركب الى مسافة ٢٠ متراً من الناقلة. وللحال ربط باستور الحبل الى احدى قوائم الظلّة. وبان المركب "كايرو – ٣" كزورق تجذيف صغير الى جانب الناقلة العملاقة، وكان يعلو ويهبط مع حركة الأمواج فيما الناقلة جاثمة كالطود تكاد لا تتحرك. فصاح أحد بحارة الناقلة: "ما بكم؟"

فردّ عليه جويل باكيا، شارحا معاناة الرجال الخمسة والخطر المحدق بهم وملتمساً العون. لكن بحارة الناقلة لم يفهموا شيئاً مما قاله جويل. وأخيراً صاح جويل بالانكليزية: "ماء!" فردد البحار الكلمة التي فهمها. وما هي الا لحظة حتى رمي خرطوم ماء الى باستور الذي التقطه وراح يملأ خزان المركب الذي يتسع لـ١٧٠ ليتراً. وفي تلك اللحظة خرج الى متن الناقلة ضابط في بزة رسمية وراح يأمر والغضب باد عليه، فأدرك جويل أن الضابط يرفض انقاذ بحارة المركب.

وللحال سُحب خرطوم الماء. لكن جويل لم ييأس، بل حاول القفز الى الناقلة حين ارتفع المركب بفعل الموج الى مستوى متنها، فصدّه بحارتها رافعين سواعدهم مهددين بدفعه الى الوراء. وعبثا توسل السماح له بالصعود الى الناقلة، لكن هذه انسحبت على مهل وتابعت رحلتها دونما اكتراث. فعلا صراخ رجال "كايرو – ٣"

وظلوا على هذه الحال الى أن أصبحت الناقلة خارج مرمى السمع. فانهار البحارة على ظهر المركب منهكين محبطين تتأكلهم المرارة. ووقف جيراردو طويلا يحدق الى السفينة المتوارية حتى أصبحت نقطة ضبابية متلاشية في ظلام الافق.

لقد مرّ عليهم ١٧ يوماً وهم عائمون تائهون في مجاهل المحيط. وقال جيراردو وفي قرارته حطام أمل تألق ثم خبا سريعاً: "هذه مشيئة الله."

"لننشر شراعاً"

جثم جيراردو على ركبتيه يتفحص مستوى الماء المرتفع حول المحرك، ثم قال: "سنغرق ما لم نواصل تفريغ الماء. فالثقوب تزداد اتساعاً."

نظم البحارة في ما بينهم فرق عمل من رجلين تتناوب النزح كل ساعتين ليلا ونهاراً: رجل يغرف الماء ويرفع الدلو من الحجرة، فيتناوله رفيقه ويطرحه في المحيط. كان ذلك الجهد مضنياً. وقد اختلف الرجال حول أمور كثيرة، لكنهم لم يختلفوا في هذا الشأن.

وكانت الامواج الهائجة خفّت ارتفاعاً، وتحولت الريح نسيماً ثابتاً، فراح الرجال يبرِّدون أجسادهم المكتوية بصبّ ماء البحر على رؤوسهم. تلك كانت الراحة الوحيدة التي نعموا بها منعتقين من افراغ الماء ومراقبة السمك لاصطياده.

ومرت أيام لم يذوقوا فيها الا فتات الاسماك الباقية من صيد سابق. فعضّهم الجوع ووهنوا واسترخوا على ظهر المركب ساهمين يرقبون الصفحة الخضراء وهي تعلو وتهبط علّهم يرون شيئاً يقتنصونه.

وما لبثوا أن شاهدوا سلحفاة رمادية تتهادى في المياه، فرأى فيها الرجال الخمسة الجياع مأدبة عائمة. فتناول باستور لفة من خيط الصيد النايلون وربط الى طرفها عقيفة وأثقالا من رصاص. ورمى الخيط على السلحفاة، فانزلق على ظهرها، وفي الرمية الثانية علقت العقيفة في ثنيات الجلد في رقبتها.

أخذ باستور يداعب السلحفاة وهو يسحبها الى جانب المركب كأنها متاع عزيز. ثم ساعده جيراردو في انتشالها.

اقترح جويل على رفقائه: "دعونا نحتفل بعيدنا الاول، فاليوم يصادف مرور شهر على بدء رحلتنا."

فقال خوان: "بل دعونا نأكل فحسب." وكان لديه من الغاز كفاية لطهو ما يصطادونه.

بعد ساعة أطلّ خوان على البحارة حاملا قدراً مغطاة وقال ضاحكاً: "أتيتكم بمفاجأة." وكشف الغطاء عن يخنة شهية ساخنة ينبعث منها البخار. وأضاف: "لقد ادخرت قليلا من الرز لمثل هذه المناسبة."

وزع خوان الحصص. ولم تستغرق الوجبة سوى عشر دقائق، لكنها رفعت معنويات الرجال وأنستهم مأساتهم لبرهة، واستطابوا طعم الرز اللذيذ الذي ذكرهم بمنازلهم.

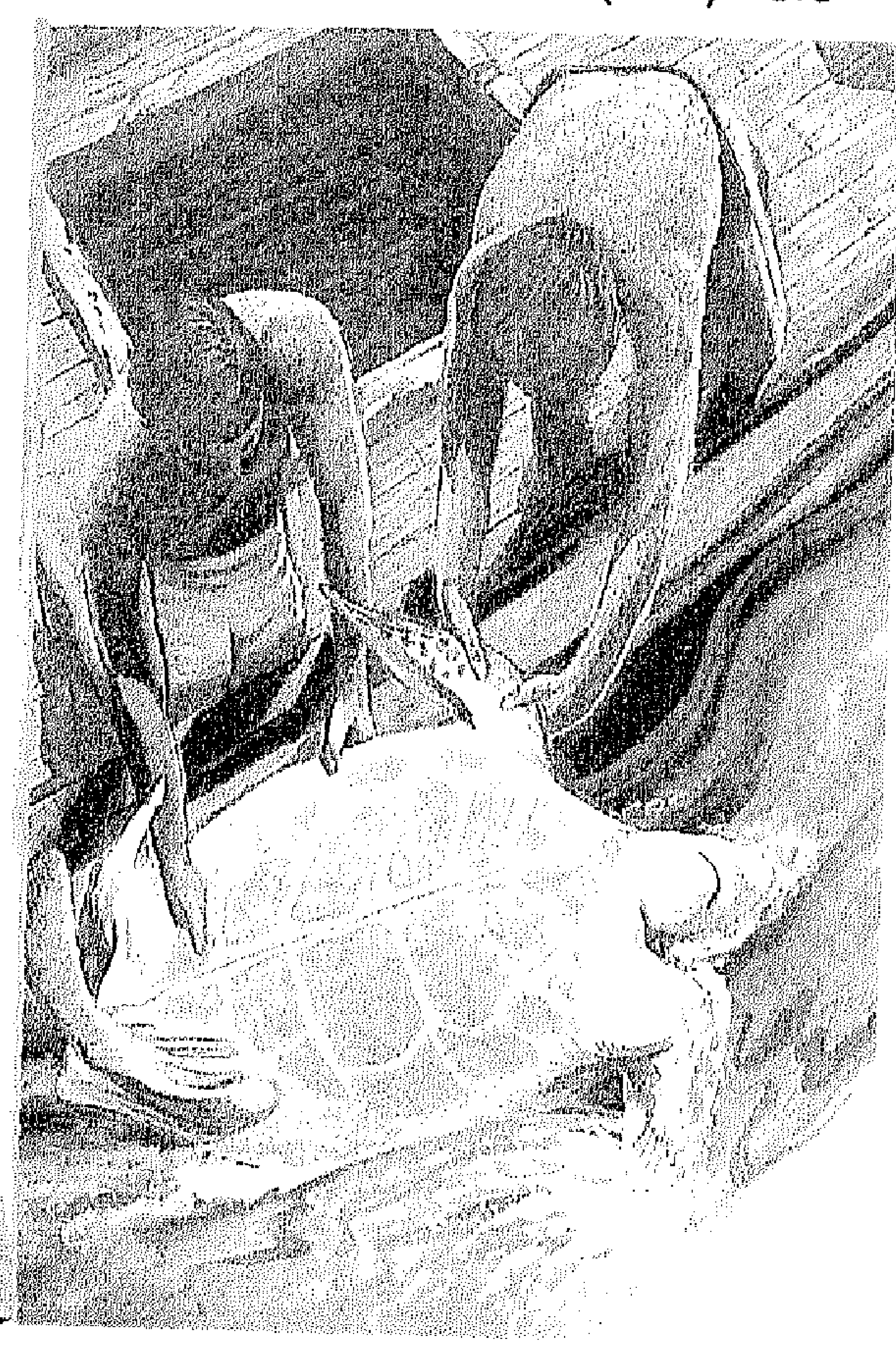
في اليوم التالي لم تفارقهم روح الثقة والامل، وظلت معنوياتهم مرتفعة، فتفتقت لباستور فكرة: "لماذا لا نرفع سارية وشراعا؟" فهكذا يستطيعون الابحار في اتجاه المطر الذي يأتي عادة من الجنوب.

قال أحدهم: "لنبدأ العمل الآن. دعونا نهدم الحجرة أولا."

انطوت الفكرة على تفكيك القسم الاكبر من الحجرة وتوفير فسحة للسارية وذراع التطويل، وهي عمود يستخدم لاطالة قاعدة الشراع، على أن تصنع السارية والذراع من عارضات السقف الخشبية، وما بقي من الخشب يستخدم وقوداً لطهو الطعام.

أما الشراع فيصنع من البطانيات ونسيج الفينيل، وتستخدم خيوط الصيد في خياطتها. وتصنع الدفة وذراعها من ألواح خشب. ولا يترك من الحجرة الا قسمها الامامي ليكون قاعدة للسارية التي سترتفع ستة أمتار.

بدأ جيراردو تحطيم الحجرة بالمطرقة الوحيدة في المركب، واشترك الباقون في الهدم والتفكيك بواسطة أنابيب ومفاتيح انكليزية (رنش) ثقيلة. فاقتلعوا المهاجع والنوافذ وحطموا الجدران ومنضدة المطبخ بهمة لم يشعروا بها منذ أسابيع. لقد دب فيهم العزم وزال عنهم الهمود واليأس. وها هم يلوّحون بأسلحتهم ويضربون كسجناء يهدمون جدران سجنهم للانطلاق الى الحرية.



بعد خلع العارضات والألواح الخشبية ورمي أجزاء لا فائدة منها في البحر، بات المركب شبيهاً بزورق "غندول"* ضخم ارتفعت في مؤخره ظلة خشبية على أربع قوائم. وأنهى خوان وجيراردو صنع السارية والشراع، فرُكّبا في اليوم التالي. وكم كانت دهشة البحارة كبيرة عندما تحرك المركب والشراع يخفق مصفقا للريح باعثا في الصدور أملا كبيراً بالنجاة.

(*) الغندول زورق طويل يستخدم للتنقل في قنوات البندقية في ايطاليا.

استمر نزح الماء بلا هوادة، وبات أكثر سهولة بعد ازالة الحجرة فاقتصرت المناوبة على رجل واحد كل أربع ساعات. ولكن قامت حاجة جديدة الى رجل يدير الدفة، فنُظمت مناوبة أخرى يتبادل فيها الرجال العمل كل أربع ساعات. وهكذا أصبح نصيب كل من الصيادين الخمسة في العمل تسع ساعات ونصف ساعة يومياً.

خلال الابحار جنوباً لم يظهر أثر للمطر أو الغيوم. وخوفاً من نفاد الماء سطّر جويل على علبة معدنية فارغة رسالة استغاثة: "من المركب "كايرو – ٣"، بونتاريناس، كوستاريكا. اذا التقطتم هذه الرسالة أبلغوا المسؤولين أننا لم يعد لدينا من الماء الا ما يكفي لمدة ١٥ يوماً. ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٨٨."

ورمى العلبة في البحر.

ملعقة ماء!

كان القبطان جيراردو ينام في مقدم المركب وتحت مهجعه أسوأ شق في القعر، تنبعث منه قرقرة وهسهسة متواصلتان مما عكر نومه وأحلامه على الدوام. وحاول جيراردو تكراراً سد الشق بالاسفنج والحبال ورقع القماش، لكن الخشب كان تالفاً وعليه سدّه برفق خشية ان يؤدي الضغط الشديد الى توسيع الخرق بحيث يتعذر سدّه.

في أوائل مارس (آذار) تعين على البحارة تقنين الماء بمعدل ملعقة لكل رجل كل ساعة، وبذلك يكون لديهم من الماء ما يكفيهم أقل من أسبوع. فغلب اليأس على البحارة وراحوا يتساءلون: أيموتون عطشاً أم غرقاً أم فرائس لسمك القرش؟

قال باستور لجويل: "لا تقلق على الموت، فهو في يد الله. وليكن همك الاوحد أن تعيش."

فهز جويل رأسه: "اني أحاول ذلك، لكني لا أعتقد أننا سنتمكن من الاستمرار طويلا على هذه الحال. وأشد ما يؤلمني هو فكرة ترك زوجتي وأولادي." ثم استدار حاجبا وجهه.

عثر جويل لاحقاً في كيسه على ورقة وقلم، فانتحى زاوية في مؤخر المركب وراح يكتب بأحرف صغيرة، سطراً بعد سطر، رسالة الى زوجته جاء فيها:

"العاشر من مارس (آذار). زوجتي الحبيبة،

أحسّ رغبة عارمة في البقاء حياً، ولكن في حال موتي لا تدعي حياتك تنهار. كوني قوية واقبلي حكم الله، انه العارف بكل شيء. اعتني بالبنات وقولي لهنّ إني قضيت في سبيل تأمين حياة فضلى لهنّ. اني في انتظار ما قدّره الله لي. نحن تائهون منذ شهرين، لا طعام لدينا ولا ماء، وحولنا متاهات زرق لا نهاية لها. مياه، مياه، لا شيء الا المياه. لقد كافحت حتى النهاية. إنما، وان كنت على شفير الهلاك، فما زالت في حنايا ضلوعي شعلة تضطرم. أحبك يا عزيزتي ايديث.

جويل عمر."

أنهى جويل الرسالة وأعاد قراءتها ثم زجّها في قارورة بنية صغيرة أخفاها بين أمتعته.

أيام ضائعة

رأت ايديث وليديا، زوجتا جويل وجيراردو، ان لا جهود كبيرة تبذل لانقاذ الرجال المفقودين. فطائرات ألاستكشاف لم تقم الا بجولتين وجيزتين، فيما لم يبدُ أن زورق خفر السواحل شارك في البحث. وقيل للمرأتين ان لا معنى لهدر أموال في البحث عن مركب قد لا يظهر أبداً. أخيراً قررت المرأتان تنظيم حملة خاصة، فنُشرت قصتهما في الصحف وبثت محطات الاذاعة مقابلات أجريت معهما. فكانتا تكرران السؤال: "لماذا لا تنظَّم عملية بحث وانقاذ جدية وشاملة؟ فكل يوم يمضي من غير ان يفعل رجال خفر السواحل شيئاً هو يوم ضائع."

في أوائل مارس (آذار) بعد زيارة غير مثمرة الى نائب الوزير المعني بشؤون خفر السواحل، طلبت ايديث مقابلة الوزير نفسه. وفي غضون ذلك كانت هي وليديا تجوبان الشوارع وتسألان كل من تتنسّمان فيه صلة بالبحر عن المركب "كايرو – ٣." فاعتبرهما الناس في عداد الأرامل، يقيناً منهم أن زوجيهما هلكا. فالاحتمال كبير أن تكون العاصفة المدمرة أدركتهما فابتلعهما البحر.

على رغم ذلك ظلت ايديث تصلي بحرارة لعودة جويل. ونصحتها أمها ألا تنتظر من السلطات انقاذ البحارة، وألا تكف عن الصلاة لكي يعيدهم الله سالمين الى منازلهم. فابتهلت ايديث: "يا رب، أعطني القوة لكي لا أفقد الرجاء."

بات المركب "كايرو – ٣" تائهاً على صفحة المحيط، فلا البحارة حظوا بالمطر الموعود ولا هم اتفقوا على مسار ثابت. وخشوا أن ينتهوا الى الدوران في حلقة مفرغة إن هم واصلوا تغيير مسارهم. وأخيراً اختاروا الانسياب مع التيار شمالاً فشمالاً – غرباً (٣٣٠ درجة) لان ذلك هو المسار الطبيعي والأسهل. وهم قرروا الاتكال على الله وحده يقودهم الى حيث يشاء.

وأمل جيراردو، اذا طال أمد الرحلة، أن يصلوا الى جزيرة مأهولة يكثر فيها الطعام. فهتف جويل: "هاواي ربما."

صار لهم هدف يتطلعون اليه، فتجددت ثقتهم بالنجاة، لكنها لم تدم الا برهة عادوا بعدها الى وهدة اليأس. فقد كاد ماء الشفة ينفد. انهم قاسوا كثيراً من الاهوال والمشقات حتى وصلوا في معاناتهم الى هذا الدرك. فهل يقضون ظمأ؟ كيف يعيشون من دون ماء؟

واذا بزخة مطر تنهمر ذات ليلة في الأسبوع الثاني من مارس (آذار). واحتجب

القمر وهدأ البحر، فانتعشت نفوس البحارة وفتحوا أفواههم ورفعوا وجوههم لاستيعاب المطر، وهرعوا الى الدلاء والقدور يملأونها بالماء المنسكب. وبسط اثنان قماشة وحولا الماء المتجمع الى الخزان. واقام الرجال أخدوداً على جانب من السطح جمعوا فيه الماء بإمالة المركب مجتمعين في جانب واحد منه.

بعثت الزخة العابرة في البحارة الخمسة نشاطاً وحيوية كانوا في أشد الحاجة اليهما. فشربوا حتى الارتواء ثم راحوا يتعانقون ويرقصون. ورفعوا الشكر الى الله العلي القدير.

هجوم القرش

هتف جويل ورمى نفسه في البحر، فشعر ببرودة الماء، وكان كل شيء حوله ساكناً. وانتصب أمامه بدن المركب الظليل وقد تدلت منه حصيرة من النبت الاخضر والبني. فركّز قناع الغوص على وجهه ودنا من قعر المركب المنساب بهدف تفحصه.

كان جويل يواجه في الماء خطر القرش ويخشاه أكثر من أي خطر آخر، اذ أن قرشا متوسط الحجم يستطيع تمزيقه إربا في ثوان.

حكّ جويل قعر المركب بسكينه، ففرت أسراب من السمك الصغير من "عرائش" الأعشاب المتدلية من طبقة القشريات علىّ بدن المركب. ثم عاد الى المؤخر وطفا وتسلق حافة المركب وأبلغ زملاءه أن البدن مكسو بطبقة كثيفة من القشريات والديدان التي تنخر الخشب الى حد الاتلاف. وبات سد الشقوق والثقوب يحتم عليهم الغطس تحت المركب لكشط بدنه.

كان التضامن غير المعلن بين البحارة يقضي بأن يعمل الجميع سواسية في كل شيء. لذلك حملوا جميعاً أدوات الحك والكشط. وتفحص جيراردو الماء للتأكد من عدم وجود أسماك قرش، ثم غطس وتبعه جويل وهورهي. وتردد خوان قبل أن يغطس بحذر. أما باستور فأوكلت اليه مهمة البقاء على ظهر المركب ومراقبة القرش.

في البداية خشي البحارة أن يجتذب بياض الجلد في باطن أقدامهم أسماك القرش. فانتظروا هجومها في أي لحظة.

ثم لم يبقَ الا جويل وجيراردو في البحر، فيما راح الباقون يفرغون الماء ويراقبون القرش من مقدم المركب ومؤخره. كان نزع الاعشاب والقشريات عن البدن في منتهى الصعوبة، وظل جويل وجيراردو ساعات يحفران ويكشطان ويطفوان على سطح الماء للتنفس.

وأخيراً أعلن جيراردو لاهثا: "يكفي الآن، لقد أنجزنا المهمة."

ثم صعد الى ظهر المركب وارتمى الى جانب جويل المنهك. بازالة القشريات زال



خطر الكارثة الى حين، وان يكن ذلك أضعف متانة المركب.

ولم يطل الوقت حتى أخذ البحارة يصطادون سمك القادوح والدورادو والقرش، فتوافرت لهم كفاية من الطعام للمرة الاولى منذ بدء محنتهم. وفيما كان باستور يملّح بعض السمك ويقدده، اذا به يشاهد ثلاثة قروش تروح وتجيء على بعد ٢٠ متراً. فجأة هاجمت المركب فضربته بخطومها وارتدت ثم عاودت هجومها المسعور.

وانصرفت القروش بعد ذلك ولم يعرف أحد سبب الهجوم. لكن الحادث أثار القلق والخوف في صدور البحارة، فلو تحطم أحد الألواح الخشبية بفعل ضربات القرش لتدفقت المياه وحلّت الكارثة.

عاد القرش الى الهجوم بأعداد كبيرة بعد الظهر. وكان انقضاضه وجيزاً الا أنه كان عنيفاً روّع البحارة الذين راحوا يراقبون الاسماك القاتلة وجلين وكأنها ستندفع الى ظهر المركب وتقضم سواعدهم.

بعد هذا الهجوم الغريب شنّ جيراردو حملة وقائية، فراح كالمسعور يسدّ الشقوق والثقوب في خشب المركب مستخدماً مطرقة ومفكاً للبراغي وقطعاً من القماش والاسفنج والحبال. وتفحص البدن من الداخل وحشا كل الشقوق والثقوب الدقيقة التي يتسرّب منها الماء. ثم تدلى الى جانب المركب وحشا الشقوق الظاهرة فوق الماء. وكان أحد الرجال واقفاً فوقه متحفزاً لكي يسحبه في حال هجوم جديد للقرش.

هلّ شهر ابريل (نيسان) بريح قاسية، فارتفعت الامواج عاتية جبارة كتلك التي أهاجتها ريح الشمال "إل نورتي" وراح المركب "كايرو – ٣" يعلو ويهبط ويرتج

متواثباً بجنون. وعلى رغم تسرب المياه اليه ظل عائماً يقاوم الغرق، كزجاجة فارغة فوق الامواج.

خلال الليل دأب الرجال على نزح الماء بهمة لا تعرف الكلل. وكانوا يعملون في الظلام وهم مبللون يرتجفون برداً. وكلما اندفع المركب في حنايا الموج كانوا يتمسكون بأي شيء ثابت لكي يظلوا واقفين. ومرت ساعات وهم يكافحون العاصفة بجلد. ومع الفجر عبرت العاصفة فهدأت الريح واستكان البحر ورفع البحارة الشراع. لقد كافحوا طويلا وانتصروا.

بدت عاصفة ابريل (نيسان) نقطة تحول للبحارة الخمسة التائهين في مجاهل المحيط. فحتى ذلك التاريخ كانوا يتبادلون الاتهامات ويرون في كل مشكلة نهاية محتومة وينظرون شزراً الى من فاته اصطياد سلحفاة أو زاد أكله وشربه على حصة رفقائه. ولكن بعد اجتيازهم تلك العاصفة غاب عنهم شبح الهلاك واطمأنوا وعاد اليهم الامل بالبقاء أحياء.

بعد بضعة أيام سنّ جيراردو سكيناً وقطع خصلة من شعر رأسه ورفعها معلناً: "قذارة!" ثم قصّ خصلة ثانية واغتسل بماء البحر من دون صابون. ودار في خلده أن بقاءه حياً رهن ببقائه سليما معافى.

وحذا الآخرون حذوه فقصوا شعورهم واستحموا. كانت هذه الرغبة الملحة المفاجئة في النظافة بداية موقف أكثر ايجابية. لقد مرت بهم فترات قاسية من الظمأ والجوع واليأس، تحملوها بشجاعة وخرجوا منها أشدّ تصميماً على البقاء. وقرروا البقاء مجموعة متضامنة، فعينت لكل رجل واجبات محددة، وصار مفهوماً أن كل شيء يجب أن يُعمل لمصلحة الجميع.

وما عتمت هذه الثقة الجديدة المكتسبة أن امتُحنت حين شاهد البحارة في الماء جسماً ضخماً أسود متجهاً نحوهم، ثم صعد الى السطح وأطلق نافورة هائلة في الهواء. فصعقوا حين رأوا أنه حوت. وتجمدوا في أماكنهم مترقبين الصدمة القاتلة، وتملكهم الرعب، اذ ان ضربة واحدة من ذنب الحوت أو لطمة من رأسه كافية لتحطيم هيكل المركب وارسالهم الى الهلاك.

وفي اللحظة الاخيرة غاص الحوت في الماء وكاد ذنبه الهائل يلامس بدن المركب. وظل الرجال صامتين لا يبدون حراكاً حتى بعدما هدأت دوامة المياه التي رافقت غطسة الحوت.

لكنه عاد الى الظهور بعد خمس دقائق وراح يقضم الأعشاب النابتة على بدن المركب. فلبث البحارة مترقبين يرتعدون خوفاً. واذا به يطفو على بعد ثلاثة أمتار ويطلق نافورة هائلة ويحدق الى المركب الصغير بعين واحدة.

هتف جيراردو: "يا الهي! انه جزيرة عائمة!"

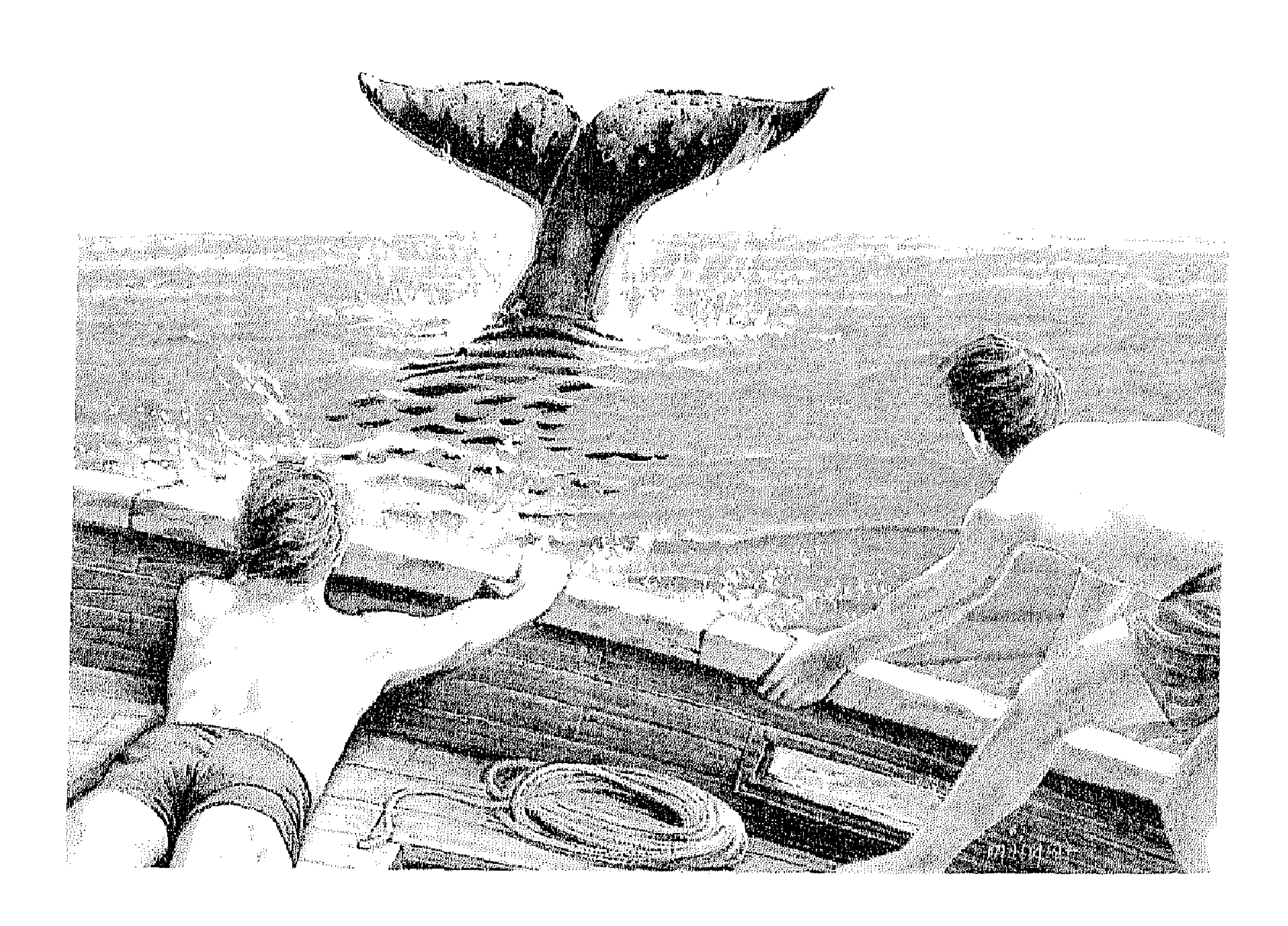
ظل الحوت الضخم على مدى ٢٠ دقيقة يغطس ويسبح حول المركب ويقترب منه ثم يبتعد كأنما طابت له مداعبة البحارة، وكاد هؤلاء يقضون هلعاً وهم يراقبونه منتظرين انقضاضه عليهم في أي لحظة.

وأخيراً غطس الحوت ولم يعد، فتنفسوا الصعداء وراحوا يهنئون بعضهم البعض بالسلامة.

وجوه مخيفة

في ١٠ مايو (أيار) سطّر جويل رسالة ثانية الى زوجته وبناته علّهن يتلقينها وإن بعد سنوات، فهو أراد أن يتذكرنه زوجاً وأباً محبا لا بحاراً منبوذاً يائساً قذفته الاقدار الى مجاهل المحيط.

ثم أولج الرسالة في القارورة البنية مع بضعة دولارات، وأحكم ختم القارورة ووضعها جانبا ليلقيها في المحيط عندما يحين الوقت. وأمل أن تكون الدولارات كافية لكي يرسلها من يلتقطها بالبريد الى زوجته.



حدّق جويل الى رفقائه فرأى في وجوههم انعكاساً لوجهه هو، منظراً مثيراً للشفقة. كانت الشمس الحارقة لوحت أجسادهم بسمرة قاتمة، ونفرت أضلاعهم وتشعثت شعورهم وبانوا كرجال بدائيين مخيفين لا يفكرون ولا يكترثون الا للأكل والشرب والبقاء أحياء.

لم تظهر في السماء الا مشحات بعيدة من الغيم لا توحي أملاً. وراح الرجال يتساءلون: "من منا سيموت أولاً؟"

في منتصف مايو (أيار) انكسرت دفة المركب فلم تعد هناك وسيلة لضبط الاتجاه. وازداد تسرّب الماء واشتدت الحاجة الى نزحه.

في هذه الاثناء أعلن باستور أن الغاز وحطب الوقود نفدا، مضيفاً: "من الآن فصاعداً علينا أن نأكل الطعام نيئاً." وهكذا كان. لم يستسيغوا ذلك بادىء الامر، الا أن الجوع الكافر دفعهم الى التهام كل ما تيسر لهم اصطياده.

ولم يبق لديهم من الماء الا ما يكفي لبضعة أيام. فخفضت الحصص الى كوب واحد في اليوم.

ومن جراء النقص المريع في الشرب ازداد جفاف أجسامهم فعنف ذعرهم واشتدت نزاعاتهم. فمنهم من شرب كامل حصته دفعة واحدة ومنهم من شرب نصفها في الصباح واحتفظ بالنصف الآخر لليل. وكانوا جميعهم يتبادلون الاتهام والملامة.

أخيراً نفد الماء كلياً. فبرَّح بهم العطش وقلَّت رغبتهم في الاكل وصيد السمك وتملكهم اختناق حارق جاش في صدورهم ونال من حناجرهم وسرى في وجوههم. وكان مرَّ شهر على هطول آخر مطرة، ففكر جيراردو: "ربما كان الموت أهون من هذا الانتظار." واستنزفت طاقاتهم وضاقت حناجرهم وثقلت ألسنتهم وراحوا يفرغون الماء المتسرب وهم في شبه غيبوبة.

وسط هذا الجو القاتم جمع باستور طاقته وطرح تحدياً على رفقائه: "دعونا نصلح الدفة."

فنظروا اليه ذاهلين، فتابع: "لن يحدث شيء ما لم نجعله يحدث. لنصلح الدفة ثم نرفع الشراع فنتوجه الى حيث الغيوم ونحظى بالمطر. قد نواجه الموت، ولكن لنمت مكافحين كالرجال لا كالجبناء الخانعين."

حدق اليه رفقاؤه غير مصدقين. لكن تحدّيه انتشلهم من وهدة الخمول والاستسلام. فتولى جيراردو وخوان إصلاح الدفة فيما أصلح الآخرون الشراع ورفعوه فنفخت فيه الريح ووجهت المركب غرباً. وجلس جويل يدير الدفة وقد خامره احساس متجدد بالثقة. فها هم سائرون الى حيث الغيوم والمطر والامل المنشود.

ولكن ما ان حلّ أصيل اليوم الثالث حتى كان الرجال يدبّون على أيديهم وركبهم،

باكين احياناً، متضرعين الى الله بأصوات خفيضة ملتمسين أن يمنَّ عليهم بالمطر. وتملكهم الدّوار والغثيان وتورمت ألسنتهم وثقل عليهم الكلام.

صباح اليوم الرابع كان البحارة في المركب العتيق التائه وهنوا الى حد كادوا لا يقوون معه على التحرك. ولم يعد في إمكان أفرقاء المناوبة تفريغ الماء الا لمدة ساعة أو ساعتين. واجتاز الرجال نوبات هذيان محموم ونوبات دوار.

وثقلت ألسنتهم فعجزوا عن النطق بوضوح. فاقترح أحدهم أن يتحضروا للموت. وكانت عيونهم جاحظة كأنها زجاجية، وصعب عليهم التنفس فراحوا يتجرعون الهواء على دفعات. ونبشوا أحسن ثيابهم من حقائبهم الصغيرة، وهي سراويل قصيرة وقمصان رياضية متغضنة لكنها نظيفة.

وعملا باتفاق بينهم، ارتدوا "ثياب الموت" لكي يبدوا في أحسن حللهم اذا اكتشفتهم سفينة ما أو قذفتهم الامواج الى احدى الجزر.

بعد ذلك اضجعوا تحت الظلة جنبا الى جنب ووجوههم نحو العلاء. وضم جويل الى صدره القارورة التي تحوي رسالتيه الى زوجته ايديث، وفي نيته رميها في البحر لحظة وعيه الأخيرة التي تسبق إغماض عينيه الى الابد.

ووفق ما خططوا، لم ينبس أحد بكلمة ولم يقم أي جدل بينهم. سيواجهون الموت بهدوء وسلام، ويرحلون الواحد بعد الآخر الى رحاب الابدية.

نعمة من السماء

بعد ظهر ٤ يونيو (حزيران) كان جيراردو مستلقياً تحت الظلة شاخصاً الى السماء متسائلا عما اذا كانت الاطياف السود التي يلمحها في السماء غيوما تحمل المطر. ولكن لطالما تبين له أن تلك الاطياف لم تكن الا سرابا خادعا.

وحان دوره في تفريغ الماء بدل خوان، فنهض وتبادلا المواقع. لقد واصل الرجال نزح الماء وهم مرتدون بذلات الموت. لعلّهم ارتأوا أن الموت ظمأ أهون من الموت غرقاً وطعاماً للاسماك.

لذا سكب جيراردو على جسمه بعض ماء البحر وراح يغرف ويفرغ بهمة اليائس. وكاد الدوار لا يفارقه، فاشتدتْ به الرغبة في الاسترخاء والتنكّب عن العمل، لكنه قاوم هذه الرغبة وواصل الكفاح. ورأى في ابقاء المركب عائما تحدياً للمحيط والأخطار المحدقة، وشدد ذلك من عزيمته وعناده.

عصر ذلك النهار أحسّ بحارة المركب بأولى شآبيب المطر تسقط عليهم، فطاروا فرحاً وخرجوا مترنحين من تحت الظلة فاتحين أفواههم رافعين وجوههم نحو السماء. فانهمر المطر على وجوههم وعيونهم وشفاههم المتشققة كأنه اكسير الحياة ينسكب في

حناجرهم. وتحولت قطرات المطر زخّات، فهرع الرجال الى أباريقهم يملأونها بالماء الجاري من سطح الظلّة. كان مذاق الماء حمضياً مالحاً، لكنهم رشفوا منه حتى الارتواء، وبلغت غبطتهم ذروة الانتشاء وان مازجها الالم. ومع أن الزخة لم تدم الا عشر دقائق فقد كانت كافية لارواء ظمأهم وجمع ليترين من الماء المالح الكريه المذاق.

ظل الرجال واقفين ووجوههم مرفوعة الى العلاء. قال هورهي: "كنت أعلم أنها ستمطر."

ورد خوان بصوت كالصفير: "الحمد لله."

مضى الليل والرجال يترقبون المطر ويتناوبون النوم وتفريغ الماء. وكانوا يرون في أفق الجنوب خطاً بعيداً من السحب. وعاودهم الظمأ بعد حين، فاقترح أحدهم التوجه نحو السحب، لكنهم كانوا في منتهى الضعف عاجزين عن بلوغ تلك الغاية.

رفع جويل الابريق البلاستيكي ونصفه ماء وقال: "لنشرب ما بقي لدينا." فشربوا جميعهم غير مبالين بمذاق الملح والشحم والاوساخ.

وما عتمت أن ظللتهم سحابة سوداء هائلة وهطل المطر غزيراً. فحاول الرجال الخمسة اطلاق صيحات ابتهاج لكن حناجرهم خذلتهم من جراء الجفاف الذي كاد يفقدهم الكلام. وندت عنهم أصوات جشّاء خفيضة كنعيب الغربان. فسارعوا الى توجيه المياه الجارية الى الخزان والاوعية الصغيرة، وبلغ ما جمعوه خلال المطرة العاصفة ٢٧ ليتراً.

كان جيراردو وباستور أول الذين عاودوا الاكل. ولم يكن الطعام كثيراً، واقتصر على قطع صغيرة من لحم السلاحف النيء استطاعا بلعها من غير أن يتقيأاها. وحذا الآخرون حذوهما، وأدركوا جميعا أن مصيرهم قد لا يكون الهلاك وأن حظهم العاثر ماضٍ الى التحسن.

بعدَ ثلاثة أيام هطل المطر طوال النهار، فملأوا خزان الماء وخزاناً احتياطياً وآخر نظيفاً لوقود الديزل، كما ملأوا الاوعية الصغيرة. فبلغ مجمل ما جمعوه ٢٦٥ ليتراً تكفيهم أسبوعين أو ثلاثة أسابيع. وفي اليوم التالي أنزلوا الشراع وانصرفوا الى صيد السمك والسلاحف.

بعد خمسة أيام من الانجراف تحت سماء صافية ازداد تسرّب المياه، فتدنى المركب عن مستوى صفحة البحر مما حفز الرجال على تسريع النزح. ولم تغب عنهم معاناة الظمأ التي مروا بها خلال أربعة أيام، فالتزموا تقنيناً صارماً وعُين أحدهم قيما على صرف الكمية المحددة لكل منهم.

كانوا يعملون كفريق متضامن في صيد الاسماك وشقها وتنظيفها وتقديدها. وباتوا يعرفون مواهب كل منهم وامكاناته ويحترمونها، فخفّت المنازعات بينهم.

ذات يوم قرابة الحادية عشرة قبل الظهر علق قرش بصنارة جويل، فسحبه الرجال الى متن المركب وأكلوا منه كفايتهم وناموا طوال بعد الظهر. فجأة شعر جويل باهتزاز سلك الصيد، فتطلع الى الماء وقال بلامبالاة: "قرش آخر!" ولم ينهزّ أي من الرجال لمساعدته.

مرت عشر دقائق وجويل منهمك في انتشال السمكة الكبيرة العالقة في الشص، فلم يرفع رأسه لحظة وفاته أن يلاحظ الشيء المقترب من المركب.

"ها هي تعود!"

الخامسة الا ربعاً عصر ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٨٨ كان المهندس الشاب فوميا ساتو (٢٢ عاماً) على أهبة مغادرة منصة القيادة في سفينة الصيد اليابانية "كيناي مارو ١٢٨." فوقف محدقاً من خلال الزجاج الكثيف الى الزبد الابيض المتكسر على ذرى الامواج.

كانت السفينة غادرت ميناءها الياباني في كيسينوما قبل أقل من ثلاثة أسابيع وشاءت المصادفات أن تكون بلدة كيسينوما سُمِّيت قبل عشر سنين "شقيقة" لمدينة بونتاريناس.

حين شاهد ساتو طيفاً أسود يتواثب فوق الأمواج ظنه زورقاً مهجوراً أو جذع شجرة ضخماً. ولكن حين سدد منظاره رأى شخصين يلوّحان باهتياج، فأعلم القبطان تاتسو كوياما الذي تباحث ومعاونه أوساو كوماغاي.

في البداية كان الرجلان غير مرتاحين الى المركب الغريب الشكل وركابه الذين بدوا متوحشين مخيفين. لكن الظلام أوشك أن يبسط جناحيه، واذا تقرر انقاذهم فستكون العملية صعبة وخطرة في الليل.

اقترح كوياما: "لنُحضر أحدهم ونرَ ما يقول."

في المركب "كايرو – ٣" كان جويل أول من شاهد السفينة "كيناي مارو" اذ رفع رأسه عن سلك الصيد فرأى الهيكل المستطيل الابيض على بعد نحو كيلومتر. فهتف غير مصدق: "سفينة! يا إلهي، كيف فاتتني رؤيتها؟"

حنق جويل من ذاته ومن رفقائه لتقصيرهم في مراقبة الافق، وصاح محذرا من أن السفينة تكاد تتجاوزهم من دون أن تعيرهم انتباهاً. فاعتلى باستور وخوان الظلة وراحا يلوحان ويصرخان كمجنونين.

بعد قليل هتف جيراردو: "ها هي تدور عائدة." واستمر الرجال في صياحهم واهتياجهم. وتذكر جويل القرش العالق بصنارته فربط خيطها بوتد. وكانت قروش أخرى تحوم حول المركب.

رست السفينة على بعد ٥٠ متراً. وشاهد الرجال الخمسة بحارة السفينة اليابانية يصيحون ويومئون بأيديهم.

قال جيراردو: "انهم يريدوننا أن نسبح اليهم."

تفحص جويل الماء حول المركب فلم يرَ أسماك قرش. أتراها كامنة تترصد تحت سطح الماء؟

واذا ببحارة السفينة يرمون حبلا سقط وسط المركب الصغير وفي طرفه عوّامة. فسارع الرجال الى التقاطه. ووقع اختيارهم على جويل ليكون أول الذاهبين.

لفّ جويل السلك حوله وأمسك بالعوامة ثم أُدلي الى الماء. وحذّره باستور: "لا تدع القرش يلمح بياض باطن قدميك."

أحس جويل بدفء المياه على ساقيه العاريتين، لكنه كان يرتجف خوفاً من القرش، وكان جل ما خشيه أن يهاجمه القرش قبيل انتشاله، فملأته هذه الفكرة رعبا. لقد عانى الكثير وكابد الأهوال وانتظر طويلا هذه اللحظة الفاصلة بين النجاة والهلاك. راح يجذف بيديه بقوة مهيباً ببحارة السفينة أن يسرعوا.

هلل الرفقاء على متن المركب حين رأوا جويل يُنتشل الى السفينة. ثم رمي الحبل ثانية فالتقطه جيراردو.

ناداه جويل: "هيا، تعال، نحن عائدون الى منازلنا."

وأُنقذ الباقون على النحو ذاته، واحداً بعد آخر، ومعهم بعض أمتعتهم الخاصة. وحين صاروا جميعهم على متن "كيناي مارو" وقفوا ينظرون الى المركب "كايرو – ٣" الذي بدا زرياً مثيراً للشفقة بهيكله الابيض الملطخ بالدم والزيت والصدأ والطحالب والقشريات. وارتفعت السارية القصيرة الموصَّلة بالمسامير فوق هيكل مفرَّغ مشبع برائحة نتنة. وتدلت راية كوستاريكا فوق الظلة ممزقة وقد ابيض لونها.

وقف الرجال الخمسة بضع دقائق على ظهر السفينة المنقذة شاخصين الى المركب المقوَّض الذي حضنهم خمسة أشهر وهو يخوض اللجج المزبدة متواثبا مترنحا.

وفوقهم، في طبقة عليا، وقف أحد البحارة يلتقط صوراً للمركب وهو يبتعد نحو مصيره المحتوم، ومن حين الى آخر يسدد آلته الى البحارة الناجين. وصوّر خوان الذي بدا ذاهلا عاري الصدر حافي القدمين، وبعد لحظات غلب عليه التأثر فجلس يبكي.

تلقى الرجال معاملة حسنة، فاغتسلوا وأُعطوا ملابس نظيفة وقدم اليهم الطعام حتى شبعوا. لم يغمض لهم جفن طوال الليلة الاولى، وقبل طلوع الفجر وجدهم الطاهي شينجي ايواتسوكي راكعين كلهم ووجوههم نحو الشمس الطالعة، يصلّون ويرفعون شكرهم الى الله المنعم عليهم بالنجاة.

أمريكا الشمالية

هاواي

كوستاريكا

الانقاذ
١٤ يونيو

تيار استوائي

الجنوح
٢٥ يناير

أمريكا الجنوبية

أُنقذ بحارة المركب "كايرو – ٣" على بعد حوالى ٩٠٠ كيلومتر من جنوب شرق هونولولو في جزر هاواي، واتجهت السفينة "كيناي مارو" الى ذلك الميناء. وهناك كُرِّموا كالابطال باحتفال وجيز، وعلموا أنهم سجلوا رقماً قياسياً عالمياً ببقائهم أحياء ١٤٢ يوماً تائهين في المحيط – من ٢٥ يناير (كانون الثاني) الى ١٤ يونيو (حزيران) – عاشوا خلالها على شرب ماء المطر وأكل السمك ونحو ٢٠٠ سلحفاة وقطعوا مسافة تزيد على ستة آلاف كيلومتر.

"زوجتي الحبيبة"

صباح ١٥ يونيو (حزيران) تلقت ايديث زوجة جويل اتصالا هاتفيا من هورهي رحمان شقيق مالك المركب "كايرو – ٣" الذي قال لها: "هللي وارقصي يا ايديث، لقد عثر على رجالنا وأُنقذوا."

فسألته وقد كاد يغمى عليها: "أين؟ وكيف؟"

فرد هورهي: "الخبر صحيح، لقد وجدوا تائهين في المحيط قريبا من جزر هاواي."

ألقت ايديث السماعة جانبا واندفعت الى منزل ليديا زوجة جيراردو لتزفّ اليها الخبر. فراحت ليديا في نشوة فرحها تعدو في شوارع بونتاريناس صائحة مهللة ناشرة الخبر في كل مكان. وكانت زوجة باستور خارج المنزل فهرعت اليها امرأة صارخة: "ريتا، لقد عثروا على زوجك. عودي الى البيت."

MAP: BETTE DUKE

العاشرة صباح الاربعاء ٢٢ يونيو (حزيران) وصل بحارة المركب "كايرو – ٣" الى مطار "خوان سانتا ماريا" في سان هوزيه عاصمة كوستاريكا. نزلوا من الطائرة منهكين مضطربين، فأدخلوا قاعة للمؤتمرات ازدحمت بمراسلي الصحف المصورين والمسؤولين الحكوميين... وبأهلهم. ولمح جويل زوجته ايديث فاندفع اليها شاقاً طريقه وسط الجمع المحتشد، فعانقها ورفع ابنته الصغرى بين يديه. وفي احدى الزوايا تعانق هورهي وأبوه، وفي مؤخر القاعة جلس خوان مع ابنه البكر يبكيان جهاراً.

سئل البحارة أن يسردوا وقائع رحلتهم الملحمية. فتكلم جويل معظم الوقت شارحا التفاصيل ومشدداً على تضامنهم الذي يعود اليه الفضل الاكبر في بقائهم أحياء، قال: "تقاسمنا كل شيء بعدل ومحبة: الطعام والشراب ونزح الماء وصيد السمك والنوم. لقد أنقذنا تضامننا وعملنا كفريق موحد."

بعد انتهاء المؤتمر الصحافي توجه الرجال الخمسة الى قاعة الاستقبال الكبرى في المطار حيث رحّب بهم حشد صاخب من المهنئين بسلامة العودة. ورُفعت فوق رؤوسهم لافتة ضخمة كتب عليها "أهلا وسهلا." ثم توجه الجميع في قافلة سيارات الى المدينة.

في المساء تمدد جويل على سريره يرتاح من ضجيج ذلك النهار ومن صخب بناته الاربع الفرحات بعودته. ومد يده الى كيسه وأخرج قارورة بنية وقال لزوجته: "افتحيها، لك شيء داخلها."

سألته: "وماذا عساه يكون؟"

أجاب: "رسالة سطرتها لك... حين كنت هناك."

ثم جلسا على السرير جنباً الى جنب وشرع يقرأ لها: "العاشر من مارس (آذار). زوجتي الحبيبة..."

رون أرياس ■

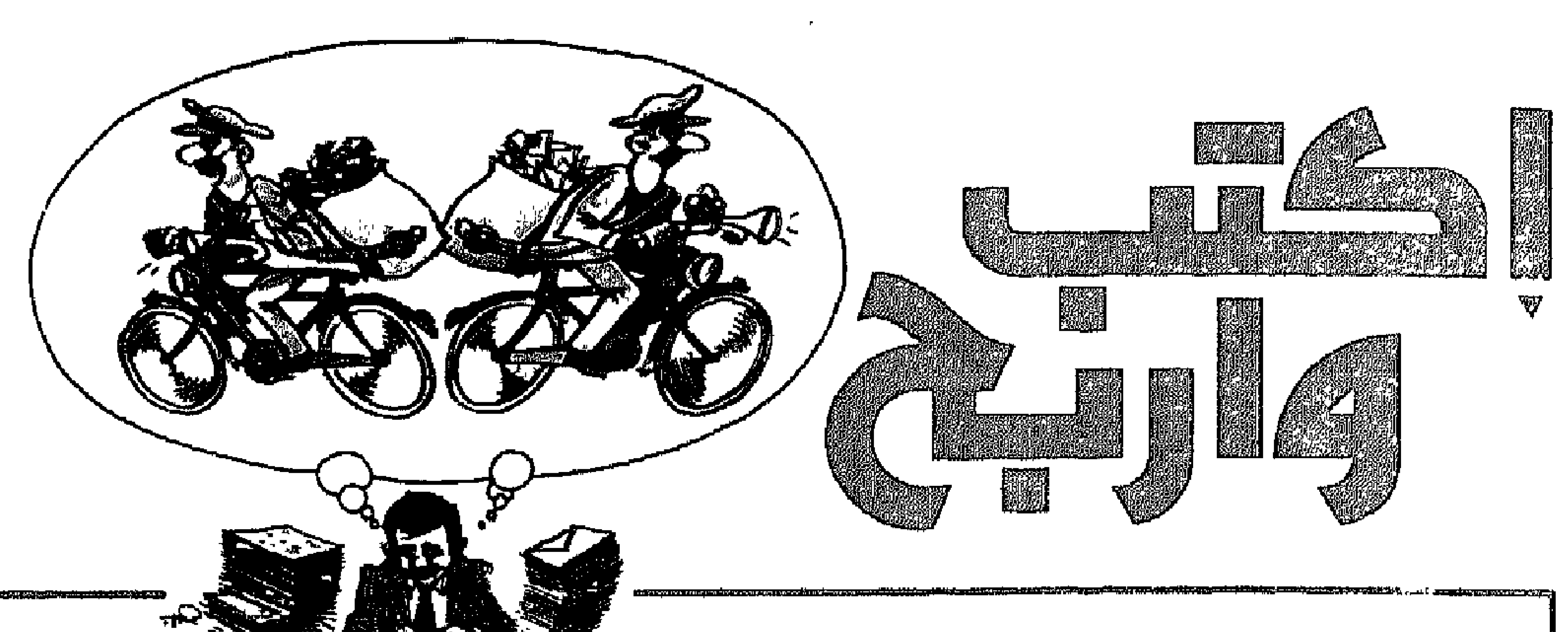
ترجمة الياس عقل

المعرفة كنز لا ينضب

كلما ازدادت قراءاتك تبين لك كم هي زهيدة معرفتك. ثق بانك لن تقدر على قراءة كل الكتب، وان ثمة روائع لن تتسنى لك مطالعتها. انا انام اربع ساعات كل ليلة، وانهض في الرابعة صباحاً فاقرأ ساعتين، واقرأ احيانا اثناء الحلاقة او الاكل. وفي امكاني القراءة والتكلم في آن. اشتري طبعات رخيصة لانها عملية اكثر، واحب ثني زوايا الصفحات، واطلق لنفسي حرية التمتع بالكتب على هواي.

صحيفة "باري ماتش"، باريس

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت.



"سمكات" - زيتية للفنان الفرنسي هنري ماتيس